

الإمام الدكتور  
عبد الحليم محمود

تفسير سورة

# آل عمران

دار غريب

للطباعة والنشر والتوزيع  
القاهرة

# تفسير سورة آل عمران

بقلم  
الإمام الدكتور  
عبد الحلیم محمود

دار غریب  
مطبعة النشر والتوزيع  
الرياض

الكتاب : تفسير سورة آل عمران

المؤلف : د / عبد الحليم محمود

رقم الإيداع : ٢٨٥٣

تاريخ النشر : ٢٠٠٠

الترقيم الدولي : 4 - 499 - 215 - 977 I. S. B. N.

حقوق الطبع والنشر والاقتباس محفوظة للنشر ولا يسمح

بإعادة نشر هذا العمل كاملاً أو أى قسم من أقسامه ، بأى

شكل من أشكال النشر إلا بإذن كتابى من الناشر

الناشر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والنطابع : ١٢ شارع نوبار لاظوغل (القاهرة)

ت : ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٣٤

التوزيع : دار غريب ٣، ١ شارع كامل صبرى الفجالة - القاهرة

ت ٥٩٠٢٦٠٧ - ٥٩١٧٩٥٩

إدارة التسويق { ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر - الدور الأول

والمعرض الدائم } ت ١٢٢٨١٤٢ - ١٢٢٨١٤٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَبْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾

صَلَاةُ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ

## مقدمة في التفسير الكتاب العزيز المبارك

يقول الله - سبحانه - عن ليلة نزول القرآن :

﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين﴾ فيها يفرق كل أمر حكيم ﴿أمرنا من عندنا  
إنا كنا مرسلين﴾ رحمة من ربك إنه هو السميع العليم ﴿ (الدخان: ٢ - ٦)

وهذه الليلة المباركة التي نزل القرآن فيها هي ليلة القدر، وعنها، وعن نزول  
القرآن فيها يقول الله - سبحانه :

﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ وما أدراك ما ليلة القدر ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾  
تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ (القدر: ١-٥)  
كيف حدث ذلك ؟ ...

في أوائل صحيح الإمام البخاري، أصبح الكتب بعد كتاب الله - سبحانه -  
وصف لكيفية نزول القرآن، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين، أنها قالت :  
« أول ما يدئ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصالحة في  
النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبيب إليه الخلاء، وكان يخلو  
بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التميد- الليالي نوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله  
ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء،  
فجاءه الملك، فقال: اقرأ . . . قال : ما أنا بقارئ . . . قال : فأخذني فغطني حتى  
بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال : اقرأ . . . فقلت : ما أنا بقارئ . . . فقال :  
فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال : اقرأ . . . فقلت : ما  
أنا بقارئ . . . فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال :

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ خلق الإنسان من علق ﴿اقرأ وربك الأكرم﴾ .

وكما وصف الله - سبحانه - ليلة نزوله بأنها مباركة، فإنه وصف القرآن نفسه بأنه مبارك:

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (١٠٠ من ٩٢)

ولقد استفاض القرآن الكريم في وصف القرآن. وبدأ الحديث عن هذه الأوصاف بملاحظة، نرجو القارئ أن يتدبرها معنا: أن الله - سبحانه وتعالى - يختم سورة الشورى بهذه الآيات الكريمة:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ رَاءِ حِجَابٍ أَوْ يَرْسُلَ رَسُولًا فَيُوحِي بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴾ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴿ صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ . (الشورى: ٥١-٥٢)

في هذه الآيات الكريمة يذكر الله - سبحانه - صفتين من صفاته تعالى:

﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴾ . (الشورى: ٥١)

إنه - سبحانه - على في الأرض، وعلى كل شيء في السماء. إنه - سبحانه - على في الأرض، وهو على في السماء، وهو - سبحانه - حكيم الحكماء. إنه على حكيم، دون تشبيه أو تمثيل.

وبعد هذه الآيات الكريمة، يبدأ القرآن مباشرة في سورة الزخرف، والآيات الأولى منها:

﴿ حَسْبُكُمْ وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ وإنه في أم الكتاب

لدينا لعلي حكيم ﴿ . (الزخرف: ١ - ٤)

وفي هذه الآيات يصف الله - سبحانه - القرآن الكريم بالوصفين اللذين وصف بهما نفسه، ولكنه يزيد شيئاً من التأكيد.

إن القرآن على كل ما عداه من قول. إذا نظرت إليه من الناحية اللفظية وجدته في أعلى مستوى من مستويات البلاغة، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر البشر. لقد أعجز البلغاء في كل عصر، وتحداهم في كل بيئة.

وإذا نظرت إليه من ناحية المعنى، فإنك تجده :

﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ ( فصلت : ١٤ )

لقد أتى الباطل على كتب الله السابقة ، حين عُيرت وبُذلت ، ولقد أثبت علم تاريخ الأديان في أوربا وأمريكا هذا التغيير والتبديل ، بما لا مجال للشك فيه .

لقد أثبتته مثلاً في فرنسا الأستاذ « شارل جنيير » في عدة كتب من مؤلفاته ، والأستاذ شارل قمة من قمم التحليل العلمي ، وقد احتل أكبر المناصب العلمية في علم تاريخ الأديان في فرنسا ، وهو منصب رئيس قسم تاريخ الأديان في جامعة باريس . وأثبتته الأستاذ « لودس » ، وهو من كبار أساتذة تاريخ الأديان في فرنسا أيضاً ، في عدة كتب من مؤلفاته ، ... وأثبتته غيرهم .

أما القرآن ، فإن الأستاذ « ديعومبيين » ، وعشرات غيره من المستشرقين الغربيين ، قد قالوا : إن القرآن الذي نقرؤه الآن هو القرآن الذي أنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ ( الحجر : ٩ ) .

ولم يدخل عليه الباطل من جانب المبادئ ، وإذا كان التغيير والتبديل في الكتب السابقة قد أفسد المبادئ التي أتت بها الأديان السابقة ، فإن المبادئ التي رسمها القرآن ، هداية للإنسانية ، باقية على الدهر ، تعلن عن مصدرها ، وأنها ﴿ تنزل من حكيم حديد ﴾ ( فصلت : ١٢ ) .

وأي نظرة إلى هذه المبادئ تثبت صدقها :

إنها في التشريع تركز على العدالة : ﴿ اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله

خير بما تعملون ﴾ ( المائدة : ٨ ) .

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى

يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ ( النحل : ٩٠ ) .

وهي الأخلاق تركز على الرحمة :

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ ( الأنبياء : ١٠٧ ) .

وفى العلاقات الاجتماعية تركز على الأخوة : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ( الحجرات : ١٠ ) . وفى العقائد تركز على أساس العدل والرحمة والأخوة، وهو التوحيد . والإنسان الموحد حقاً، هو الإنسان الذى أحب الإسلام أن يكون مثلاً للإنسانية أجمع . وفى الآيات الكريمة وُصف القرآن بأنه نور، ومن أسماء الله « النور » .

ويقول الله سبحانه : ﴿ قَدْ رَفَعْنَا الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ ﴾ ( ق : ١ ) .

ويقول : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴾ ( البروج : ٣١ ) .

ومن أسمائه الله « المجيد » .

ومن أوصاف القرآن أنه عزيز : ﴿ إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ ( فصلت : ١١ ) . ومن أسماء الله - تعالى - « العزيز » .

وفى نهاية الحديث عن هذه الأوصاف التى فى القرآن - والحديث يطول فى ذلك، نبين أن الله - سبحانه وتعالى - أقسم على وصف نفيس للقرآن، هو أنه قرآن كريم . وهو - أيضاً - وصف يعبر عن اسم من أسمائه - سبحانه :

﴿ فَلَا أَقْسَمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ وَإِنَّ لِقَاسِمٍ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ فى كتاب مكنون ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ تنزيل من رب العالمين ﴿ ( الواقعة : ٧٥ - ٨٠ ) .

يقول صاحب ( لطائف الإشارات ) : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ ( الواقعة : ٧٧ ) . والكرم نفى الدناءة، أى أنه غير مخلوق، ويقال : هو قرآن كريم، لأنه من عند رب كريم، على رسول كريم، على لسان ملك كريم : ﴿ فى كتاب مكنون ﴾ ( الواقعة : ٧٨ ) . يقال فى اللوح المحفوظ، ويقال فى المصاحف، وهو محفوظ عن التبديل . ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ( الواقعة : ٧٨ ) عن الأدناس والعيوب والمعاصى، ويقال : هو خير فيه معنى الأمر، أى لا ينبغى أن يمس المصحف إلا من كان متطهراً من الشرك، وعن الأحداث، ويقال : لا يجد طعمه وبركته إلا من آمن به، ويقال : لا يقربه إلا الموحدون، فأما الكفار فيكرهون سماعه، فلا يقربوه .

وقد تحدث الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن القرآن فى استفاضة، ومن



عدة زوايا، ونقتصر هنا على ذكر أربعة أحاديث:

١- عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

« من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه، غير أنه لا يوحى إليه، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد، ولا يجهل مع من جهل وفي جوفه كلام الله .. » (١)

٢- عن عبد الله - يعني ابن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :

« إن هذا القرآن مأدبة الله، فاقبلوا مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يزيع فيستعقب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقض عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، فإن الله يأجركم على تلاوته، كل حرف عشر حسنات، أما أنا لا أقول ﴿السم﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف. » (٢)

٣- عن أنس، رضي الله عنه، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :  
« إن لله أهلين من الناس، قالوا : من هم يا رسول الله ؟ ... قال : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » . (٣)

٤- عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

« إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب » . (٤)

---

١- رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد .

٢- رواه الحاكم وقال : تفرد به صالح بن عمر، عن إبراهيم الهجري، وهو صحيح .

٣- رواه النسائي، وابن ماجه، والحاكم، وقال الترمذي : إسناده صحيح .

٤- رواه الحاكم، وقال : صحيح الإسناد، والترمذي، وقال : حسن صحيح .

ولقد نهض القرآن بالأمة الإسلامية نهضة لا مثيل لها في التاريخ ، حينما طبّقته تحت قيادة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأخرجته عن وضع النظريات إلى الواقع المطبق في المجتمع، لقد كان مجتمعاً تَبَطَّنَ والتَّعَفَّأَ التوحيد، لقد كان المجتمع القرآني .

وهذا المجتمع القرآني فعل الأعاجيب، وفي ذلك يقول المستشرق « دي بور » :  
أفراح محمد - عليه الصلاة والسلام - هو وخلفاؤه الراشدون أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، في أن يبعثوا في نفوس أبناء الصحراء الأحرار، وفي نفوس من هم أكثر منهم تحضراً من أهل البلاد الواقعة في الأطراف، روح الاتحاد في العمل، وإلى هذا البعث يرجع الفضل في المكانة التي يتبوّؤها الإسلام كدين عالمي. ولقد صدق الله المسلمين وعده بالنصر، وكأنما تأييده لهم، استجابة لندائهم عند لقاء الأعداء :  
« الله أكبر » . وكأنما قد صغرت رقعة الدنيا فطووها في فتوحهم طياً، ولم يمض زمن طويل حتى فتحت بلاد الفرس كلها، وانتزع العرب من الإمبراطورية الرومانية الشرقية أحسن ولايتين فيها، وهما الشام ومصر .

إن هذا المستشرق يرى أن هذه الفتوح لنشر الخير والحق لا تُفسر إلا بأحد أمرين : إما أن تكون الكرة الأرضية قد صغرت في عهدهم فجابروها بهذه السرعة، وإما أن الأرض كانت تطوى من تحت أرجلهم .

وما صغرت الكرة الأرضية، وما طويت الأرض من تحت أرجلهم، ولكنه الإيمان .. ولكنه مجتمع القرآن .

ومجتمع القرآن ينسم بصفيتين : الأولى أنه مجتمع قوى، والثانية أنه مجتمع سعيد .

وذلك أن الله - سبحانه وتعالى - قد رسم في القرآن طريق العزة بالله، ورسم طريق السعادة، فإذا طبق المجتمع المبادئ القرآنية في أي عصر من العصور ، فإنه يسعد وينهض .

والأمة الإسلامية، في العصر الحاضر، لا سبيل لنهضتها إلا إذا أسلمت قيادتها للقرآن الكريم، تستمد منه الطريق إلى السعادة والقوة، ولن يصلح أمر هذه الأمة، في أي عصر من عصورها، إلا بما صلح به أولها، وإن كبار علماء المسلمين،

علم من يعصون، يعلمون هذه الحقيقة، إنهم يعلمون أنه لا حاجة ولا إقادة للأمة الإسلامية إلا بالمرن فعكموا عليه مفسرين، وموضحين، ومستنحين وداعين به إلى الله، وهاديين به إلى الحق، هجراهم الله خير الجراء .

وفي هذه لسورة مباركة سورة آل عمران - كثير من اصواء لقران نفع لأصول العقيدة، ولبادئ الأخلاقية، والقوانين الربانية وارجو أن يكون شرحي لها مساهمة من في بيان لعواين الربانية التي تُصنع لمجتمع ونهض به

ولقد ستمصت أحيانا استنصاصة مبسوطة في بعض الروايات رأيت الصرورة تقتضيها، وأوجرت التفسير إنجراً في بعض الآيات الواضحة واكاد أقول إنى فارت استكمل الحديث عن أصول العقيدة متابعه لتوجيهات السورة الكريمة ، وسيراً في ضوء أنوارها والله رجو أن يصح بهذا التفسير ، وأن يهدي به وأن يهدي له، وأن يجعله في سجل أعمالى النافعة . . . إنه سميع، قريب، محيب

عبد الحليم محمود

## الكلام في الاستعادة

وسد الانسان قردة القرآن بقوله

« عوذ بالله من الشيطان الرجيم »

وذلك اتبعاً لقوله - تعالى -

﴿يُؤْذِي قُرْآنَ الْفَرْدِ وَأَسْعِدُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (النحل ٩٨)

وهذه الاستعادة يمولها الانسان كلما بدأ قراءة القرآن سواء كان ذلك في

الصلاة أم في غيرها .

أما في غير الصلاة فإنه لا خلاف بين العلماء في البدء بالاستعداد

وأما في الصلاة فإن ابن سيرين، والنخعي، وأحريش، يعودون في كل ركعة

وهذا هو ما نراه وذلك لأن قوله - تعالى -

﴿يُؤْذِي قُرْآنَ الْفَرْدِ وَأَسْعِدُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ، عام، ولم يخصصه قرآن

ولا سنة

والمستعيد من أمر: مستجير منه، والاستعادة : الاستجارة

أما مصطلح الرجيم ﴿ وصف للشيطان معناه « مرحوم » لقد رحمه الله

سبحانه بالامت و نعمة وقال له حينما طرده من الجنة

﴿ قَالَ فَارْحِمْهَا فَإِنَّكَ رَحِيمٌ﴾ ( الحجر ٢٧ ) .

## الحديث عن :

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله سبحانه وتعالى وحدها إلى أن يبدأ كل عمل بمرله أو بفعله .  
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

بالتسمية يبدأ الفاحشة، أي أن القرآن الكريم يبدأ بالتسمية

وقد جاء في الحديث

« كل امرئ ذي نال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو « اقطع » وهو  
وثة » أحزم » . وهي رواية « أشر » ، وكلها بمعنى واحد .<sup>١</sup>

قال ابن القيم - وأما الجمع بين الرحمن والرحيم ، ففيه معنى بديع ، وهو أن  
' الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه والرحيم دال على عطفها بالمرحوم  
وكان الأول الوصف ، والثاني العمل فالأول دال على أنه الرحمن صفة أي صفة  
دات به سبحانه و الثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته ، أي صفة فعل به سبحانه  
فإذا أراد فهم عدد ، فتأمل قوله تعالى ﴿ وكان بالمرمين رحيمًا ﴾ ، الآية .  
﴿ إنه بهم رحيم ﴾ ( سورة ١٧ ) . ولم يجز قط ، رحيم بهم » . فعلمت أن  
« الرحمن » هو الموصوف بالرحمة ، و « رحيم » هو الراحم برحمته . وقال رحمه  
الله تعالى : هذه اللمعة لا تكاد تجد لها في كتاب »

لقد وصف الله نفسه بـ ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ ، ووصف نفسه بـ « رحيم  
لرحمن » ، ونقول تعالى على لسان أحد رسله :

﴿ رب رحيم ودود ﴾ ( مود : ٩٠ ) .

ما هدف الرسالة الإسلامية، فإن الله، سبحانه وتعالى ، يقبل فيه

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ ( الأنبياء : ١٠٧ )

وهذه الكلمة القرابية الكريمة تُبين هي صورة لا ليس فيها أن الرسالة الإسلامية إنما جاءت رحمته بالإنسانية، وهي إذن سواء نظرنا إلى سميتها وبواعثها أو إلى فواعدها ومبادئها أو إلى أهدافها وعيانياتها ، دعوة صريحة قوية لإسعاد البشرية .

وقد قال ، صلوات الله وسلامه عليه ، فيما رواه أبو صالح

« أيها الناس ، إنما أنا رحمة مُهداة »

وقال : « أنا نبي الرحمة » (١)

إنه صلوات الله وسلامه عليه ، وقد أرسله سبحانه برسالة لإسلام هدية لله إلى العالم وكل من تقبل هذه الهدية ، رضى بها نفسه مصححاً قلبه بها ، فإنه يشبع بالرحمة ، فيكون باستمرار مصدر رحمة بالناس الآخرين .  
أما : « نعم بكر كذلك » فإن معنى هذا أنه نعم يصهم لإسلام على ما أراد الله ورسوله

يقول صلوات الله عليه وسلامه - مفرقا ببعض صفات المؤمنين

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (٢)

ويقول الله - تعالى - للمؤمنين

﴿ وَجَعَلْ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ . ( بؤم ٢٤ )

ومن القصص ذات المعنى العميق أن رسول الله صلوات الله عليه وسلامه كان يتحدث عن الرحمة ويحث عليها ويدعو إليها ، ويعرف بمصلحتها من سير . فقال بعض الصحابة - رضيوا الله عنهم - « إن نرحم أرواح وأولادنا وأهلنا » فلم يرض هذا رسول الله - صلوات الله عليه وسلامه - لأنه فهم

---

خرجه أحمد في مسنده والإمام مسلم في صحيحه

٢ - أخرجه الإمام أحمد في مسنده والإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك

قاصر محدود لما يسعى أن يكون عاماً شاملاً ولذلك رد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله

« ما هذا أريد، إنما أريد الرحمة العامة »

وما من شك هي أن من الرحمة رحمة الأزواج والأولاد والأهل، وقد حدث عن لك سور الله صلوات الله وسلامه عليه بيد أن ما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم به هو أن تتعمل الرحمة في الكيان الإنساني كله حتى يصبح وكأنها من فطرته وطبيعته وحلته، فيكون لإنسان وكأنه قس من الرحمة الإلهية يثرها إذا سار ويثرها إذا جس، ويثرها أينما كان، ويثرها حينما حل وإذا كان كذلك فإنه يكون قد حقق الطابع العام للرسالة الإسلامية وستحق أن يعمره الله برحمته، يقول، صلوات الله وسلامه عليه :

« الراحمون يرحمهم الرحمن »<sup>(١)</sup>

ويقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما أخرجه الحاكم في المستدرک، وأحمد في مسنده، عن علي رضي الله عنه

« صنوا المعروف من رحماء أممي تعيشوا في أكنافهم ولا يضلوه من نقاسيه قلوبهم من اللعنة نزل عليهم، يا علي بن الله تعالى حتى المعروف، وحلوه به هلا حسنه إليهم، وحبب إليهم معاليه، ووجه إليهم طلابه كم وجه ماء في لأرض الحدة لنحيا به ويحييه به أهلها، بن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة<sup>٢</sup>

ما من لم يبصر فيه بالرحمة ولم يتخذها شعاراً، فإنه - والعياد بالله

مطروود من رحمة الله، يقول صلوات الله وسلامه عليه

« لا تنزع الرحمة إلا من شقى »<sup>(٣)</sup>

١ أخرجه الإمام أبو داود والترمذي. والحاكم في المستدرک

٢ حديث صحيح كما روى له أبو يعقوب في الجامع وذكر فكر الصل

٣ أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان وحاكم

وبعد فإن لأعمال الإنسانية التي تصدر عن هذا الطابع العام - وهي مدغم  
 فيها الإسلام - لا حصر لها وأولها لا شك إنها هو رحمة الإنسان بنفسه ورحمته  
 بنفسه إنما تتلخص في كلمتين - عمل ما أمر الله به، وحتتأب ما نهى عنه - لقد  
 رسم لدين مبادئ للمصيبة ، وفواعد لبخاة ، وحناء معالم ، تحريمية والمقصية وحد  
 عن وقوع فيها - وحمل السعادة في الدنيا والآخرة ممنوعة بعمل ما أمر به واحسان  
 ما نهى عنه - ولن يكون الايمان على هدى ، ولن يصل إلى ان يكون حسنا من لرحمة  
 لالهية إلا إذا التزم البراما كاملا بالتعاليم لدينية

يهد يستلما الى لفكرة الواضحة البديهية، وهي أن العمل الأساسي في أن  
 اتقاء من اتخاذه - بما حدده احكم لحاكمين في كتابه الكريم - سى لاسمه  
 اسفل من بين مديه - ولا من حلقه، وما من شك في ان من اتعى الله في غيره  
 أصله أنه لأنه حسن بله امتس - ولذكر بحكيم والصراص المستقيم

وإذ كان الواجب لأول على الإنسان ، بما هو رحمته بنفسه بالمعنى - في  
 وصف هذه - فإن هذا الواجب يتضمن مالا يكاد يحصر من بواجبات لآخرى  
 لاساسه ومن أولها صلة لرحم - عن ابن هريره - صلى الله عليه وسلم - فيما  
 روه - بخارى ، عن انس - صلى الله عليه وسلم - قال

« من الله خلق الحق حتى إذا مرغ من خلقه ، هالت الرحم - هذا مقام العائد  
 بك من المصيبة ؟ »

قال نعم . ، أما ترصين أن أصل من وصلك ، وأفصح من فصلك ؟ . .

فأب « نى ، يا رب »

قال « فهو لك . »

فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « فاقربوا ، إن شئتم »

\* ففهم عظيم - ففهم - ففهم في الأرض ونظفوا رحمكم \* محمد ٢٢

ومن بداهات صلة الرحم ، أن يبدأ الإنسان بوالديه - وقد هرن الله صنفهم  
 لاهميتها - بعدم الإشراف به في العبادة ، فمزل - تنالى

\* وفصى ريث ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسان ﴿ الإسراء ٢٣



وقال - صلوات الله عليه وسلامه

« من برَّ بوالديه ، وأحسن إليهما ، فليس له من حراء إلا الحبة »

ويقول صلوات الله وسلامه عليه في لحث على صلة برحمه عموما

« من أحب أن يُبسط له في رزقه ويسأله في أثره ، فليصل رحمه »<sup>(١)</sup>

ومن الرحمة - الرحمة بالجار ، وقد وردت في ذلك الأحاديث الكثيرة يقول

صلوات الله وسلامه عليه

« مارا لحريل يوصيني بالجار ، حتى طننت أن سيورثه »<sup>(٢)</sup>

والأكثر الذين قد عي بعض الطوائف بالدب ، فإنه لم يرد ذلك في مقتصر

الرحمة عليهم لأن المقصود - كما يقول رسول الله - لرحمة العامة ، لرحمة التي

تعم العالم بأكملها بل تتجاوز إلى لعولم الأخرى كل لعولم الأخرى ، ولذلك قيل

تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) نصيحه لجمع لا بصيحه

نصرد

ونحتتم هذا الحديث بية كريمة من سورة المائدة بين الله فيها شيئا من

حكمته من إنزال الدين الإسلامي . . . يقول تعالى :

﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام

ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴿ المائدة : ٤٦ ﴾

فبين إدن بشر السلام ، وإخراج من الظلمات وهدية إلى الصراط

المستقيم ولاشك أن كل ذلك بعض معاني برحمته ولاشك أن لرحمه حرم ما

يهدى إلى الإنسانية وخير ما يصدر عنها .

\* \* \*

---

منقول عنه

١- أخرجه الإمام أحمد والبخاري ومسلم، وأبو داود والترمذي عن ابن عمر وأخرجه أيضا الإمام

أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن عن عائشة - رضي الله عنها

## في فضل سورة آل عمران

١- عن أبي أمامة الباهلي، رضى الله عنه، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول

« اقرءوا ، لقرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شميعة لأصحابه، اقرءوا لرهأوين اسقرة » وسورة آل عمران، عليهما يأتيان يوم القيامة كأنيهما عمادتان أو عبيدان ، وكأنيهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابيهما فراءو سورة بقره فإن احدها بركة وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة » .

قال معاوية بن سلام « تلفى أن البطلة السحرة » .<sup>(١)</sup>

« العبد يتنزل » مشى عيابة - بعين معجمة، ويأين مشددين تحت - وهي كل شيء طل لاسن فوق رأسه كالسحابة والعاشية ، ونحوها »<sup>(٢)</sup>

٢ وعن الترمذي بن سمعان ، رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« يؤتى بالقمر يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا، تقدمه سورة اسقرة وآل عمران »

وصرت لهما رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، ثلاثة أمثال ما سيئهن بعد فإن

كأنهما عمادتان أو ظلتان سود أو بيتهما شرق أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبيهما » .<sup>(٣)</sup>

---

١- أو مستم

٢- السريخ والرهيب للحفاظ، يندري

٣- رواد مسلم والترمذي وقات حديث حمير غريب

ومعنى هذا الحديث عند أهل العلم أنه يجزئ ثواب قراءته كد قسري بعض  
 هل لعلم هذا الحديث وما يشبهه من الأحاديث أنه يجزئ ثواب قراءته الصريح وفي  
 حديث بواس - يعنى هذا - ما يدل على ما فسروا به قال «أنه ليس كما  
 يعملون به في الدنيا، معنى هذا دلالة على أنه يجزئ ثواب العمل  
 «قوله سبحانه شارق» هو - تمتح المحممة، وقد تكسر وسكون الراء بعدهما  
 فاف بينهما فرق يصيء» (١) .

٢- وعن ابن بريدة ، عن أبيه ، رضى الله عنه ، مرهوعا  
 « تسمى البقرة وآل عمران فيهما الزهراوان يطلان صاحبهما يوم القيامة  
 كأنهما عماسان أو عياتان ، أو حرفان من طبر صواف »<sup>٢</sup>  
 ٣- وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي في شعب الإيماء عن عمر بن  
 الخطاب ، قال

« من قرأ البقرة وآل عمران واستاء كتب عند الله من الحكمة »

٥- وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الملك بن عمير ، قال

قرأ رجل البقرة وآل عمران، فقال كتب

قد قرأ سورتين فيهما الاسم الذي إذا دعى به استجاب .

(١) ﴿ اسم ﴾

بها أولية عن سورة آل عمران ، وكما بدأت سورة البقرة بهذه لأنه كذلك  
 بدأت سورة آل عمران وهي القرآن الكريم عدة سور بدأت بحروف محتلمة أحياء  
 ومتشابهة أحياء أخرى .

١ - مثل كتاب الرعيب والترهيب

٢ - رواد نحاكم وقال صحيح على شرط من

وقد أثارت هذه الحروف تفسيرا وحداً ونقاشاً

ومن اصح الآراء هي ذلك

انها من المتشابهة التي لا يعلمه إلا الله تعالى قال أبو بكر لصديق، رضى الله عنه

لله غروجل هي كل كتاب سر، وسر الله في القرآن الكريم وابل السور  
بما عدا ما ذكر رضى الله عنه، هو ذلك سبعان، ثوري ولشعبي وعامر

و في هذا المعنى ذهب أبو صالح، ومن ريد، وبذلك أيضاً قال جماعة من  
محدثي الصدوقا هي سر لله تعالى في القرآن ولله في كل كتاب من كتبه سر  
مهم من التشابه الذي يصره الله تعالى بعلمه ولا يحب أن يتكلم فيها ولكن يؤمن  
بها، ويقرا كما يجب

رحم رضى هذا القول عن الإمام علي، رضى الله عنه وكثير غيره بالطريقة  
الجمعية لتفسير الحلايين، هي انه كلما وردت هذه الحروف هي أو ثل السور بقول  
كلمته لتي لا تتميز

ه انه أعلم بمראה ه، وهذا هو الرأي الذي سبر عنه .

ومع ذلك فقد قيلت آراء أخرى، منها أنها

١ - أسماء للسور .

٢ - هذه الحروف المقطعة، بما هي سم لله الأعظم ولكنها لا تعرف  
كيف يتلف منها

٣ - لرى الذي يبدو أن الشيخ محمد عنده يؤثره هو

عدد الحروف السبعة في حروف الهجاء ذكرها لله تعالى في القرآن الكريم  
حيث بدأهم بأسرار ومن أهم به مؤلف من هذه الحروف لتي يتألف منها كلام  
بني وذلك يومح في عجزهم عن الإتيان بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة  
من مثله مع به مؤلف من الحروف التي يتألف منها كلامهم وبكلمة به

( ٢ ) ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾

والقيوم هو القائم على كل شيء ، إن القائم على كل نفس بما كسبت حتى  
تجريها أعمالها إن حيراً ، فحيراً وإن شراً فشرّاً ، أو نعوذ وعلى كل حارحة  
وعلى كل يابس ورطب ، وعلى الكون كله . سمائه وأرضه ، وما بين السماء والأرض  
وهذه الآية انكريمة أثارت عند بعض الناس فكرة : أثارت وما تزال تثير  
لتسؤل تلك هي فكرة : اسم الله الأعظم

عن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال : اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين .

﴿إِلَهُكُمْ اللَّهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ . سورة ٢

وهاتحة سورة آل عمران ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾

وروت الآثار أن اسم الله الأعظم هي ثلاث سور البقرة ، وآل عمران .

وطه

فلما أخذ محبو الاستطلاع يصيرون في الأمر وحيداً ، ان المشتري هو

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ . وقد جاء في تفسير الإمام حسين اسمعيل

روى عنه ، صلى الله عليه وسلم

اسم الله الأعظم هي ثلاث سور هي سورة البقرة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ

الْقَيُّومُ﴾ . البقرة (٢٥٥) وهي آل عمران ﴿إِلَهُكُمْ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾

، آل عمران (٢١) ، وفي طه ﴿وَعَسَى الْوَحْيُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ . طه ١١١

وبعد هاتين الآيتين يذكر المفسرون مباشرة أنه قد نزل أكثر من ثمانين آية من

أول سورة هي وعد نحران

١ رواد أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح

وهو وفد من النصارى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يناقشونه في  
أمر يسى ، ويحدث إليه في أمر عيسى عليه السلام وقد دبر بين الوعد ورسول  
الله صلى الله عليه وسلم مناقشات شديدة ولكنها لم يسفر عن نتيجة هطليه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المذنبه هشوروا فيما بينهم ثم سمعوا

بمعد ذكر المعسرون طرفا من هذه المناقشات هنا وصرفا منها هالك وبكر  
كلها بمعنى لفظا ومعنى وإن كانت تختلف في الإيجاز والاستقصاء

ويروى لأمم لسفوى، ولأمم الحارث وغيرهما القصص على نحو التالي  
تصريف

لن المعسرون نزل هذه لأنه في وفد بحران وكبوا يسى ، تك هدمو  
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبينهم أربعة عشر رجلا من سرهم منه  
ثلاثة من أبيهم يقول أمرهم وهم لعاقب واسمه عبد المسيح وهو مير يمو  
وصاحب مشورتهم ندى لا يصدرون ، لا عن رابه والسيد واسمه الأيهم وهو  
شمالهم المائم بما لهم وصاحب رحلهم ندى يمو بأمر صمهم وسراهم  
و هو حاربه بن علقمة وهو أسقمهم وحمرهم وكان ملوك لروم بكرموبه لما سمعهم  
عن عيسى وحتهم في دسه، فدخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وايما وفدا مثلهم

وقد حاب صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله، صلى الله عليه  
وسلم فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم دعوهم

فصبروا إلى المسروق فلما فرغوا كلم لسيد وبعاقب رسول الله صلى الله  
عليه وسلم

فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلما .

فلا قد سمعا قبيك ؟

قال كدسما بهمكم من الإسلام دعواكما لله ولد وعبدتكما الصناب  
وكلكم الحمر

فلا ب ب يكي عيسى ولد الله هم أبوه ؟ وخصموه جميعا في عيسى

هنا السي صلى لله عليه وسلم أستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو  
بشبه أباه ؟

قالوا بلى

قال أستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عبه الموت ؟

قالوا بلى

قال أستم تعلمون أن ربنا قدم على كل شيء يحفظه ويرقيه ؟

قالوا بلى

قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً ؟

قالوا لا

قال . أستم تعلمون أن الله لا يحمى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء ؟

قالوا بلى

قال فهل يعلم عيسى من ذلك إلا ما علم ؟

قالوا لا

قال أستم تعلمون أن ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل

ولا يشرب ؟

قالوا بلى ،

قال أستم تعلمون أن عيسى حمته أمه كما تحمل المرأة ، ثم وضعه كم

بضع المرأة ولدها ثم عدى كما يعدى الصبى ثم كان يطعم ويشرب ويحدث ؟

قالوا بلى

قال فكيف يكون إنها كما زعمتم ؟ . .

فسكوا .

فأمر الله صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها ، فأمر الله ردا

عليهم

﴿ آتَمَ ۖ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ ﴾ .

يعنى إن كانت مبارعتكم ، يا معشر البصارى ، هى معرفة لاله فهو لله الذى

لا به إلا هو فكيف نشئون له ولداً ؟ هين تعالى أن أحد لا يستحق العبادة

سواه لأنه الواحد الأحد ليس معه إله ولا له ولد ثم أتبع ذلك بما يجرى مجرى

بدلالة عليه فقال تعالى ﴿الحي القيوم﴾ ما ﴿الحي﴾ في صفة الله تعالى فهو  
الذي لا يموت ولا يضره الموت وما القيوم فهو القائم بذاته ومانع بتدبير  
لخلق ومصالحهم فيما يحتاجون إليه في معاشهم ومعادهم

(٣٠) ﴿رب علين الكتاب باحق مصداقاً لما بين يديه وأمرل التوردة ولاخيل﴾ من قبل  
هدى الناس وأمرل التوردة أن الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ﴿  
(٥)﴾ إن الله لا يحق عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿

(٦)﴾ هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴿

خرج عبد الحميد ، وابن جرير عن قتادة في قوله ﴿يرل علين الكتاب  
صحق﴾ قال نصران ﴿صحق ما بين يدي﴾ من الكذب لما قد حلت فيه ﴿رب  
التوردة ولاخيل﴾ من قبل هدى للناس ﴿هما كتابان أنزلهما الله فيهما بيان من الله  
وعصمة من بعده وصدق به وعمل بما فيه﴾ و ﴿رب التوردة﴾ هو لقراء فرقته  
بين الحق والباطل فأحل فيه حلاله وحرم فيه حرامه ، وشرع فيه شرائعه ووجد  
فيه حدوده وقرص فيه فرائضه وبس فيه بيانه ومرتبطه ونهى عن معصيته  
وهو ﴿التوردة﴾ من عبادة ، ولحمهور ، انه القرآن ، قال أبو عبيدة  
سمى القرآن فرقاً لأنه فرق بين الحق والباطل ، والمؤمن والكافر

وبلاحظ القارئ ان الله سبحانه عز بكلمة ﴿رب﴾ في القرآن ، بكرم  
وعز بكلمة ﴿أمرل﴾ في التوردة والانجيل وذلك لان كل واحد منهما يرل في مرة  
واحدة ، ويرل يقرآن في مراتب كثيرة

وم من شك في ان بيان الله سبحانه ، كلها هدى للناس بل إنها كائنات  
صدقة عبدة إنها الاسلام وبها لتوحيد والله سبحانه ، ومعنى يمول

﴿إن الذين عبد الله لإسلام﴾

فإذا ما انحرفت الأرب عن طريق الله وبد ما حرفت فإنها لا تكون هدية  
ولا تكون صدقة في التعبير عن الهدى التي رسمها الله تعالى للإنسان

وفي ضوء هذا بهم كلام قتادة لسان



وعلم الله، تعالى، شامل لكل شيء ، بسيراً كان أو عظيماً . ولقد حص الله  
لأرض والسما بالذكر هنا ، لأن حص الإنسان لا يتجاوزهما

وعن علم الله، تعالى، بمول القرآن الكريم  
﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة  
إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ (الأنعام ٥٩).

ويقول، سبحانه وتعالى  
﴿ وَإِذْ تَجَاهَرُ بِالْقَوْلِ فَيَدَّبُّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ رَاحِمِي ﴾ (طه ٧) .

ويقول عز وجل -  
﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ (عافر ١٩)  
وهو، سبحانه، الذي يكلم الإنسان في جميع أحواله . صد أن كان قطعة  
فيصوره في الرحم كيف شاء ، بحسب علمه وحكمته .  
(٧) ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب و حر متشابهاً  
لما الدين في قلوبهم ربيغ فينبغون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله  
والراسخون في العلم يقولون أما به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب ﴾

هي هذه الآية الكريمة عدة روايا تحتاح إلى إيضاح  
أولاً عن المحكم ما هو ؟  
وهيه لأراء، كلها تلتقى دون تعارض ، منها :  
(أ) أنه احلال والحرام ، روى عن ابن عباس ، ومجاهد  
(ب) أنه ما علم العلماء تأويله .  
(ج) أنه ما استقل بمعبه ، ولم يحتج الى بيان ، ذكره القاصي أبو يعلى عن  
الإمام أحمد، وقال لشافعي وابن الأنباري:  
هو ما لم يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً .  
(د) أنه لأمر والنهي، والوعد والوعيد والحلال والحرام ذكره ولدى  
قيله القاصي أبو يعلى .

وأخرج عبد بن حميد ، عن ابن عباس قال  
المحكمات - الحلال والحرام -

يتصل بذلك ما

أخرج ابن الصرس وابن حريز وابن المدر ، عن ابن مسعود قال  
"نزل القرآن على خمسة أوجه - حرام وحلال ومحكم ومتشابه ومثال - فاحل  
لحلال وحرم للحرام و من بالمتشابه وأعمل بالمحكم واعتبر بالأمثال

وأما عن قوله تعالى : ﴿ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ ﴾ ، فهي أصله .

قال ابن عباس وابن حنبل فكانه قال هن أصل الكتاب ، لو أني أعلم  
عليهن في الأحكام ، ومجمع ، الحلال والحرام أما عن المتشابه فعبارة لاسلامه ،  
منها

( ) أنه ما لم يكن للعلماء إلى معرفته سبيل كقيام الساعة روى عن حابر بن  
عبد الله

(ب) أنه الحروف المقطعة كقوله ﴿ أَلَمْ ﴾ وبحو ذلك ، قاله ابن عباس

أما عن الموقف من « المتشابه » فقد روى الشيخان عن عائشة ، رضي الله  
عنها ، قالت -

« لا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، هذه الآية

﴿ هو الذي نزل عليك الكتاب من آيات مُحْكَمَاتٍ ﴾ ، بن حريز وقال

فقد رايه الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحدروهم  
والذين في قلوبهم مرض هم المذنبون على ما قاله ابن حريز

و ساق قد يكون طاهرا حبيب يشعر به صاحبه ويحميه ، وقد يكون نسيب  
ومن علاماته النحت في المتشابه .

و المراد بالمتشابه أنها الكفر ، قال أسدي والربيع ومقاتل وابن فتيبة  
وقد يكون المراد الشكوك .

وقد يكون لمحاولة للإيقاع بين أفراد الأمة وطوائفها ، وليهود في ذلك سهم  
موفق

وهو يعلم الراسخون تأويله أم لا ؟

إنهم لا يعلمونه وإنهم مستأنسون وقد روى طاووس عن ابن عباس أنه فر  
 ويقول براسحون في العلم، أما نه ( وإلى هذا المعنى ذهب ابن مسعود ) وبن  
 كعب وابن عباس وعروة وقبادة، وعمر بن عبد العزيز والصرياء وغيرهم  
 وثعلب، وابن الأسدي، والجمهور .

وخرج ابن جرير عن عروه قال :

إن براسحون في العلم لا يعلمون تأويله، ولكنهم يقولون أما نه كل من عند ربنا  
 وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن بن شعثاء وأبي بهيك قالا إنكم  
 تقولون هذا الآية وهي مقطوعة وما يعلم تأويله إلا الله رب براسحون في العلم يقولون أما  
 نه كل من عند ربنا ؟ فانتفى علمهم إلى قولهم أبدى قابو

وأخرج بن سعد وابن لصرس في فضائله وابن مردويه عن عمرو بن  
 سعد عن أبيه عن حذاف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على قوم  
 براسحون في القرآن وهو معصب فقال

بهذه صلت الأمم قبلكم باحتلافهم على أنبيائهم، وصرب انكتاب بعضها ببعض  
 ها

والقرآن لم يزل ليكتب بعضها بعضاً ولكن يزل يصدق بعضها بعضاً فما  
 عرفتم منه فاعلموا به، وما تشابه عليكم فامسكوا به

وأخرج طبري عن بن مالك الأشعري، أنه سمع رسول الله، صلى الله عليه  
 وسلم، يقول

لا أحب أن يمتد على امتي ثلاث خصال أن يكثر لهم مال ففسدوا  
 عيشهم وأن يصح لهم الكتاب فيأخذوا المؤمن يبتغي تأويله وما يعلم تأويله لا الله  
 ربنا سبحانه في العلم، يقولون أما نه كل من عند ربنا وما يذكر لا أولو الألب وأن  
 يرداد عنهم فيصيعوه ولا يبايئون به »

ويحس برى نه مهما قيل هي تفسير لمتشابه من هذا الرأي، و قد قال كل ما  
 يتبعو بدأت الله وبصماته فإنه من المتشابه، وكل ما يهيبا عن سبحانه فيه فيه من  
 لمتشابه مثل لمدروا أهبال لإنسان - أمسبر أم مخير

ويجب أن يسمي في ذلك حتى ينتهي تنويع بله إلى الحدة في هدير  
 لأمرين هقول وبالله التوفيق

\* \* \*

## مشكلة القدر

« اتبعوا ولا تبغوا فقد كفيتم » . هذه لكلمة لعبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه تلخص المنهج الذى نحب أن يسير عنده العالم الإسلامى فى أمر العقيدة نحب أن يسير عنده رأيا وفكرة ، ونحب أن يسير عنده - من قبل ذلك استعدادا وتأهلا .

وهذا الاستعداد والتأهل هل يتأتى على الخصوص بوساطة دور التعليم فى جميع مراحله ، وبوساطة الصحافة ، والكتب التى تنشر وهذه الكلمة المميسة تنابع فى معناها مالا نكاد نحصى من الآيات لقرآنية . والأحاديث النبوية والآثار التى وردت عن كبار الصحابة وكبار التابعين بقول تعالى

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾

( المائدة ٣ )

لقد كمن الدين ، فكفانا الله كل اشتداع ، وإذا كان الدين كاملا ، فما عينا إلا لاتباع أما طريقة لاتباع ، فقد حدهه الله فى الآية الكريمة بقوله ، تعالى ﴿ هو الذى أسرى عبث الكتاب منه آيات محكمات هن فى الكتاب وآخر متشابهات ﴾ . والدين فى قلوبهم ريح فيسعون ما تشابه منه يتغاثفونه ، ويتغاثفون ما يشابهه ولا الله ولا من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴿

والطريقة إذن أن نتبع ، الآيات المحكمات فى فهم ووعى وتأيد ، وهى ليست مثار جدل ولا حصومة ، وليست محل نزاع يحتدم ، أو أهواء تثور ، وأن يؤمن بالمتشابه كما ورد . والأنتبعة مأولين هان تتمع المتشابه ، إنما يشأ عن القلوب التى تلوب بالريح والانحراف ، وهى التى تتبعه انتفاء الفتنة ، وتتبعه لتأويله ، وتأويله إنما يعلمه الله .

ولكن ما هو هذا المتشابه ؟

بما حلف فيه أنمتنا ولا يريد أن يعرض لهذا الاختلاف وإنما يريد ر  
بمول في طمئنة وثقة

ب. أسائل التي هي الرسول، صلى الله عليه وسلم عن لحوص فيها  
والسائل التي كان الانحاء، لعدم في عهد الحلفاء لراشدين بصر من الحوص فيها  
هي من المتشابهة

فالمتشابه إدس هو ما تفر منه، لروح العامة للدين الإسلامي هي هذه الأول  
عهد برسول صلى الله عليه وسلم، وحلفائه الراشدين وتخرج من الحوص  
هه

#### مثل مادا ٩

ما نولي مسائل المتشابهة التي يريد أن يتحدث بتوفيق لله عن شيء من  
تاريخها هي : مسألة المدبر،

نقد شعلت مسألة المدبر أو الحبر والاحتجاز، أو هجر عباد عموم  
الإنسانية بعد أن كان الدين أي مبدأ ابتداء الإنسان على ظهر الكرة الأرضية  
وإذ أثبت مسألة المدبر في أي وسط كان مهما كان قليل العدد فيها، فسمه  
إلى قسمين يقول أحدهما بالحبر و الآخر يقول بالاحتجاز

لقد أثارها اليهود في دينهم، فصرخت بينهم وقال بعضهم بالحبر وقال  
الأخرون بالاحتجاز

وأثيرت في الحياة لصراية على معرى بتاريخ فكان سراع والحد، وكان  
الحبر لرأى و شعصب له و تقسم رجال المسيحية إلى فريقين يختصمان  
و راد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن يتلافى اشقاق الأمة بسبب  
شدة هذه المشكلة فكان يهي دائما عن ثارتها وعن انحدال فيها

روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال

« حرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه ذات يوم وهم  
يتراحمون في المدبر فحرج معصب حتى وقف عليهم، فقال يا قوم بعد صلت  
الامم قبكم باختلافهم على أنبيائهم، وصر بهم بكتاب بعضه بعض، وإن لقرا لم

يرل يتصرفوا بعصه ببعض ولكن برل القرآن فصدق بعصه بعضا ما عرفتم منه  
فعملوا به، وما تشابه فأمو، به »

وعن أبي هريرة قال حرج عب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن  
نتنازع في «قدر» فعصب حتى احمر وجهه، ثم قال

« بهذا أمرتم، أم بهذا أرسب إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا  
في هذا الأمر . عزمت عليكم ألا تنازعوا »

وانتد رسول الله، صلوات الله وسلامه عليه، موقفا حاسما ما بالنسبة  
لمع الخلاف في هذه المسألة، أو حتى مجرد إثارتها

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم، راضيا مرضيا وهو لا يسمح حتى  
النفس الأخير من حياته الشريفة، بأن تثار هذه المسألة

ولم تثر هذه المسألة في عهد سيدنا أبي بكر لانشغال المسلمين بتوطيد دعائم  
الامة الاسلامية، مصروفين بذلك عن العبث حول دين الله

وكانت مدة سيدنا عمر كفيلة برد كل من تحدثه نفسه بإثارة هذه المشكلة  
إلى حادة لصواب.

ومسألة القدر إذن من المتشابه إنها من أهم مسائل التشابه وهي فصلا  
عن ذلك عصرية على الحل إنها ليست قابلة للحل وهي ليست قابلة للحل سواء  
أثيرت في الشرق أو في الغرب وسواء أثيرت في القديم أو في الحديث أو أثيرت  
في السادة أو في الحضر إنها ممرقة بين الباحثين فيها ومهما طال جدل بينهم  
فسوف لا ينتهون إلى نتيجة ومن أجل ذلك كانت لروح الإسلامية العامة تحرم  
الحوم فيها

ومع ذلك فقد بدأت هذه امشكلة تتسلل، شيئا فشيئا إلى المجتمع الإسلامي ،  
حتى لقد احتلب يوماً ما مركز الصد ره هي الفكر الإسلامي النظري

ولقد مهدت لسياسة أولا لهذا لتسلل وكانت السياسة أول عامل من عوامل  
هسا لتفكير النظري بديهي هي المجتمع الإسلامي السليم

كتب معاوية بن أبي سفيان بعد أن تولى الملك - إلى المعيرة بن شعبة بطلب

منه ان يكتب إليه بالحدِيث الذي كان يقولهُ ، صَوَاتُ اللَّهِ وسلامه عليه احديا وهو على اسمهِ هكتب إليه المعيره أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم كان يقول هي دير كل صلاة إذا سلم

« لا إله الا الله وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطى لما منعت ولا زاد لما قضيت ولا ينفع ذا جند منك، تجد ».

وأحد معاوية يذيع هذا الحديث الشريف من فوق المنابر مؤمنا بأنه من عوامل توطيد مركزه في الأمة

هذا الاستعمال لسياسي للأقوال الشريفة ، أثار بعض الصمائر التي لم نظم من بلحصوص و لا تقبذ له، فهو يعارضون فكرة الحر التي أحد معاوية بها مستندا إلى هذا الحديث الشريف .

ولسا لأن يصمد التاريخ الكامل لهذه المشكلة ، ولقد بينا الآن على الأقل أمرين

أحدهما أن هذه المشكلة من التشابه ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن الخوض فيها .

ثانيهما : أن السياسة هي التي بدأت بإدخال هذه المشكلة في البيئه الإسلامية

أما نتيجة التي يريد أن تصل إليها من وراء كل ذلك فهي أن البحث في هذه المسألة يجب أن يتزع كلية من محيط الفكر الإسلامي، وأز تتزع لمسألة مما يسمونه علم الكلام فإذا ما فعلنا ذلك فربما يكون قد أزلنا سببا هاما من الأسباب التي تفرق المسلمين بسبب الاختلاف في العقيدة ، ويكون بذلك قد ساهمنا بعمق وأهر في سبيل التوحيد

\* \* \*

## مشكلة الصفات

(١) يقول الله، تعالى

﴿ سبحانه رب العزة عما يصفون ﴾ { الصافات ١٨٢ }

ويقول سبحانه ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ { الشورى ١١ }

ويقول ابن عبد البر المتوفى سنة ٤٦٢ هـ - مستنقحا ومرشدا

« . الله ليس كمثله شيء فكيف يُدرَك بقياس أو يدعى بظن »

ما حكماء اصبر من لمدماء فربهم يمولون في حكمه حكيمه « مجال  
على من يمتنى أن يكشف النقاب الذي تقب به من لا يمتنى »

ومن يمتنى هو لإنسان

ومن لا يمتنى هو الله الباقي

وسواء نظرتما إلى التراث الدينى الصحيح من قرون أو سنة و نظرت إلى  
اصحاب الآراء السليمة التي فهمت الأوضاع الدينية فهما بتلاءم مع الروح الصحيح  
لتدوين قسا بعد ان الاتحاه لعام هي ذلك كله يبتعد بالإنسان ابتعاداً تاماً عن أن  
يقول هي الله، سبحانه، ذاتاً وصفاتاً - برأيه .

« تفكروا في لاء الله ، ولا تفكروا في دانه فتهلكوا »

إن هذا الأثر يرسم النهج السليم ، ويعبر عما يجب أن يكون عليه الإنسان إذا  
أراد السجدة وابتغى السلامة .

وما من شك في أن البحث في الدب و الصفات ، الإلهية من ناحية لفظة  
سبهما نوحيد ، أو تمايزا والبحث في الصفات الموهمة لثبتيه شيئاً و تأويلا  
« ما هو نهج من الإنسان على مقام لا يرقى إليه وهم موهوم ولا حيل منحيل وانه  
لحق أن كل ما حطر بيانك فانه بخلاف ذلك .



وهذا كدر من الطبيعي أن يقدر الباحثون أنفسهم باعتبارهم من البشر حق قدرها ، وأن يقدروا الله ، حق قدره .

ولو سار الأمر على هذا السق لما تطاول البشر إلى مقام الله ولم تحاوروا حدودهم وبالتالي لما كان هناك اختلاف وتنازع واقتراق في موضوع الصفات الإلهية.

ولكن بعض الباحثين لم يلتزموا بحدودهم كأفراد من البشر وعرفهم عقلهم وحدتهم شيطانهم فحاولوا بمقولتهم أن يفتروا على الله ما لم يرسل به سلطاناً فكانت المشكلة الثانية هي علم نكلام مشكلة الصفات - التي أثارها الجدل وخصومه والتفرقة بين المسلمين وجعلتهم فرقاً تتنازع وتتخاصم ، ويرمي بعضها ببعضاً بالانحراف والضللال .

(ب) وبشأت المشكلة حينما بدأ الباحثون يتعرضون للآيات التي وردت في القرآن بكريم ، والتي توهم التشبيه ، كالبعد والوجه ، والامتلاء ، أو التي وردت في الأحاديث كالنور ، والصورة ، والأصابع .

بدأت المشكلة حينما تعرض بعض الباحثين لهذه الألفاظ وأمثالها تدويلها أو نمياً لمعناها ، أو تفسيراً وشرحاً .

ومنذ أن بدأ الحديث فيها بدأ الجدل حولها والنزع ، واستمر خلال تعصور عصراً تلو عصر ، ولا يزال لأن بشار الجدل بين أنصار الإمام الأشعري ، وأنصار الإمام ابن تيمية .

وكان النزاع حول موضوع الصفات وصلبها بالذات على وجه العموم يميز في هدوء أحياناً ، وفي عنف أحياناً أخرى

وقد تولد عنه كثير من المشاكل الدائمة « كمشكلة خلق القرآن » والمشاكل المبللة للأفكار والخواطر ، كمشكلة « الإصلاح والأصلح »

وجئت هذه المشاكل وكثرت وتعددت ، كدليل وضح على عجز العقل البشري تجاه العظمة اللانهائية الإلهية .

ومع الإحصاء المتتابع في بحث في هذا الموضوع، منذ الأمد استطولة فإن  
بشربته ثم ترعو ولم تنعط، ولا تزال مستمرة في البحث، تتحبط فيه وتتارح  
وسجدل بحصم

(ج) والحكمة كل الحكمة إذن، إنما هي موقف سلماً الصالح رسول الله  
عليهم فقد هدتهم نزعهم الدنية السليمة إلى الموقف السليم، وهدوا الله حق  
قدره وهدوا أنفسهم حق قدرها، فسلموا من النسيئة والاضطراب وسلموا من  
النار والاختلاف، وكنوا فرقة واحدة

لمد اتحدوا منذ أساسياً، وقاعدة لا مراء فيها ولا شك هي قوله تعالى  
﴿ ليس كمثله شيء ﴾ (الشورى ١١)

وهذه الآية نسيب كل تشبيه سلباً مطلقاً، فاحترس سلماً الصالح عن التشبيه  
حتى جاء من حرب يده عند قراءة قوله تعالى ﴿ حلف بيدي ﴾ من ٥٥ ، ١٠ و أشار  
بأصبعه عند رواه لحدث الشريف « قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن ،  
وحب قطع يده، وقطع إصبعه .

حذر السلف عن التشبيه ، ولكنهم حثروا عن المعطيل أيضاً فهم يشيرون  
لله تبارك وتعالى بقرآن الإرادة ، والعلم ، والصناعات الكريمة التي ورد بها القرآن ، كريم .  
والموقف الذي يقفه من أراد متابعة السلف الصالح إذن، تجاه كلمات الصورة  
والبدن و المروء ، إنما هو الإيمان بها مع التزبه لله ، تعالى عن الجسمانية  
وتوابعها وليس معنى ذلك ، أن هذه الألفاظ معطلة عن المعنى بل لها معنى يبين  
بجلل الله وعظمته مما ليس بجسم ، ولا مرض في جسم

و من يؤمن بأن ما وصف الله ، تعالى ، به نفسه أو وصفه به رسوله ، صلى الله  
عليه وسلم فهو كما وصفه ، وحق بالمعنى الذي أراده وعلى الوجه الذي قاله

و ألا يحاول لها تفسيراً ولا تأويلاً :

وشعار السلف معروف في أمثال هذه الكلمات

أنه «أمروها كما جاء» .

وكتبوا يذكرون في هذه الظروف الآية القرآنية لكريمة

﴿هو الذي أرسل علينا الكتاب مع آيات مُحْكَمَات هي أم الكتاب وأخر متشابهاً لما  
الدس في قلوبهم ريح فينبعون ما يشبهه من انتفاء الفتنة وبتقاء التأويله وما نعم تأويله إلا السد  
بم سجون في العلم يقربون ما به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾

ولا معاص من يريد أن يحترز عن الريح، من ر يمتنع عن التأويل والتفسير  
وإن بُر هذه الكلمات كما جاءت.

ويخلص لإمام الزاري في كتابه «أساس لتقديس المذهب السلي» هي  
كلمات موجزة بقيقة كل له فهم

«ن هذه المشابهات ، يجب أنقطع فيها بأن مراد الله تعالى فيها شيء  
غير طواهرها ثم يجب تصوير معانيها إلى الله تعالى ولا يجوز الحوص في  
تفسيره

هذا هو مذهب السلف في الصفات ، وهو مذهب لا يثير جدلاً ولا خصومة ،  
وليس من طبيعته ذلك ، إنه مذهب العبودية الصريحة

وهو المذهب الذي يتمذهب به كل من عنده نزعة التدين لسليمة

وهو مذهب الإمام مالك و الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل  
والسلف الصالح ، رضي الله عنهم .

ومن الطبيعي أن يكون مذهب المراقبة اساحية

ويجب على كل مسلمين ، لما فهم لديهم ، أن سفروا في جميع أنحاء ممالكه  
الاسلاميه ، وهو معانيه في عقولهم وهو رسالة يجب عليهم نشرها منذ لبحيرة



وهذا الله عما مترتب على قوله تعالى

﴿ فاما الذين في قلوبهم ريحٌ فيتبعون ما تشابه منه ﴾

فدعا ليرسخون في العلم ألا يبيع قلوبهم بتتبع انشائه واسمحت فيه

وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

« اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك »

وأخرج ابن حاتم وصححه عن حابر قال كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم. يكثر أن يقول

يا مصب القلوب ثبت قلوب على دينك »

ويقول الراسخون في العلم - أيضاً

( ٦ ) ﴿ ربنا انت جامع الناس ليوم لا ريب فيه ربنا لا يحلف لمعاد »

وديك بشبه لتعجيل لدعائهم بعدم الريح وذلك ان الله تعالى سبحانه

لناس يوم بقيامه للحساب والراسخون في العلم ملهم كسر في الا يكون في

قلوبهم يوم الحساب شيء من الريح يحاسبون عليه »

ثم يقول الله تعالى

( ١٠ ) ﴿ ان الذين كفروا لن يعي عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيء ولا يشعروا

ساراً ﴾

( ١١ ) ﴿ كذلك فرعون والذين من قبلهم كذبوا باياتنا ففهم الله يدوبهم وانه شديد

العقاب ﴾

وبشبه هذا ما يقوله الله تعالى .

﴿ وما من امة الا اولادكم بالتي نفرتم عنها رلني ﴾ ( ١٢ - ١٣ )

ومهما نعت بهم رخارف الحياة الدنيا فسيأخذهم الله احد عزيز مستدر في

الدين ، اما هي لأخرة فإنهم حطب النار

وما مثل صفيهم في كسر إلا كمثل صبيح ال فرعون ، ومثل صبيح من كذبوا

في ال فرعون الذين كذبوا بايات الله هكل الله - تعالى - بهم بسبب تأمهم

وقد ورد في أحد الله الناس بدنوبهم قوله تعالى  
﴿يَوْمَ تَأْتِي سُورَةُ الْاَنْعَامِ لَتَذُنَّ عَلَيْنَا الْاِنْسَانُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف ١٦٦).

وقوله، سبحانه

﴿لَوْ يَرَى الْاِنْسَانُ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ ذُنْبٍ وَرَكَ يَرْجُوهُ إِلَىٰ اٰخِرِ

مَسْمًى﴾ (هاطر ١٥)

وقوله تعالى

﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ مِنْ مَّصِيبَةٍ فَمَا تُسَبِّحُونَهَا كَثِيرٌ﴾ (شورى ٢٠)

وقد وردت أحاديث في هذا المعنى، منها ما أخرجه ابن عساکر عن السراء

رضي الله عنه، قال قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم

« من عشرة ولا احتلاج عرق، ولا حداث عود إلا بما قدمت يديكم، ومن

نصر الله أكثر »

و إذا كان الله، تعالى، يأخذ لأثمين بدنوبهم فإنه، سبحانه، يرصم ويحفظ

ويثبت المستعمر والمغيب إليه والمتقى ، يقول، سبحانه

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق ٢٢ ٢٣)

ويقول، تعالى

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ سَبِيلًا وَيُخْرِجْهُ مِنْ أَرْضٍ مَوْعَدَةٍ﴾ (الطلاق ٢٤)

ويقول سبحانه

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (الطلاق ٢٥)

و بدوب من أمسياب الهزيمة و لحدلان في، لحيوش ، وقد أعلن ذلك سيد

عمر، رضي الله عنه، متابعاً للجو القرشي

﴿إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصَرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (معد ٧)

(١٢) ﴿ فَرِ لِلدِّينِ كُفْرُوا سَاعِلُونَ وَتَحْشُرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَسِ الْمَهْدِ ﴾

(١٣) ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فَنِّي التَّفَافَةِ تَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَحَرَى كَافِرٌ بِهِمْ مِنْهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَلِلَّهِ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾

وهؤلاء الذين كفروا مكذبين بآياتنا بأنهم مهما سموا من القوة فإنهم سيعذبون في هذه الحياة الدنيا، أما في الآخرة فإنهم إلى جهنم ونفس المهاد

أخرج ابن إسحاق ، وابن جرير ، والبيهقي ، في الدلائل ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لما أصاب ما أصاب من بدر ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال

يا معشر يهود ، أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشاً

فقالوا يا محمد لا يفرك من نفسك أن قتلت نمرًا من قريش كانوا أعمار لا يعرفون القتال ، إنك ، والله ، لو قاتلتنا لعرفت أن نحن الناس ، وإنك ثم ثلث مثلك فأمر الله

﴿ فَرِ لِلدِّينِ كُفْرُوا سَاعِلُونَ وَتَحْشُرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَسِ الْمَهْدِ ﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فَنِّي التَّفَافَةِ تَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَحَرَى كَافِرٌ بِهِمْ مِنْهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَلِلَّهِ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ .

وإذ كانت الآيات قد برزنا في ظروف خاصة ، فإنها بمصهورها مما لا تخصصان برمان محدود ، ولا مكان معين ، يقول تعالى

﴿ وَإِنْ جُنَدَا بِهِنَّ الْغَابِرُونَ ﴾ (الصافات : ١٧٣)

إنهم العالون في كل زمان وكل مكان مكان ، ما استقاموا على طريق الله سبحانه وتعالى .

(١٤) ﴿ رين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقطورة من الذهب والفضة  
والبحر المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الدُّنيا والله عنده حسن الثَّواب ﴾

حكى عن الحسن ، رضى الله عنه ، أنه قال -

« الشيطان زينها لهم وكان يحلف بالله على ذلك ، وحتاحه هي الآية بأنه  
أطلق شهوة فيحل فيها المحرمات، وأن ترينها وظيمة الشيطان وذكر القناطير  
المقطورة وحب المال الكثير إلى هذه المعاني لا يليق إلا بمن جعل الدنيا قينة طسه  
ومنتهى مقصوده » اهـ .

والقناطير المقطورة تعني الكثرة لكثرة ، والخيال المسومة الخيل الحسن  
أخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، عن عكرمة ، قال  
« تسوئها ، حسنها »

والأنعام هي لابل والبقر والغنم ، والحرث : الزراعة .

وكل ذلك إنما هو ملاد الحياة الدنيا ، والله سبحانه عنده حسن المرجع  
ويحب أن يقول - إن نظرة الإسلام إلى الدنيا أنها مزرعة للأخرة، وأنها إذا  
كانت كذلك فإنها حسنة ولذلك كان كثير من الصحابة من كبار الأعياء ، وكان من  
هؤلاء الأعياء من شرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بلحبه وذلك لأنهم  
تعدوا الدنيا مزرعة للأخرة ، وكانوا من الأعياء الشاكرين والعنى الشاكر هو  
العنى الذى يتصدق ويؤلى ويحسن ، وثوانه عبد الله عظيم

ويقول الله تعالى

(١٥) ﴿ أُوْبِكُمْ خَيْرٌ مِنْ دُنْكُمْ لِلدِّينِ أَتَقْوُوا عَسَىٰ مِنْكُمْ خَيْرٌ مِنْكُمْ وَأَنْ تَقْرَأُوا الْقُرْآنَ لَا يَسْمَعُوا سُرُورًا وَلَا حَزَنًا أَلَيْسَ بِالْعَذَابِ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ عَذَابَ اللَّهِ الْكَبِيرِ ﴾

عن ابن سعد الحدرى فيما أخرجه الشيعان - أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، قال

« إن الله عز وجل ، يقول لأهل الجنة ، يا أهل الجنة ،

هيمولون لبيك ربنا وسعديك ،

هيقول - هل رصيتم ؟



هيقولون : وما لنا لا نرصى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ؟

هيقول أنا أعطيتكم أفصل من ذلك .

قالوا : يا ربنا ، وئى شيء أفصل من ذلك ؟

هيقول أحل عليكم رصوانى فلا أسخط عليكم بعده أحد

واناديى اتقوا هم

(١٦) ﴿ الذين يقولون ربنا إنما فاعفُ ربنا ذنوبنا وقد عذاب النار ﴾

(١٧) ﴿ الصابرين والصادقين والقانتين والمنصفين والمستغفرين بالأسحار ﴾

بههم الذين صدقوا بآيات الله التى نزلت على لسان رسوله . وأعلنوا بيمانهم واتجهوا إلى الله ، تعالى . هى حصوع ، يرجوه عصراں الدوب والوقاة من عذاب النار وإبهم الصابرون ، وإبهم لصادقون ، وإبهم لقانسون أى خاصعون لله مطيعون به ، وإبهم ليعفون موانهم فى سبيل الله ، لا يسعون ما انصوا وما ولا أدى ولا يرجون شكورا ، وعادتهم الثابته أنهم يستغفرون بالأسحار

وقد جمعت الآيتان الكثير من صفات المؤمنين .

ومن صفات المؤمنين التصرع إلى الله تعالى بالدعاء ، وقد حثنا الله سبحانه

على دعاء

﴿ وقال ربكم ادعوني استجب لكم ﴾ (اعف ٦٠)

ومن سبحانه أنه قريب ، لا تناعد بينا وبينه حواحر ولا فواصل

﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ﴾ (البقرة ١٨٦)

وهى فصل الدعاء ما يلى

عن أبى هريرة رصى لله عنه ، فيما أحرجه الامام أحمد والترمذى عن

النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال :

« ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » .

وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال . قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم

« الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السموات والأرض » <sup>(١)</sup>

وعن العنبر بن ششير ، رضي الله عنه ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم قال

« الدعاء هو العبادة . ثم قرأ .

﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾ إن الداعي يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴿ <sup>(٢)</sup>

وروى عن أنس ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال  
« الدعاء مَجُّ العبادة » . <sup>(٣)</sup>

وعن عبادة بن الصامت ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال

« ما على لأرض مسلم يدعو لله بدعوة إلا آتاه الله تعالى ، إياها ، أو صرف عنه من السوء منها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم » .

فقال رجل من لقوم : « إذن تكثر » . قال - « الله أكثر » <sup>(٤)</sup>

وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم

« ما من مسلم يصب وجهه لله ، عز وجل ، في مسألة إلا أعطاه إياها إما أن يعجلها له ، وإما أن يدخرها له في الآخرة » . <sup>(٥)</sup>

---

١ - رواه الحاكم ، وقال : صحيح الإسناد - رواه أبو يعنى من حديث علي

٢ - رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث صحيح

٣ - رواه الترمذي

٤ - رواه الترمذي والحاكم

٥ - رواه الإمام أحمد رضي الله عنه

من صماتهم الصبر بمعناه العام، الصبر على الطاعات ، و الصبر عن المفاسد  
ومن صماتهم الصدق، وإن الرجل ليصدق حتى يكذب عند الله صديقا إليهم  
بصدق في الأقوال والأفعال والنيات

ويقول سبحانه :

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة ١٥٢)

ويقول : ﴿وَاللَّهُ يَحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران ١١٦)

ومن صماتهم أنهم قانتون مطمئنون حاشمون في طاعتهم  
ومن صماتهم إصافهم في السر والعلن بحسبهم يستطيعون  
ومن صماتهم الاستغفار في الأسفار ، والسحر هو الرمن الذي قبيل طلوع  
المحرم

ويقول الإمام جمال الدين القاسمي

« وقال الرازي : وأعلم أن المراد منه من يصلي بالليل ثم يتسعه بالاستغفار  
والدعاء ، لأن الإنسان لا يشتغل بالدعاء والاستغفار إلا أن يكون قد صلى قبل ذلك  
فموله

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (آل عمران ١٧٠)

يدل على أنهم كانوا قد صلوا بالليل » ١٠ هـ

وقد روى بن أبي حاتم عن عبد الله بن عمر كان يصلي من الليل ، ثم يقول  
يا جامع ، هل جاء السحر؟

فإذا قال نعم أقبل على الدعاء والاستغفار حتى يصبح

يروى ابن مردويه ، عن أنس بن مالك قال كنا نؤمر إذا صلينا من السر أن  
نستغفر في آخر السحر سبعين مرة .

وروى بن جرير ، عن حاطب قال سمعت رجلا في السحر في ناحية المسجد  
وهو يقول

يا رب أمرتني فأطعك ، وهذا السحر فاعمر لي فظنرت فبدأ هو  
ابن مسعود

وثبت في الصحيحين وغيرهما من المسانيد والنسب من غير وجه عن  
لحمه من نصيحة أب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

« سرور ربنا تدرك ومغالي كل لينة إلى السماء الذي حين يرمى ثلث الليل  
لاحر ، يقول

« من يدعوني فاستجب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستعصرني  
فأعمره ؟ »

ويقول صاحب الكشف الزوايا توسطة بين الصفات لدلالة على كمالهم في  
كل واحدة منها .

( ١٨ ) ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو وألأئكة وأولوا علم قائم بالسط لا اله الا هو العزيز  
الحكيم ﴾

( ١٩ ) ﴿ ان الذين عند الله الإسلام وما خفف الدين أولوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم نعيم  
بعما بهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ﴾ .

( ٢٠ ) ﴿ فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل بلديس وبرا الكتاب والاميين  
الاسم فان اسلمو فقد اهتدوا وان تولوا فإما عيبك البلاغ والله بصير بالعباد ﴾

﴿ شهد الله ﴾ أي بين وأظهر ، لا إله إلا هو وأقر الملائكة بذلك واعترفوا  
وشهد أولو العلم مع الأنبياء مؤمنين بما بينه الله تعالى ، وأظهره ﴿ بالسط ﴾ هو  
لعدل

ويقول الإمام جعفر الصادق وإما كرر ﴿ لا إله إلا هو ﴾ لأن الأولى وصف  
لتوحيد ، والثانية رسم وتعليم ، أي قولوا : لا إله إلا هو

وكثير من الصالحين حين يقرءون هذه الآية الكريمة يقول لواحد منهم وأيا  
شهد بما شهد الله به ، وأستودع الله هذه شهادة وهي بي ودعة عند الله

ومن الأدعية القيمة في هذا المقام قول الرسول

« اللهم فاصر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، لرحمن الرحيم  
بي أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أنك أنت الله لئلا لا اله إلا أنت وحدك لا

شريف لب وأن محمداً ، صلى الله عليه وسلم عبدك ورسولك فلا تكلمني إلى  
 نفسى صرفة عين . لك إن تكلمت إلى نفسى تقرى من الشر وتبعدى من الخير  
 فهى لا أثق إلا برحمتك فاحمل لى عبدك عهداً تؤديه لى يوم القيمة إلت لا  
 تحلف الميعاد »

### أما عن «الدين» فيقول الرحاج

« الدين » اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه ، وأمرهم بالإقامة عليه، وإن  
 يكون عاداتهم ، وبه يجزيهم .

وأما عن « الإسلام » فهنا يجب أن نقف وقفة توصلح مفهومه

يقول ابن الأثير المتوفى ٣٢٨ هـ فى المعنى اللغوى للكلمة

لمسلم معناه المحض لله فى عبادته من قولهم سلم الشيء لئلا يخلص له

فالإسلام معناه إحلاص الدين والعقيدة لله، تعالى

وسوء نظر الإنسان إلى المعنى الشرعى للكلمة ، أو إلى المعنى اللغوى فهنا

يجب أن هد البعض لا يشير

١- إلى شخص معين، كما تشير اليهودية مثلاً إلى يودا والزرادشتية إلى

زرادشت

٢- ولا إلى شعب معين كما تشير اليهودية إلى شعب بداثة

٣- ولا إلى إقليم أو بلد معين ، كما تشير النصرانية

والدين الذى يدل ، أو يتناسب أو يشير إلى شخص معين ، أو إلى شعب

معين أو إلى إقليم معين يتحدد رسمه، ضرورة بإبتداء الشخص أو الشعب ويتحدد

بالمكان ، ولكن كلمة الإسلام لا تدل على زمان ولا مكان ، هى

لا تشير إلى زمن يحددها .

ولا إلى مكان فتقيده به .

وتصعبا هذه الكلمة مباشرة فى جو عالمى مطلق بل فى جو عالمى يتخطى

حدود هذا العالم الارضي إذا أمكن ذلك فلا يتصيد به ولا يحدد حدوده

إنها لا تحد بالبعثة المحمدية فسيدينا نوح عليه السلام يقول لقومه

﴿فَإِنْ نَزَلْنَاهُمْ مِنْ أَجْرٍ أَوْ أَجْرَيْنَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

(يونس ٥٢)

وسيدينا إبراهيم يقول عنه لقراء القرآن الكريم

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

(آل عمران ٧)

وحسبنا كان سيدينا إبراهيم يرفع المواعد من لبيت هو وسيدينا سمع عن

حدا يدعو الله سبحانه قائلين

﴿رَبِّنا نَعْبُدُكَ أَنْتَ الْغَاسِقُ الْعَظِيمُ﴾ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ديتك

مسلمة لك ربنا ما سكتنا ونُب عينا إليك ألب التواب الرحيم﴾ (البقرة ٢٧ ٢٨)

ولم يمس سيدنا إبراهيم ، وسيدينا يعقوب أن يوصيا بينهما بالاسلام

بقول تعالى

﴿وَرَضِيَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ إِذْ أَخَذَ مِنْهُمُ الْمِيثَاقَ قَالُوا إِنَّكَ بِكُلِّ شَيْءٍ مُتَّبِعُونَ﴾

مسموح﴾ (البقرة ١٣٢)

وحينما حصر سيدينا يعقوب الموت قال لبيه مستمسكاً ليذهب إلى ربه

مطمئناً

﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَّا أَنْتَ نَزَّلْتَ الْفُتُورَ﴾ (البقرة ١٣٣)

قالوا

﴿عَبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا إِلَهُكُمْ إِنَّكُمْ لَعِنُونَ﴾

(البقرة ٢٣)

وقال سيدنا موسى لقومه :

﴿ وقال موسى يا قوم إن كنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾ (سورة ٨٠)

وسيدنا يوسف يتجه إلى الله بالحمد والشكر والدعاء

﴿ رب قد اتيتي من الملت وعلمتي من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت

ولي في أدب والآخره توفي مسما وألحمني بنصاحي ﴾ (يوسف ٢١)

و وحي الله إلى الحواريين أن

﴿ اموا بي ورسولي ﴾ (المائدة ١١١)

قالوا

﴿ اما واشهد بأنا مسلمون ﴾ . (المائدة ١١١)

ولما أحس عيسى من قومه الكفر سألهم قائلاً

﴿ من أنصاري إلى الله ﴾ (آل عمران ٥٦)

قال الحواريون :

﴿ نحن نصار الله اما بالله و شهد بأن مسلمون ﴾ (آل عمران ٥٢)

على أن تسميه أتباع الدين الإسلامي في العصر الحاضر بالمسلمين كانت

تسمية سابقة على وجودهم الرسمى هلقد بين الله سبحانه هي به من القرر

بعض حواش الرسالة النقاء على عائق الأمة الإسلامية وأشار فيها إلى سيدنا

برهم وهي آية من آيات التوجيه الإلهي الذي يجب أن يكون شعار كل مسلم

فقال سبحانه

﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج من

أبكم إن هبوا سحاكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون أرسى به عهدا عليكم وتكونوا

سهادا على لاس فافهموا الصلاة وابوا الركاة واعتصموا بالله هو مولاكم معهم المولى رهم

لتصير ﴿ (الحج ٧٨)

ومن انتهى ان يكون «الإسلام» بهذه المكاة من العموم والشمول هي المكان  
ومن عدم التحديد بالصفة الحمديّة فإن أساسه لا يختلف فيه ثلث واثم مبادئ  
لجوهرية حينما تعرض على النصوص لمحاكمة لا تحد الا القول والادّعاء  
والمران تعرض لاسلام في أساسه وجوهره هي كلمات فنية لا مصادير  
لانها بها عندما يوحد الإخلاص بقول، تعالى، امرا رسوله الكريم

﴿ في ما يوحى الي انما الحكم إله واحد فهو، سم مسلمون ﴾ [سورة]

ويأمره صلى الله عليه وسلم، في خطابه مع اهل الكتاب ان يقول لهم  
﴿ في يا اهل لكتاب تعالوا، الى كلمة سواء بينا وبينكم ألا بعدد لا الله ولا نبرثه  
سنا ولا يحد بعض أربابنا من دون الله فإن يوتوا فقولوا «شهدوا» يا ايها مسلمون ﴾

[سورة عمران: ١٠٠]

وتبين لهم الله، سبحانه، احدى علامات الصادقين والمرسلين مصرقا بهذا  
تماسيه بين الكفر والإيمان فيقول

﴿ ما كان يشر ان يوتيه الله الكتاب وانحكم، النبوة ثم بقى لسان كبريا عدد لهم من  
دور الله، يكن كبريا ربيهم بما كسب تعلمون الكتاب وما كنتم تدرون ﴾ ولا تأمركم ان  
سعدوا بملأكمه وأربابا تأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ [سورة المائدة: ١٠٠]

وتبين الله في عموم شامل وفي شمول عام في صورة ستمهام تقررى  
جوهر الدين فيقول سبحانه

﴿ ومن أحسن دينا ممن سمى وجهه لله وهو محسن ﴾ [سورة المائدة: ١٠٠]

ومن هذه الآيات السابقة نعرف ان جوهر لإسلام هو

١- هي العقيدة إسلام التوحه لله، ومعنى إسلام توحه لله

الإيمان بوحدايته كما ترشد إليه الآية الأولى مما وردناه سابقا ووحدايته  
سبحانه تمتصني ﴿ لا بعد إلا الله لا شريك به شيئا ولا يتحد بعضا بربا ﴾

[سورة محمد: ١٦٤]



بها تقتضى أن لا يتحد ﴿الملائكة والنبيين أربابا﴾ (العرش ١٨)

وتتضمن أن يكون ربانيين والربانية هي العقيدة أن يكون الله وحده هو المقصود والمرجو

٢ أما في لأحلاق فإن جوهر الإسلام هو الإحسان والربانية كما تكون في العميدة فإنها تكون في الأخلاق والربانية هي الأخلاق أن يتخلق الأساس بالأحلاق التي أمر الله بها

والإسلام إذن كلمة شاملة لإسلام بوجه لله ، وللإحسان .

والإحسان في الحقيقة يؤسس على إسلام الوجه لله ، ويبع منه الإسلام بوجه لله في النهاية هو الإسلام ولن يتأتى أن يعارض أحد أو يرفض إسلام بوجه لله اللهم إلا هؤلاء الذين حلت قلوبهم من الشعور بمعنى الدين

ومن البدهى إذن أن الإسلام - إسلام الوجه لله هو طريق الهداية

﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ (الأنعام ٢٥)

﴿ فمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه قيل للقدسيه فيه بهم من ذكر الله ولنت في ضلال مبين ﴾ (الزمر ٢٢)

ومعنى الإسلام الوجه لله قد فسره الله سبحانه حينما وضح درويته ممثلة في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذ يقول

﴿ إن من صلاتي وسكوتي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴾ لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ (الأنعام ١٦٢ ١٦٣)

وفعل أول آية نزلت من القرآن الكريم تشير إلى هذا المعنى بوضوح ، وكانت تدعو بوجوبها من أول الأمر ، لي أن يكون العمل باسم الله لا باسم شيء آخر ، و كاش ، حر

﴿ ف باسم ربك الذي خلق ﴾ (الفلق ١)

وإننا نرى أن الشارح إلى المعنى الذي يقصده ، بهية عن أكل صدم يذكر اسمه

الله عليه

﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وبه لمسق ﴾ (الأنعام ١٦١)

أما ما دُبح على النصب فإنه فسق أيضا ، لأنه لم يُذكر سم الله عليه ، أو لأنه - بتعبير آخر - لم يرد به وجه الله تعالى .

والإسلام إذن ، وفي صوء ما سبق - هو الدين في إطلاقه المطلق وفي تحديده المحدد فمما لا شك فيه أنه لا دين خارج إسلام أتوجه لله ، وإن الدين في معناه لصحيح إنما هو إسلام الوجه لله

وسواء عرفت الدين بهذا لتعريف أو ذاك فإن معناه صدور إسلام الوجه لله

ومن هنا كل لفظ الإسلام أصدق تعبير عن دين ، وكانت القصيدة

﴿ الدين عند الله الإسلام ﴾

قصيدة لا شك فيها .

وكانت القصيدة المترتبة على هذه

﴿ ومن يبيع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾

( آل عمران ٨٥ )

قصيدة ، هي الأخرى لا شك فيها

إن كل من يرفض إسلام الوجه لله ، إنما يرفض الدين

والمقدّر بعد الإنسان أو قربه من إسلام الوجه لله ، يكون قربه أو بعده من معنى الصادق للدين .

وليس بعريب ولا أمر كذلك - أن يتحدث القرآن الكريم عن طائفة من أهل الكتاب انطوت حواريهم على الإخلاص فيعبون إسلامهم بمحرد ن يتلى عليهم القرآن من يعلون أنهم كانوا من قبله مسلمين ، يقول تعالى

﴿ وقد وصلا بهم القول لعينهم يذكرون ﴾ الذين آمنهم لكذب من قبله هم به

يؤمنون ، وإذ يتلى عليهم قالوا أما به إنه الحق من ربنا كما من قبله مسلمين ﴿ أولئك يومنون

أحرقهم مرتين بما صرروا ويدروا بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ﴿٥٥﴾ واد سمعوا النداء  
 غرغروا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلامٌ عليكم لا بنعي الجاهلین ۝

( المصم ٥٥-٥٥ )

و ستبحة المعطفية لما سبق ما أعلنه القرآن الكريم بقوله تعالى  
 ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحى إليك وما وصى به إبراهيم  
 وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما مدعوهم بآلهة يحيى  
 فيه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾ . ( الشورى ١٣ )

ويقول سبحانه

﴿ قل إنما بالله ما أمرت عليا ما أمرت علي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب  
 والأنبياء وما أوتي موسى وعيسى والسميئون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له  
 مسلمون ﴾ . ( آل عمران ٨١ )

و سلام لوحه لله هو التوحيد وإذا كانت سمة النصرانية هي وضعها  
 لآله على ما يروى البيروني هي التثليث ، فإن سمة لاسلام - حسما بقول  
 يعق هي التوحيد إنها توحيد الله بالربوبية بالخلق ، بالاحاد بالإعطاء  
 بأسع

﴿ من أسلمهم مالك الملك برتي الملك من شاء وتسرع الملك ممن شاء ونفر من شاء  
 ونذر من شاء بيدك الحير إنك على كل شيء قدير ﴾ . ( آل عمران ٣٦ )

إنه سبحانه يملك الملك في ليسير منه والعظيم في أصحه في صود

في الحاء ، في الرق ، في المعى

وهو يملكه في الناحية القلبية وقلب الإنسان بين إصبعين من أصابع  
 الرحمن ، وهو يملكه في الهداية ومن يهد الله فلا مضل له  
 وهو يملكه في الآخرة ﴿ مالك يوم الدين ﴾ ( المائدة ٢٦ )

إنه سبحانه ، لتصرف المطلق في الصغير والكبير لا يعرف عن علمه ، ولا

عن قدرته ولا عن إرادته وحكمته مثقال درة في الأرض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا أكبر ، وهيئته شاملة عامة مطلقة

ويعود عند ذكر قوله تعالى

﴿ يا أيها أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بينا وبينكم إلا بعد لا إله إلا الله ولا بشر به شك ولا نسجد معصاً ربنا من دون الله فإن توروا فقولوا أشهدوا أننا مسلمون ﴾

( آل عمران : ٦٤ )

أي من لم يعترفوا بحكم بأنه يجب أن تخصص العبادة له وحده ، وإن ينتمى إلى شرب به سبحانه ، وألا نسجد لمخلوقين معصهم بمصا ربنا أي من يعترفوا بهذا التوحيد وأعرضوا ، فأعلنوا أنكم مسلمون أي موحدون

والإسلام كما كتب الأديان في بقائها وخصائصها من قبل إنما هو التوحيد وهو دعوة إلى التوحيد ، والتوحيد أو إسلام الوجه له جوهره وأساسه وكل تعاليمه ومبادئه إنما هي لتوحيد ، وهي وسائل ومناهج للوصول بالإنسان إلى التوحيد ، أشهد أن لا إله إلا الله ، إنها رسالة السماء الخالدة

و شهد أن محمداً رسول الله ، لدى بلع الرسالة ، فأدى بهذا المسح الصادق والأمانة التي وكلت إليه ، وهي التوحيد

التوحيد هو مبدأ لإسلام وجوهره ولكن التوحيد ليس مجرد قول وليس مجرد كلمة لا أساس لها هي نصب والشعور وإذا لم يؤمن الإنسان بالتوحيد إيماناً مملت عليه جميع أقطاره ، فيعمل في جميع أنحاء شعوره ووجدانه ويعمر قلبه ونفسه ويكيّف جسمه ويوجهه الرجاء السليمة . فإنه لا يكون كامل الإيمان

ومن حين بعث الإنسان الموحد في صورة واقعية كانت تعاليم الإسلام

بإصلاح إنما هي ، بمصير عن كل ما سوى الله من أجل الاتصاف بالله فهي

بوحيد

ومن هذا كان مدوّها « الله أكبر » لتشعر الإنسان من المبدء أن جميع ما هي لعالم من بشر ، تتعلق بهم الآمال ، أو يباط بهم الرجاء ، فإن الله أكبر منهم وأجس وأعظم فيجب أن تتعلق الآمال به وحده ، وأن يقتصر الرجاء عليه سبحانه

ثم نوالى جميع الأوصاف فى الصلاة ... من قراءة ، وركوع وسجود وتشهد  
لتعلم بكل حركة ، وبكل وضع ، الانفصال عما سوى الله من احى الاتحاء الى الله  
وحده ، ومن أجل إسلام الوجه إليه سبحانه

و لصوم إنما هو تفرغ عن المادة ، وعن السوء فى لقول والعمل ، فترة من  
الزمن من أجل مرصاة لله ، إنه تنزه عن اسقاص البشري الذى يتمثل فى شهوات  
المعدة . تتخلص الروح فترة من التأص فى كمال الله ، إنه محاولة للسحق بأخلاق  
الله لأنه سبحانه ، لكمال المطلق الذى لا يحتاج إلى شيء ، وبدء لابد من يأمل فى  
شيء من لكمال . من أن يتخلى بما اراده ، سبحانه منه . إنه سره عن سقاص فى  
سبل لتوحيد .

و بركة بما هى بدل المادة فى سبيل الله ، إنها بدل المادة التى تحرى ورعها  
أسير وكادون بعدونها ، بدلها بعد متلاكها ، بدلها وقد كان فيها . و رد  
الوسيلة للملاد والشهوات ، إنها تحرد عن المادة لتوحيد الله ، سبحانه

أما لحج . والله سأل أن يكتبه لنا كل عام . فيه تحرد كله به تحرد عن  
الماضى ، فهو فى بدايته تنوية عن الديون والآثم ، أى عن التفسرات التى عمل  
الانسان فيها عن ذكر الله ، فأشرك معه غيره ، وانحد الله هو الذى له موقع  
فى المنصية والإثم .

وهو تحرد حتى عن ملابس الماضى ، وهو تنبيه من أوز لحظاته  
تلبية هى استجابة لله وحده ، أو هى توحيد حالى ، إنها ، سبحانه كاملة للامر  
بسمى لشريك

« لستك اللهم لستك ، لستك لا شريك لك لستك » إن الحمد واسعه بت وانك  
لا شريك لك »

إن هذ النداء الذى يتعالى ، وله عبير طيب ، وله سنا مألوف ، فيصعد الى  
السماء ، فتفتح له أبوابها ، إن هذا النداء ، إنما هو ، لا يطور ، الكامل تحت راية  
لتوحيد ، وتعالى أعمال الحج كلها واضحة ساهرة ، أو رمزية مستغلية معناه

بتوحيد مبادئه به طائفة وزراءه سبعة من أحبه وقمة تسعشره، راحيه من الله سبحانه وتعالى أن يقبل أصحابها في زمرة الموحدين يقول الله تعالى ﴿ وَمِنْ رُسُلِكُمْ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْوَحْيِ آيَةٌ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا مَا قَاعْبُدُونَ ﴾

الانبيا، ٢٥١

هذه بعض معالم التوحيد في العميدة

ومعالم التوحيد هي « لأحلاق » ألا يصدر عن إنسان ، ولا ترد في سلوكه شخصي و في سلوكه ، اجتماعي ، أمر إلا عن توجيه إلهي

« معالم لتوحيد هي « البية » أن يكون لإنسان في كل ما دنى وما دعى قاصد دحه لله تعالى هو أن يكون حينئذ كلها له ، وليس بحياة وحدها وإنما الممات - أيضاً

والتوحيد على العموم هو أن يهب لإنسان نفسه لله في قيمه وحيوسه في بومه ويعطيه في حديثه وصمته ، في عصيه ورضاه ، في صدقته وعداونه ، في تبعه وبشرته في عمله وراحته ، في أفكاره وآرائه ، في توحيه وشارته في صاحبه وحديثه ، في كل نفس يتنفسه ، أو طرفه عين يطرفها

وبدون هذا كمال جامع أن توحيد لإنسان هو أن يكون صلاته وسكته ومعناه ومماده لله رب العالمين لا شريك له .

وعن رب الإنسان من المثل لأعلى الإسلامى بمقدار قدره من هذه جمالي عميدة وأحلاقا، وعلمها

وقوله تعالى

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَاضِر ﴾ . الرمر ١٣

لما يشير بها إلى خلوصه من كل شائبة شرك ، سواء أكان اشرك في العقيدة ، أم كان في الأحلاق والنية ،

واعنه سبحانه ، أعنى الشركاء ، فمن عمل عملاً له وبغيره فإن الله ، سبحانه

بريء من عمله وكذلك من اعتمد شريكا لله فانه براء منه

« بما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يكرهها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

وذلك كله يسلمنا إلى أن المعنى الحقيقي للإسلام هو كما ذكرنا

إسلام الوجه لله

ويعبر عن هذا ، هي وصوح حمير الحديث لشريف الذي رواه الصحابي  
لحليل عمرو بن عبسة ، قال

قال رجل: يا رسول الله، ما الإسلام ؟

قال - صلوات لله وسلامه عليه - « أن يسلم له قلبك وأن يسلم المسلمون من لسانك ويديك » .<sup>(١)</sup>

وما من شك في أن سلامة المسلمين من لسان الإنسان ويده ، بما ترجع إلى  
سلامة قلبه له وأنها على حد قول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم

« لو خشع قلبه لخشعت جوارحه » .

وعلى حد قوله ، صلى الله عليه وسلم ،

« لا إر في الحسد مصعة ، إذا صلحت صلح الحسد كله وإذا عسدت فسدت الحسد كله ، ألا وهي القلب » .

\* \* \*

وقد يتساءل إنسان وما كيمية إسلام الوجه له ؟

ما الوسائل لذلك ؟ ما الطريق ؟

---

<sup>١</sup> رواه الإمام أحمد ورجاله رجال الصحيح

أما الوسائل فإنها لمبادئ الإلهية التي قررها الله، سبحانه على سبيل رسوله  
قرأنا كانت أو سنة قولية ، أو عمدة

ولا مباح لكل من يريد أن يسلم وجهه لله سبحانه من أن يرجع في ذلك إلى  
نقرن ومن أن يرجع في ذلك إلى السنة أي أنه لا مباح لكل من يريد من الهداية  
أو الدين أو الحق من أن يلجأ إلى القرآن والسنة .

وذلك أن القرآن الكريم إنما هو النص الوحيد في مجاله لأن لدى  
احتفظ بحفظ الله له بالتميز الإلهي لدى يشرح الدين ويوضحه دون تحريف  
بزيادة أو نقص ، والقرآن لم يحتفظ بما أوجاه الله بالمعنى فحجب

وإنما احتفظ بالتعبير نفسه ، وهذه الميزة لا تدانيها ميزة إدرجة في دونه  
والصدق، ولا يصارعها غير حتى ولا من قرب

• بها لمحة للمسلمين كبرى أن يكون الدين الذي يدينون به إنما يرجعون فيه  
إلى لبصر الإلهي نفسه في دقته ، وهي نصارته ، وهي بركته ، وفي سبائه وآلائه

وإنها لمحة للعربية أن تحتفظ بالنص الإلهي الوحيد في مجاله ، من  
تحتفظ بالكتاب الذي أحكمت ديانته ثم فصلت من ندر حكم حشر

\* \* \*

أما النتيجة الأولى التي تريد أن يصل إليها فهي أن الدين وإسلام الوجه لله  
والتوحيد والإسلام كلها بمعنى واحد يفسر بعضها بعضا ويشرح بعضها بعضا  
كلها مطلقه عامة لا يحددها زمان ولا مكان ، وكلمة لإسلام حشر ما يعبر عنها في  
حرمها وفي كمالها

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم واتممت تكميلكم يعني ورضيت بكم الإسلام ديناً ﴾

مائدة ٢٠

والنتيجة الثانية هي أن جوهر الشخصية الإسلامية ، أو شخصية المسلم  
، إنما هي إسلام الوجه لله أو التوحيد و التدين لصادق أو الإسلام

وبمصدر قريب المسلم من الإسلام يكون كمال شخصيته



ما فيما يتعلق بأهل لكتاب فإنهم لم ينحرفوا محتلمين عن جهن بالتوحيد  
وانما اجتمعوا على علم متعصبين أهواءهم ودرءاتهم . إنهم احتلموا بعد سبهم من  
أجل الدنيا فضلوا وأصلوا .

( ٢١ ) ﴿ يا أيها الذين كفروا بيت الله يقول أن يغفلون الذين كفروا بالقسط  
من الناس فيشرهم بعداب أليم ﴾

( ٢٢ ) ﴿ أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصر ﴾

كان ذات اليهود ومارل أنهم ، ذا يعارضب شهواتهم ومصالحهم ماديه مع  
ما يدعو إليه أحد اسامى دبروا المكائد لقتله حتى ولو كن نبيا ، ولما قتلوا يحيى  
عليه السلام ، وقتلوا غيره من أنبيائهم ، وقتلوا كثيرين من الذين قامب دعوتهم على  
الامر بالعدل ، ولقد دبرو قتل كل من اتجه إلى العدل في قضية لشرق الأوسط في  
لحاصر الحاصر من كبار الرعماء ، فهم الذين قتلوا « كندی » لرئيس الأمريكى  
الأسبق وغيره من كبر الذين لهم نفوذ وتأثير ، وكانوا يعملون في حق الحق ولعدالة  
و﴿ حبطت ﴾ بمعنى بطلت .

( ٢٣ ) ﴿ ثم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعوون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى  
فريق منهم وهم م معرضون ﴾ .

( ٢٤ ) ﴿ ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وعرفهم في دينهم ما كانوا يفترون ﴾

( ٢٥ ) ﴿ فكيف إذا جمعناهم يوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ .

يقول صاحب كتاب « محاسن التأويل » .

قال بعض المفسرين « إن من دعى إلى كتاب الله وإلى ما فيه من شرع ، وحب  
عليه الإجابة » .

وقد قال العلماء ، رضى الله عنهم يستحب أن يقول سمعا وطاعة ، لقوله

تعالى

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمْعًا وَاطِّعُوا  
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ . (النور ٥١)

«م السر هي التوسى و لإعراض فهو أنهم اعتبروا كذا هاتين ن لمار من  
نفسهم الا أياها معدودات .

ويكذبهم الله تعالى، بمعطق رباني هو أن يوم الحساب هو كل نصي حراء  
ما كسب بالعدل وهم لا يظلمون

(٢٦) ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَسْرِعُ الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ ، وَبَعَثَ مِنْ بَيْنِهِمْ  
وَبَدَّلَ مِنْ بَيْنِهِمْ بِيَدِكَ لَئِذَا دُعِيَ عَلَى شَيْءٍ فَعُدِرَ﴾ .

(٢٧) ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُحَرِّجُ السَّحَابَ لِمَن  
مِّنَ الْحَيِّ ، يَرْزُقُ مِنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

ومفهوم ﴿الملك﴾ في الآية الشريفة هو كل شيء في العالم ، به الأرض  
والسماء ، وما بين الأرض والسماء ، وكل ما هو خارج الأرض و سماء ، به المال  
والأحياء ، و لصوة والدكاء والسلطان وهو مصعب لمب ، وطرفة العين واحصوه  
بخطوها الأسان وهو الحو طر والأفكار ، والعزائم والبيت والإر دت ، وهو كل ما  
بملك . ذلك كله يؤتيه الله من يشاء وينزعه ممن يشاء

وهو ، سبحانه ، يملك تصريف الطبيعة ، وتسيير الكون على نظام فهو  
بدي بصرف الليل والنهار في أرميتهما وهو الذي يخرج الحي من الميت ، كما  
يخرج الميت من الأرض ويخرج الميت من الحي حيث يعود الأحياء إلى سلب  
لحياة منهم ، يقول سبحانه

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَفْئَاتًا فَاذْهَبُوا فَيُحْيِيكُمُ ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِنَّهُ لَمَرْجُؤُكُمْ﴾

( بكرة )

(٢٨) ﴿لَا يَسْعَدُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾  
 (٢٩) ﴿وَلَا يَنْفَعُ إِيَّاهُ فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تَبَدُّوهَ يَعْنِي أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾

الأولياء : جمع ولي ، ومن معاني ولي : النصير والصديق

وبقول صاحب الكشف : من كتاب محاسن التأويل

يهو أن يولوا الكافرين لقربة بينهم أو صداقة قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادق بها ويتعاشرون ، وقد كرر ذلك في القرآن

﴿لَا يَجِدُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُمْ مِنْهُمْ﴾

(خاتمة ٥

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ . (المائدة ٢٤)

والمحبة هي الله ، ويسعص في الله باب عظيم وأصل من صول لإيمان وقوة تعالى ﴿من دون المؤمنين﴾ حال ، أي متجاوزين المؤمنين إليهم استملا لا أو اشراك وهيه إشارة إلى أنهم الأحق بالموالاة ، وأن في موالاتهم مدوحة عن موالاة الكفرة ﴿من يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾ أي ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله هي سوء يقع عليه سم الولاية يعنى أنه مسخ من ولاية الله رب ، وهذا مر معقول من موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان ، قال

هو عدوى ثم ترغم أنى صديقك ليس الدوب عنك مغرب

(٣) ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تُوَدِّعُ بِبَيْتِهَا وَبَيْتِهَا عِيدًا وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ .

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ . . . .﴾

يبين الله تعالى ، لكل نفس أن ما عملت لخير سيكون بين يديها بيانا وصحاحا وما عملت من سوء ، كذلك ، ونحنما يكشف عنها الغطاء ويظهر لها ما عملت من سيئات والدوب فإنها تسمى أن يكون بينهما وبين السوء مساهمة شاسعة ، حتى لا ترى فتح سوء معينه

ومما يلاحظ أنه

في الآية رقم (٢٨) قال تعالى

﴿وَيُحَدِّثْكُمْ اللَّهُ بِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ .

وهنا قال سبحانه

﴿وَيُحَدِّثْكُمْ اللَّهُ بِنَفْسِهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ .

ولمن الحكمه في ذلك أن مولاة الأعداء سيئة من كبريات السيئات وكأنها  
منصبة عن غيرها ، فكان التعبير عنها لا يشعر برحمة أو رأفة

(٣١) ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

(٣٢) ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾

إن الحب اتباع وحب الله تعالى، في حقيقته ، إنما هو اتباع ما أحب،  
سبحانه ، وما أحبه، تعالى، قد أنزل على لسان رسوله ، صلى الله عليه وسلم، وقد  
حققه رسوله صلى الله عليه وسلم ، في صفاته وبقائه، فحب الله، تعالى، إذن إنما  
هو اتباع لرسوله، صلى الله عليه وسلم .

ويقول الله تعالى ،

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْحُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ  
كَثِيرًا﴾ . (الأحزاب ٢١)

إن الأسوة ، برسول الله صلى الله عليه وسلم ، خير ما يحقق النجاة في  
الدنيا والآخرة فرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، هو المثل الكامل الواقعي  
« التطبيقي » ، للدين الإسلامي »

به الصورة الحية للقرآن الكريم، وهي ميسورة كل إنسان، لاقتداء به إذا  
توافرت فيه ثلاثة شروط بينتها الآية الكريمة

اولها أن يرجو الله ورجاء الله يبينه الله، سبحانه، وتعالى بقوله

﴿مَن كَانَ يَرْحُو اللَّهَ فليُفْعَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدٌ﴾

فتتحقق رجاء في الله أن يعطي الإنسان وجهه لله في العادة . ومن يكون من  
دوى الأعمال الصالحة . ولا كان رجاءه في الله شكلا ، لا حقيقته له ، وصاهر لا  
جوهر له

ما الدين لا يرجون لقاء الله فيصفهم الله ، تعالى ، بقوله

﴿ الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آيات

عالمين ﴾ [يونس ١٧]

وهؤلاء لا نصيب هم في الاقتداء برسول الله ، صلى الله عليه وسلم حيث

لم يتواضع فيهم شرط رجاء الله ، سبحانه

وشرط الثاني أن يرجو الإنسان اليوم الآخر

ورجاء اليوم الآخر هو رجاء النجاة فيه .

ورجاءه إذن إنما هو بالعمل للنجاة

﴿ يوم لا يقع مان ولا ينون : إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ [الشعر ٨٨ ٨٩]

ومن لا يرجو اليوم الآخر فليس له في الاقتداء برسول الله صلى الله عليه

وسلم ، من نصيب

أما شرط الثالث الذي يجب أن يتواضع في الإنسان حتى يتأتى له الاقتداء

برسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أن يذكر الإنسان لله كثيرا

وقد حدد الله الذكر بالكثرة ومن عليها سبحانه ، والذكر الكثير من سمات

التدبير حقا

والسبب والذكر الكثير من سمات العقول لراجعة الدين يذكر الله صفاتهم

في الذكر للعظمة ، والاعتبار في خلق السموات والأرض ،

ومن صفاتهم الذكر في جميع حالاتهم التي هم عليها وذلك كونه على سبيل

من الإيمان الخالص

يمول الله، تعالى، هي أسلوب رائع، وهي معدى تتسلسل نوراً وتلالاً صباء  
﴿إني في حق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لأني لأبدي الدرس  
بذكر رب الله فيهم وفهودا وعلى جنوبيهم ويتمكرون في خلق السموات والأرض رب ما حلفت  
بدا باطلا سبحانه فبقا عذاب النار﴾ ربنا إني من مدخل النار فقد أحرقتني وما سظالمين من  
نصار ربنا إني سمعنا مديا يادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاعلموا ربنا دوت وكفر ع  
سبنا وبرنا مع الأبرار﴾ ربنا واتنا ما وعدنا على رسلنا ولا تحونا يوم القيمة إني لا تحلى  
الميعاد﴾ (سمران ١٩-١٩٤)

ويعقب الله على ذلك بقوله

﴿فاستجاب لهم ربهم﴾ (آل عمران ٩٥)

وبعد

فإنه إذ تواخرت في الإنسان هذه الشروط، فقد أصبح جديراً بالتأسي  
برسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأصبح بذلك من الذين يحيونه والمرء مع من  
أحب

يمول الله تعالى،

(٢٢) ﴿إنا لله مصطفى آدم وروحنا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾

(٣٤) ﴿ذرية نوح من بعض نبيه صبيح عليم﴾ .

### المصردات :

« الاصطفاء » ، الاختيار ، وأصله أحد صموة الشيء كالاستصماء

ويقول الزجاج معنى اصطفاهم في اللغة اختارهم وجعلهم صمة خلقه

﴿وال إبراهيم﴾ من كان على دينه ،

﴿وال عمران﴾ عيسى، عليه الصلاة والسلام وأمه مريم بنت عمران ، كما

قال لحسن البصري ، رضى الله عنه

﴿ بعضها من بعض ﴾ .

أخرج عبد بن حميد عن قتادة ، قال هي البية والعمل والاحلاص والتوحيد

ويقول حبر الأمة ، ابن عباس، رضى الله عنه .

« بعضهم من بعض في التناصر والدين ، لا هي لتناس » هـ

إنه ، سبحانه ، اصطفاهم فأعدهم إعداداً خاصاً قبل ميلادهم أعدهم في أصلاب حذارهم ، وآلائهم ، لقد تحير لله عز وجل ، لهم - بحكمته عند لأرل - الأجداد والآب . يقول الإمام البوصيري في همريته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

لم ترل في ضعائر الناس تختاً ر لك الأمهات والآباء

ويقول في السردة أياں مولده عن طيب عنبره .

لقد أعد ، سبحانه ، أوعيتهم . الحدائق والأمهات حلقا وحلقا و عد سبحانه لرميل والأنبياء وسطا ، وبيئة .

إنه سبحانه ، يعدهم على عيه ﴿ وتضع على عيني ﴾ ( طه ٢٩ )

و اصطفيهم لنفسه - ﴿ واصطنعتك لنفسي ﴾ . ( طه ٤١ )

ويقول صلى الله عليه وسلم عن بعض ذلك ، فيما روه الامام مسلم

« إن الله اصطفى من ولد إسماعيل ، واصطفى من ولد إسماعيل بنى

كنانه ، واصطفى من بنى كنانة هريثا ، واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاى من بنى هاشم »

لقد رسم الله ماضيهم البعيد ، ورسم حاضرهم ، الذي عاشوه طهولة ، فشبابا

مكهوبة ، فشيوخه رسمه عند الأزل ، يقول سبحانه ونعالى في سيدنا عيسى عليه السلام

﴿ اد قالت الملائكة يا مريم إن الله يُشرك بكلمة منه ، سمع المسيح عيسى بن مريم

وحياها في الدنيا والآخرة ومن المبرين ﴾ ويكنم الناس في المهد وكهلا ومن لصالحين ﴿

(ال عمران ٤٥ ٤٦)

وهمون تعالى عنه

﴿ سجده اية الناس ورحمة ما وكان أمرا مقضيا ﴾ (مريم ٢١)

وهذا الذي يدكره ، عز وجل بصاحبه سيد عيسى ، بما هو عام في كل  
الانبياء والرسل ، ان امرهم ، كن مقصيا قبل ان يولدوا ان الله سبحانه وتعالى  
قصي في امله ان يكونوا ذوي حسب في قومهم وذوي معة من عبيدهم  
يقول بن خلدون في علامات من يصطفيهم الله ان يكونوا ذوي حسب في  
قومهم ، وهي لصحيح :

ما بعث الله نبي الا هي معة من قومه »

وهي مسأله هرقل لابي سفيان كما هو في لصحيح قال « كيف هو  
فيكم

قال ابو سفيان « هو قسا ذو حسب »

فقال هرقل « وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها »

ومعه ان يكون له عصية وشوكة تمنعه عن ادى الكمار حتى يبلغ رسالة ربه  
ومن أمثلة ذلك ما قصه القرآن الكريم من بعض الأنبياء كشعيب عليه  
السلام مثلا الذي هل له قومه ﴿ يا شعيب اقم صفة كثيرا مما تقو ربنا برث فيه صفت  
ور لا رفضك لرجمناك وما أنت عينا بعزير ﴾ (هود ٩١)

واذا كان الله قد أعدهم لاصصمائه قبل ميلادهم فإنه سبحانه حفظهم  
سبب اصصمائه ، قبل ان يوحى إليهم حفظهم من الإثم والمعاصي همون ، العلامة  
ابن خلدون

« ومن علاماتهم - ايضا - انه يوحى لهم قس الوحي خلق الحير والركاة  
ومحاسبة المذمومات والرجس أجمع ، وهذا هو معنى العصمة وكأنه معطور على  
السره عن ايد مومنت والماهرة لها وكأنها مافيه لحبته وهي الصحيح أنه صلى  
الله عليه وسلم حمل لحناره وهو علام مع عمه العباس ساء الكفة فجعلها في  
ارره فكشف فسقط معشيا عليه حتى استتر براره ، ودعى إلى جميع وليمة



فبها عرس وبعد فأصابه عشي ليوم إلى أن طلعت الشمس ، ولم يحضر شيئا من شأنهم بل برهه الله عن ذلك كله ، حتى إنه جعلته يتبره عن اطعمومات المسكرهة فقد كان ، صلى الله عليه وسلم ، لا يقرب البصل ، والثوم ، ففيل له في ذلك فصل

« إني أباحي من لا تقاحون »

وبمول لعلامة ابن خلدون عن الاصطفاء هذه الكلمات النبوية

« أعلم أن الله ، سبحانه ، قد اصطفى من لبشر أشخاصا حصهم بحطابه وعظهم على معرفته ، وجعلهم وسائل بينه وبين عباده ، يعرّفونهم بمصالحهم ، ويحرضونهم على هدايتهم ، ويأخذون بحجراتهم عن النار ، ويدلونهم على طريق النجاة » . ١ هـ

وإن من مظاهر الاصطفاء الواضحة الدعوة إلى تعبير القيم في المجتمع من شر إلى خير ومن رذيلة إلى فضيلة ، ومن جاهلية إلى إسلام

وبذكر من ذلك ما حدث بين النجاشي وسيدا جعفر بن أبي طالب ، لقد سأل النجاشي المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة قائلا

« ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخروا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل ؟ »

فأجاب جعفر بن أبي طالب ، رضي الله عنه

أيها الملوك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل لبننة ، ونأثم المواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسئ الحور ، ونأكل القوي من الضعيف فكاننا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعماقه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبد ، ونحلق ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه ، من الحجارة والآوثان

وأمرنا بصديق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم وحسن الجوار ، ولكم من المحارم والدماء ونهاها عن العواشش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات .



## يقول ابن إسحاق

« كان السبب في ندرها أنه أمسك عنها الولد حتى أسب » واستجاب  
الله لدعائها . فما شعرت بالحمل ، اتجهت إلى الله في شكر وفي عرف . تؤكد من  
حديث ندرها

ويعبر المراد عن ذلك بقوله

« قالت امرأت عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت  
السميع العليم » .

وعمران الذي ذكرته الآية الكريمة ، ليس بعمران أبي موسى ، وبين موسى  
وعيسى ، بين شاسع من الزمن .

وأما قولها في الآية الكريمة ﴿ محررا ﴾ فمعناه « معتقا » ، وهي تقصد بذلك  
أنه معتق من أن يكون عبدا للدينا ليعيدك وحدك .

يقول ترجاج

كان على أولادهم حرصا أن يطيعوهم في ندرهم فكان الرجل يندر في وند  
أن يكون خادما في معندهم .

لقد سعدت السيدة حنة بهذا الحمل ، فهي تمكر في هذا الجنين في سعادة  
بها تمكر في صورته ، وتفكر في سماته ، وفي مداعباته ، وما كان خيالها يسرح  
مطلما في حو هذا الجنين على أنه أنثى ، وإنما كان يسرح باستمرار في حو  
أنه ذكر . ها هو ذا قد أصبح شابا ذكيا ، فتيا يأخذ مكانته بين فقهاء العبد وسدنته ،  
بين مسيرين لدفة الأمور لدينية والوحيين لها ، ثم ها هو حير من كبار الأخبار ، به  
الكلمة لمسوعة . . . و .

وحاء أوان الوضع ، وهو حنت السيدة حنة ، مفاجأة لم تكن متوقعة

لقد كان المولود أنثى

« ركب السبب حنة لحظة من الزمن وفكرت في ندرها وفكرت في  
المعادر وهي سرعة توجهت إلى الله تعالى ، وكأنها تعتذر أو تستعمر قائلة

« رب إني وصفتها أنثى والله أعلم بما وصعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم

رأى أعينها بث وذريتها من الشيطان الرحيم ﴿ أما مريم هذه التي يحرص المسكرون  
على سار أنها ليست مريم أخت موسى ، فإن الله سبحانه أصمى عليها عنايته  
وشملها برعايته ، ويمبر سبحانه ، من ذلك فيقول

﴿ فتصلها ربها بقرب حسن وأبنتها بئناً حسناً ﴾ . ( آل عمران ٣٧ )

أما من ناحية كمالها فقد تولى ذلك زكريا وكان لذلك قصة

قال السدي :

ابطلق بها أمها في حرقها ، وكانوا يفتزعون على الذين يؤتون بهم ، هو قعب  
قرعتها على زكريا

وقال مقاتل

كان يعلق عليها الباب ، ومعه المفتاح ، لا يأمن عليه أحد وكنت بها حاصت ،  
أخرجها إلى منزله تكون مع أختها أم يحيى ، فإذا ظهرت ردها إلى بيت المقدس  
والأكترون على أنه كملها منذ كانت طفلة بالقرعة اهـ .

وأحدث الطملة تشب وتترعرع هي كفالة زكريا .

فلما بلغت السن التي تستطيع هيبها الخدمة ، أحدث سوحية زكريا عليه  
السلام نعم في المعبد توفية لدر أمها ، وتتعبد فيه ، إنها عاملة عادة

واتحدثت مريم ، عليها السلام ، محراباً .

قال الأصمعي . والمحراب ها هنا الفرقة والمحراب في اللغة الموضع العالي  
الشريف كما يقول الزجاج

اتحدثت مريم ، عليها السلام محراباً تفكف فيه متعبدة متهددة

وكان زكريا ، عليه السلام ، يدخل عليها من ثل لآخر محرابها ، رعية لها  
وعساية بها وتعتقدا لأحو لها ، فكان - على نهضة منه - يجد عندها رزها

يعبر الصراخ عن ذلك فيقول

﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ﴾

﴿ فان يا مريم نبي لك هذا ﴾

﴿ قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾

يقول الله تعالى

(٢٨) ﴿ هالت دعا زكريا ربه فان رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء ﴾

بدء عاب زكريا عليه السلام، ما تفصل الله به على مريم، رضى الله عنها  
من رزق وخرق بلعده ، فطمع في الولد على كبر ، ووجه إلى الله في صرعه بحبه  
ليه سبحانه من كل كيانه ، ومن اعماق نفسه وبأدى ربه في حنج من ثليل أو هي  
هذه من ناس وأنح في الدعاء بصور متعددة لقد نادى ربه بدء حبيباً

وللقراء في سرد القصة صور متعددة يوضح بعضها بعضها منها الصورة التي

قصها سبحانه، هي سورة مريم حيث قال زكريا عليه السلام

﴿ رب اني زهن لعصمي و متعل الرأس شي ولم اكن بدعت رب صب ﴾ ( مريم )

فذكر أمره وبين حاله وبين قص الله عليه حبيما كان بدء واسع دك

بتذكر الاسباب التي دعته إلى هذا الطلب :

﴿ واني خفت الموالى من ورائي ﴾

أما الموالى فهم الذين يلونه في السب ، وهم بمنزلة عمه وحملة منهم ،  
يصنعون الدين ويمسونه ورء ظهورهم من أجل ذلك يدعو وتذكر في هذه اللحظة  
روحه فقال وكأنه يبين الموضوع من جميع جهته أو كأنه يمرض المصيبة بجمع  
رواها

﴿ وكانت امرأتى عاقرا ﴾ . ( مريم : ٥٠ )

ولما استكمل لعرض قال

﴿ هب لي من لدنك وليا ﴾ . (مريم ٥)

أي حلّمني عن أمر الدين وأمر الدعوة ويرثني هي علمي ويرث من آل يعقوب صريقتهم هي الدعوة ، إلى الله سبحانه ثم يقول داعيا الله بلمنور وكان لأمر قد استحيب له، يقول

﴿ واحملك رب رصيا ﴾ . (مريم ٦)

هذه هي المقدمات التي قصها الله تعالى في سورة مريم التي ذكر الله تعالى هي أوائلها قوله سبحانه

﴿ ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا ﴾ (مريم ٧)

أم هي سورة الأنبياء فإن الله، سبحانه وتعالى، يقول

﴿ وَذَكَرْنَا إِدْرِيْسَ رَبِّهِ رَبُّهُ لَا تَدْرِيْ فَرْدًا وَأَنْتَ حَيْرٌ الْوَارِثِينَ ﴾ الأنبياء ٥٩

أم فيما يتعلق بهما بين أبيديا من ياب كريمه عن هبة زكريا فإنه يقول

﴿ هَبْ لِيْ مِنْ لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾

ومن كل ذلك نعلم أن رغبة زكريا هي تولد لم تكن لما جبت عليه ، الطبيعة

لبشرية من حب الولد ، وإنما من أجل استمرار الدعوة إلى الله تعالى إياه يقول

﴿ هَبْ لِيْ مِنْ لَّدُنْكَ وَبًّا ﴾ يرثني ﴿

و لأنبياء كما يقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لا تورث مالا فالورثة

هنا ورثة الدعوة ، ولولاية للأنبياء هي ولاية مهج روعي واتباع

ويقول :

﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِيْ فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ .

لم يقل زكريا ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِيْ فَرْدًا ﴾ ، ثم سكّتا كلا وإنما سمع ذلك بقوله

﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ .

أي إني أطلب مع يقيني بأنك هي حكمتك العبد خير الوارثين، تُصرف الكون

حسبما اقتضته حكمتك .

وهي الآيات لكريمه التي شرحها يدعو بأن يرزقه الله ذرية طيبة ٩

ومن ذلك تنبئ أن طلب ركزيا الولد إنما كان من أجل استمرار الدعوه وقد ركزنا على ذلك معمدين حتى يكون واضحا أن لأتبياء مع الله لا مع الدنيا، وكذلك الأمر عند الصديقين

لقد بذرت أم مريم ما في بطنها لله، تعالى وقال ركزيا

﴿ ربِّ هَبْ لِي مِنْ دُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾

وقال إدرهيم، عليه السلام

﴿ ربِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ . (الصفات ١٠)

ويقول تعالى عن هؤلاء وغيرهم ممن هم مع الله .

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبِّ هَبْ لَنَا مِنْ أَرْزَاقٍ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾

الفرقان ٧٤

وهذا النوع من طلب الصلوة وأهل الخصوص لدين يهبون حياتهم لله، تعالى ويهبون حياة أبنائهم من قبل ميلادهم ومن بعد ميلادهم لله، تعالى ولا يكون هدفهم هو ما يهدف إليه من يطلبون الولد للاستئناس والنصرة للمادة والعمولة على المعاش و لقيام بأمر الاسره هي الحاسب للمادى، بل يكون هدفهم سائر في تيار م كرسو حياتهم من أجله وهو الهداية للمجتمع، والعمل على أن يستقيم على أمر الله تعالى، أي أنهم يكرسون حياتهم وحياة أبنائهم لإسعاد الإنسانية، وذلك أن الاستقامه على أمر الله تقود لمجتمع إنى لنعاده ، والله سبحانه وتعالى يقول

﴿ مِنْ عَمَلِ صَالِحٍ ذَكَرَ أَرَأَيْتُ أَشْئًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ لِنَحْيِي حَيَاةَ طَيِّبَةٍ وَلِنُحَرِّبَهُمْ أَعْرَابَهُمْ ﴾

يا حسن ما كانوا يعملون ﴿ . (عافر ١٠)

ويقول سبحانه :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾

والاحراف ٩٦

لقد دعا ركبنا عليه السلام وألح هي الدعاء فهما، كاتب سيعة ٩

(٣٩) ﴿عَادَتُهُ الْمَلَانِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحَارِبِ ابْنُ الْكَلْبِ يُسْرَتُهُ يُحْيِي مُصَدِّقًا كَلِمَةً مِنْ تِلْكَ وَوَعْدًا مُحْصُوًّا وَبَيِّنًا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ .

حبیبنا را یسیدنا زکریا کرامۃ مریم رضى الله عنہا، عنى الله، تعالیٰ  
وہر شئہا عندہ سبحانہ، ظمیع فی أن تکون لہ دریۃ، وما دلت علی اللہ معربہ، فدعا  
الہ فی إخلاصہ واستجاب للہ، سبحانہ وتعالیٰ، دعاءہ .

وهذه الامتجاعة كان لها مقدمات ذكرها الله تعالى في سورة الأنبياء حيث يقول سبحانه

﴿ وَكَرِهَا إِذْ بَادَى رَبُّهُ لَا تَدْرِي لَمَّا وَاسَّ حِيزَ الْإِنشَاءِ ﴾ فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ  
نَحْسًا وَصَلَحْنَا لَهُ رُوحَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَا وَرَهًا وَكَانُوا لَنَا  
حَاشِعِينَ ﴿

إلى مقدمات الاسحانة لتركيا، عليه السلام، وللأنبياء على وجه العموم ولعامة  
البشر، نصًّا، هي

اولا : « كانوا يسارعون في الخيرات »

ثالثا : ۛ كانوا يدعون الله تعالى خوفا ورهبا ۛ

وَتِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ يَتْلُوهَا عَلَيْكَ اللَّهُ زَيْدُ بْنُ مَرْثَدَةَ إِثْمَانُ بْنُ حَزَلٍ أَوْ كُنْتُمْ لِنَاصِرٍ ۖ

أما المسارعة في الحيرات فبها تتضمن أشياء كثيرة ، منها : ما ذكره الله تعالى، في آية البر، يقول تعالى

﴿ ليس امر د تولوا وحوهكم قبل المشرق و المغرب ولكن امر من من مائه وايوم  
لاحر و سلايكه و مكتب و بسين و انى لمال على حبه دوي لغري و انينامى و الماسكين و بن  
السبيل و الصائدين و في الرقاب و اقام الصلاة و اتى الزكاة و سموهون بعهدهم اذا عاهدو  
و الصائرين في نيايه و الصراء و حتى اباس اولئك لدين صدهو و اولئك هم المتعزوا ﴾

٧٧ الفهرس



ومنها ما ذكره له، سبحانه وتعالى، هي صفات المؤمنين حينما قتل

﴿ قَدْ فَتَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴿ وَذِينَ هُمْ عَنِ النَّارِ كَافُونَ ﴾ والذين هم لفرواحهم حافظون ﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا بَلَغَتِ أَيْمَانُهُمْ مِنْهُمْ عَيْرُ الْمُؤْمِنِ ﴾ لمن اتقى ربه ذلك فأوتىك هم العُدُونُ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴿ (المؤمنون ١-١١) ﴾

ومنها ما ذكرته لسيدة حديجة رسول الله عليها، حينما قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم

والله ما يحريك الله أبداً، ثم عللت ذلك بقولها

« إنك لتخص الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الصفيح وتعين على نوائب الحق » .

والمسارعة في فعل الخير تزد من أسس استحابة الدعاء .

وأما ثانياً : فإن من أسس استحابة الدعاء : الدعاء رعباً والدعاء رهياً، أما الدعاء رعباً فهو لدعاء لمتجه إلى الله، تعالى، رعبة هي مرضاته، لأنه سبحانه ونعالى، أمر بالدعاء

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي ۖ ۞ (عافر ٦) ۖ

وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه ابن مسعود رضي الله عنه « سئروا الله من فضله ، فإن الله يحب أن يُسأل ، وأخص العباد انتظراً المرح »

وقال، صلى الله عليه وسلم « من لم يسأل الله يعصب عليه » .

كأوا بدعونه رعباً هي مرضاته، ورعباً هي عسده، لأنه سبحانه، لما لك لكل

شيء

وعن ذلك يقول ، صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه أسن، رضي الله عنه

« ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شئع بعله إذا انقطع »

ورعيا هي التوفيق إلى فعل الطاعات ، وفي تثبيت لقلب على لإيمان وكان  
من دعائه ، صلوات الله وسلامه عليه ،

« اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك »

ويدعونه رعب هي مقمرته، وكان صلوات الله وسلامه عليه ، يكثر من الدعاء  
بالمغفرة تعلما للأمة، ومن دعائه هي ذلك

« اللهم اعصر لي حظي مني وجهلي، واسراحي في أمري ، وما أنت أعلم به مني،  
اللهم اعصر لي حظي وعمدي ، وهزلي وجدتي ، وكل لك عدي اللهم اعفر لي ما  
قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم،  
وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير » (١)

وكل ذلك ينطوي تحت قوله تعالى

﴿ وادْعُوا رَعِيَا ﴾ (الأنبياء ٩٠) .

وكانوا يدعونه رهبا منه ، أي من غضبه ، ومن عدائه .

وأم ثالثا : فإن من أسس ستجابة الدعاء أن يكون الداعي حاشعا لله

تعالى

﴿ وكانوا لنا حاشعين ﴾ .

وقد حقق زكريا عليه السلام، كل ذلك ببعض القرآن الكريم ، ولما كان الأمر

كذلك كانت التوبة أن يادته لللائكة وهو قائم يصلي في اجتراب

﴿ أن الله يَشْرِكُ بِعَبْدِي ﴾ .

وهذه التسمية تسمية الله تعالى إله سبحانه، هو الذي سمي ابن ركزا يحيى سماه قس أن يولد، وقد قيل في سر هذه لتسمية كلمات حبيبة فقتادة رضى الله عنه، يقول

« سمي يحيى؛ لأنه حيٌّ بالعلم والحكمة انتى أوتيتها » .

ويقول الحسن بن المفضل

« سمي يحيى لأن الله تعالى، أحياء بالطاعة ، فلم يعص، ولم يهم »

ثم أحد الله، تعالى، بين صفات يحيى .

ونعود إلى الآية الكريمة من حديد .

لقد استجاب الله، سبحانه، دعاء ركزا لأنه كان يسارع في الحيرت وبدعو الله رعب ورهبا وكان من الحاشعين وبادت الملائكة ركزا ، وعرفته ان الله يبشره بيحيى ما صفات هذا المولود فهي أولا أنه مصدق بكلمة من الله

يقول أبو عبيدة وكثير غيره إن الكلمة كتاب الله وآدنه ، وجهه ان العرب تقول أشدنى حال كلمة أي، قصيدة .

ويستأنس لقول أبي عبيدة بقول الله، تعالى

﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾ . (مريم ١٢)

ومن صفات يحيى أنه سيد .

ولقد تحدث الصحابة والتابعون عن معنى كلمة «سيد» ، وقد جمع الامام ابو المرح عبد الرحمن بن الحوري بعض هذه الأقوال فقا

وهي معنى السيد ثمانية أقوال

أحدها : أنه الكريم على ربه ، قاله ابن عباس، ومجاهد .

والثاني : أنه ، الحليم النقي روى عن ابن عباس أنصا والصحاح

و الثالث أنه الحكيم ، قاله الحسن ، وسعيد بن جبير وعكرمة وعصاء

و أبو الشعثاء ، والربيع ، ومقاتل .

والربيع : أنه الفقيه العالم ، قاله سعيد بن المسيب .

والخامس : أنه التقي ، روه سائمه عن ابن جبير .

والسادس : أنه الحسن الحلق ، روى عن الصحاك .

والسابع : أنه الشريف ، قاله ابن زيد .

والثامن : أنه الذي يهوى قومه في الخير ، قاله الرجاء .

وقال ابن الأثير : السيد هـ هنا الرئيس ، والامام في الخبر

« اد كنت كلمة » وسيداً أثارت كل هذه المعاني ، فإنها من جانب حر ثارة

حدلاً حول إطلاقها على الآخرين وهل يجوز أن نقول « سيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم » أو سيدنا أبو بكر ، رضى الله عنه ؟

يقول في ذلك العلامة إدريس بن أحمد الورتاني

« واستعمله في غير الله سائح بطرقه الكتاب والسنة ، قال تعالى

﴿ وسيداً وحضوراً ﴾ .

وقال سبحانه ﴿ وألفيا سيدها لدى الباب ﴾ . (يوسف ٢٥)

وقال ، صلى الله عليه وسلم

« أنا سيد ولد آدم ولا فخر »

وقال ، عليه الصلاة والسلام

« إن أنى هذا سيد » .

وقال للأَنْصار ، قوموا لسيدكم .

ما الإمام النووي فإنه يقول

والأظهر حوازم مطلقاً .

ومما يؤيد قول الإمام النووي ما رواه الإمام البخاري في صحيحه من قول

سيدنا عمر

أبو بكر سيدنا وأحق سيدنا

وسيدنا اندر أعتقه أبو بكر رضى الله عنه هو بلال بن رباح ، رضى الله عنه

ومن ذلك تعلم هي يقين أنه لا مانع من أن نقول على العاقل من الناس سيد  
وهي فمة لأفاضل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لصحابه وأولياء الله  
، رضى الله عنهم أجمعين

ومن صفاته يحيى عليه السلام ما ذكره الله تعالى، بقوله ﴿حَصْر﴾  
والحضور ، فيما رأى من عباس ، رضى الله عنه وجماعة من الصحابة  
والتابعين ، هو الذى لا يأتي النساء .  
ويقول صاحب كتاب التأويل .

« الحضور هو الممتنع عن الوطء مع القدرة عليه، وبما تركه للعمه والرهه  
فيه »

ومع أن أكثر المفسرين فسروا ﴿حَصْرًا﴾ بالمتنع عن النساء حتى لقد قال  
صاحب الكتاب إن هذا هو الصحيح ، فإن لراى الذى يراه ويرى أنه هو الصحيح  
هو مفسر الحضور بأنه الذى لا يدخل مع القوم هي المبسر وهي اللهو، كما ذكر  
ذلك صاحب لكشافه، ويستشهد على ذلك بقول الأخطل

وسارب مريح بالكأس نادى  
لا بالحضور ولا فيها يسار  
فستعبر لمن لا يدخل هي اللهو وقد روى أن يحيى عليه السلام مر وهو طمس  
بصبيان فدعوه إلى اللعب فقال ما للعب حقت .  
وبقوى هذا الراى ما روى من أنه يروج .  
هذا ومن أوصاف يحيى التى ذكرها الله تعالى وحتم بها الكلام عن أوصافه  
قوله تعالى

﴿ ربيما من الصالحين ﴾ .

والآن نساءل : ماذا كان أثر ذلك في نفس زكريا ؟

(٤٠) ﴿ فَرَبِّ مَن يَكُونُ فِي غُلَامٍ وَهُوَ بَعْدَىٰ لَكَبِيرٍ ۚ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۚ قَالَ كَذَلِكُنَّ لَئِيْلَهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝ ﴾

(٤١) ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً ۚ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ نَاسَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِلَّا ذِكْرًا ۚ وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا ۚ وَسِحْبٌ يُبْعَثُ وَإِبْرَارٌ ۝ ﴾

### المفردات :

عَاقِرٌ عقيم لا تلد آيَةً علامة رمزاً إشارة العصى من رِوَالِ الشَّمْسِ إلى أن تعرب ، الإبرار من طلوع المحر إلى وقت الصبحى

### المعنى :

لقد دعا زكريا ربه أن يرزقه من بعدهم في دعوة وألح في الدعاء وكان قد حقق شروط استجابة الدعاء ، واستجاب الله دعاءه ، وبادته الملائكة مسخرة من لى لله سبحانه ، فلما سمع زكريا لبشرى عمره السرور ولم يشكك في تحقق المسارة ودفعه السرور إلى الاستفسار والاستعلام وانتهاز الفرصة المتاحة للإحاطة بالامر فسأل

بأنه كيفية يكون لى ولد ؟ أيكون ببراله العمم عن امرأتى ورد شأى ؟ و يكون وانا عسى ما أبأ عليه وقد وهن العظم منى وامراتى على ما هى عليه من الكبر والصعب ؟

### يقول الحسن

كان زكريا يقول كيف ذلك ؟ أتجعلنى وامراتى شابين ، أم ترزقنى ولداً على كبر ما ؟ ترزقنى من امرأة أخرى ؟ قاله مستهزئ

وحاجه الرد حاسما

﴿ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝ ﴾

ولكن مرحلة زكريا كانت أعظم من أن توقعه عند ذلك الحد ، بعد يصرل ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً ﴾ أى علامه أعرف بها لحسن حصى ودى لك شكر

بعمائك

### يقول ابو لصرح بن الجوزى ،

إنما سأل الآية على وجود الحمل ليدبر بالشكر ، وليتعجب السرور لأن شأن الحمل لا يتحقق بأوله ، فجعل لله آية وجود الحمل حسن لسانه ثلاثة أيام

﴿ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا ذِكْرًا ۝ ﴾

إن العلامة التي تطلبها على وقت الحمل أن يُعْتَقَر لسابك عن الكلام طيبة  
ثلاثة أيام ، اللهم ، لا ما يكون منك من إشارات تتخاطب بها مع الناس إشارات  
نائب أو بالرأس

بعد عُقْل لسابك عن الكلام، ولكنه لم يعتقل عن ذكر الله تعالى .

يقول الإمام علاء الدين علي بن محمد :

• قال جمهور المفسرين عقد لسابك عن تكليم الناس ثلاثة أيام مع إبقائه  
على قدرة التسبيح والذكر، ولذلك قال في بحر الآية

﴿ واذكر ربك كثيراً وسبح بأعني والإبكار ﴾ اهـ

يعني هي أيام منعك عن تكليم الناس، وهذه من الآيات الباهرة والمعجزات  
لظاهرة لأن قدرته على التسبيح والذكر مع عجزه عن تكليم الناس بأمور لديها  
وذلك مع صحة الجسم وسلامة لحوارج من أعظم المعجزات ، وإنما مع من الكلام  
مع ساس لحلم في هذه الأيام لعبادة الله تعالى وذكره، ولا يشغل لسابك بشيء آخر  
تو فرأ منه على قضاء حق هذه البعثة بجسيمته ، وشكراً لله على حبه فيما طلب  
لآيه من أحبه ، وأن يكون ذلك دليلاً على وجود الحمل ليتم سروره بذلك

ثم نبه الله، تعالى بالذكر وأمر بالإكثار من الذكر في أكثر من مرة من  
كتاب الله، تعالى ، إنه، سبحانه وتعالى، يقول في الذكر :

﴿ واذكر ربك في نفسك بصراً وحيماً ودون الجهر من الثوب بالعدو والاصم ولا

تكن من العافلين ﴾ ( الأمرات ٢٥ )

أما الذكر الكثير ، فإن الله سبحانه وتعالى يقول

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا لله اذكروا الله كثيراً ﴾ وسبحوه بكرة وأصيلاً ﴿

( الأحزاب ٤١ - ٤٢ )

ودعيت الله سبحانه وتعالى أصحاب العقول المستقيمة التي رضى عنها لأنها  
اهتدت بهديه، هب من سبحانه - مادحاً لهم - من صماعتهم أنهم الذين يذكرون الله  
قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم .

ووصف له سبحانه وتعالى، المؤمنين بصناعات برصى عنها حثمتها بقوله  
﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا﴾ . ( الاحزاب ٢٢ )

ومن الأمر بالذكر هي القرآن الكريم قوله تعالى  
﴿ إذا فصلتم العيلة فذكروا لله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ﴾ ( النساء ٢ )

ويقول ابن عباس ، رضى الله عنهما ، هي هذه الآية :  
أي بالليل والنهار هي السر والبحر، والسير والحصر والعنى والمقر  
والمرص والصحة، والسر والعلانية .  
ويقول الله، سبحانه وتعالى :

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ . ( المكنوت ١٥ )

ويقول ابن عباس، رضى الله عنهما عن هذه الكلمة لمراية الكريمة .  
لها وجهان

أحدهما أن ذكر الله، تعالى، لكم أعظم من ذكركم إياه  
والآخر : أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه .  
وبعد، فقد استغرق ذكرنا هي ،ذكر حينما أتته آية ، وهي عقال لسانه عن  
كلام وكان ما كان من تحقيق وعد الله . وما كان ربك نسيا

(٤٢) ﴿ رَادُّنَا لِلْمَلَائِكَةِ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ عَلَى سَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾

(٤٣) ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَإِسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ .

لقد نقل الله مريم، رضى الله عنها ، يقبول حسن وأنتها بدأ حساً وترك  
مريم عليها السلام بالعبادة وصغت نفسها ، ورى شعورها ، فأصبحت من الصغام  
بحيث يرى الملائكة



ورؤية الملائكة ومحاطبتهم أمر أقره القرآن الكريم إن الله سبحانه وتعالى.

يقول

« إن ليس قالو رد الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة إلا تحذروا ولا تحربوا  
وسيرا بالحق التي كنتم ترعدون » نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما  
تشبهن أنفسكم ولكم فيها ما تدعون » يرسلنا من عتور رحيم ﴿ (نساء ٢ - ٢٢)

وقول الملائكة لأولياء الله

﴿ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾.

صريح هي أن الملائكة أولياء للصالحين من عباد الله في الحياة الدنيا

وسحدثون النعم فيها ويبشرونهم بأنهم أولياؤهم أنصا في الآخرة

ونقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى الملائكة ويتحدث معهم ولا

يراهم من محاوره ، ومن طريق ما يروى في ذلك أن السيدة خديجة رصوان له

عليها وهي التكية المظلة قامت شجرة على حبريل عليه السلام

يقول الإمام ابن حنبل هو في ذلك - وهذا عتمد على الأحاديث الصحيحة

يقول

« و نظر لما أخسر النبي صلى الله عليه وسلم ، خديجة رضى الله عنها

بحال الوحى أول ما جاءه ، وأرادت احترازه .

فقلت أعطى بيك وبين ثوبك

فلما فعل ذلك ذهب عنه

فقلت إنه ملك وليس بشيطان

ومعناه ، أنه لا يقرب النساء .

وروى ليهفى هذه القصة في شيء من التفصيل وذلك أن خديجة رضى

الله عنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، هيما بينه مما أكرمه الله به

من سونه

يا ابن العم تستطيع أن تحبرى بصاحبك هذا الذى أتتك إذا جاءك ؟

فقال نعم .

فما لبث إذا جاءك فأخبرني

فسمي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عندها ، إذ جاءه جبريل ، فقرأه رسول  
لله ، صلى الله عليه وسلم .

فقال يا حديجة ، هذا جبريل

فما لبث أن أقرأه الآن ؟

قال نعم

فما لبث فتحول فاحسب إلى شقي الأيمن ، فتحول فاحسب .

فما لبث أن أقرأه الآن ؟

قال نعم

فما لبث فتحول فاحسب إلى شقي الأيسر ، فتحول فاحسب ، فقال هل  
تراء الآن ؟

قال . نعم .

فحسرت رأسها فشأنك حمارها ، ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم جالس  
في حجرها ، فما لبث هل تراء الآن ؟ قال لا .

فما لبث ما هذا بشيطان ، إن هذا أهلك ؛ يا ابن عم فانت وبشر ثم امت  
به ، وشهدت أن ما جاء به هو الحق

وقال ابن سحاق فحدثت عبد الله لحسن هذا الحديث فقال

قد سمعت أُمِّي هَاطِلَةَ بنت الحسين ، تحدث بهذا الحديث عن حديجة ، إلا  
أن سمعتها تقول « دحيت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » نسها ونس برعها  
فذهب عبد ذلك جبريل ، عليه السلام

قال لبيها وهذا شيء كان من حديجة تصعبه تسببت به الأمر  
، حياطلاً بديها وتصديفا

ويصول ابن خلدون ، أيضا

« وكذلك سأله عن أحب لثياب إليه أن يلبس فيها ؟ فقال أبيض

والخضر

فما لبث إنه ملك

يعنى أن النياض والحصره من ألوان الحبر والملائكة ، و تسواد من ألوان نشر  
والشياطين

وعن ذلك يقول الإمام البوصيرى ،  
وتله في يدها جبرئيل  
هامت عنها لحمس لتسجدى  
فاحتوى عند كشفها الرأس حير  
هستببت حديجة إنه لك  
ولسدى السب من الامور اربياء  
أهو الوحى أم هو الاعسباء  
ل نفس عباد و عيد اعطاء  
ر الذى حاولتسه والكيمياء

وبعد :

عن ابن عباس، رضى الله عنهما، قال

« بينما رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، وعنده حزين إذ سمع نقيصا فوقه  
هرفع جبريل بصره إلى السماء فقال -

هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط قال فسرل منه منك فأتى النبى .  
صلى الله عليه وسلم ، فقال له :

أبشر لمورين قد أوتيتهم ثم يؤتيتهم بى قبلك فادحه لكتاب وحويم سورة  
البقرة ، لى تقرا حرفا منهما إلا أوتيته » (١)

وبعد :

عن الملائكة تتحدث مع الذين قالوا ﴿ رَبُّنَا إِلَهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ ، بعد (٢)

ومن هؤلاء مريم، عليها السلام .

وبعد إلى الآية

عالت الملائكة لريم، رضى الله عنها

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ ﴾ . وفى ذلك يقول الإمام ابن عباس

١ . رواه مسلم والنسائى

اصططعها على عالمي رماها وبهذا قال الحسن البصري وابن جريج رضي  
الله عنهم

ويقول ابن الأنباري وهذا قول الأكثرين .

وتدعت الملائكة كلامها فقالت : ﴿ طهره ﴾ .

وطهرتها هنا من الكبر ، كما يقول معاهد رضي الله عنه ، أو من الفاحشة  
بالإثم كما يقول مصاتل رضي الله عنه ، ولأولى أن يقال طهره من كل سيئ من  
لا قول والأفعال

ثم بابح الملائكة حديثهم فيقولون ﴿ واصطفا على ساء العالمين ﴾

وإد كان الاصطفاء في الأول على عالمي رماها فإن الاصطفاء الثاني  
حصص ذلك بأنه صطفاء على لناس دون الرجال

بمؤل الامم من لهورى لما أطلق الاصطفاء الأول أبى بالناس بها مصطفاة  
على نساء دون الرجال .

وهذه الحالة من الاصطفاء تمتصى شكر الله تعالى .

ومن شكر الله ، تعالى : القنوت له سبحانه .

﴿ يَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ ﴾ .

ه لقنوت كما يقول ، الرابع ، الأصمهاى

لروم الطاعة مع الخصوع ، وهنتر بكل منهما فى قوله تعالى

﴿ رَقُوعُوا لِلَّهِ قَانِينَ ﴾ ، ( البقرة ٢٣٨ )

وقوله تعالى ﴿ كُلُّ ه قَانُونَ ﴾ ، هين حاصعون ، وهيل طانعون وقيل  
سكنون ولم يُعْن به كل سكوب ، وبما عى به ما قان عليه السلام

ن هذه الصلاة لا يصح فيها شىء من كلام الأدميين إنما هى هرا وسبيح ،  
على ه هيل أى الصلاة أحصل ، فقال : طول القنوت ، أى الاشتغال بالعبادة ،  
ورقص كل ما سواه

ومن شكر الله ، تعالى على الاصطفاء : السجود له سبحانه

﴿ واسجدي ﴾

يروى لإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أهل الصفة رضي الله عنه - قال :  
« كتب أنيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتته بوصيته وحاجته ، فقال سئلي »

فقلت : أمألك مرافقتك هي الجنة

فقال أو غير ذلك ؟

فقلت هو ذلك

قال : « أعني على نفسك بكثرة السجود »

والسجود إذن مما يحث على ترويض النفس لتتركى ، وهو يدل من الوسائل التي توصل إلى الجنة ، وإلى مرصاة لله تعالى ، ويتناسب مع طريقة الاصطفاء

وهي هذه المعنى ، يروى لإمام مسلم أيضا عن أبي عبد الرحمن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول « عليك بكثرة السجود

فإنك لن تسجد لله سجدة ، إلا رفعك الله بها درجة ، وحط عنك بها خطيئة »

والسجود لدى بحث عليه رسول الله ، صلات الله عليه وسلامه هي هذه الأحاديث ، والسجود لدى أمر به مريم ، عليها السلام ، ليس هو مجرد الحركة المعروفة وإنما هو - مع هذه الحركة - المعنى العميق هي النفس التي يمثل فيه حلال لله وعظمته ورحمته ووده ، ويمثل فيه ، خضوع لهذا بحلال وهذه العظمة ، والانقياد المطلق لرحمة الله .

فإذا ما كان السجود تعبيراً عن النطام من والتدلل ، وذلك معناه بصحيح كان ذلك عبادة ، وخضوعاً لله سبحانه وتعالى وكان بذلك سبيلاً إلى الجنة ، وإلى أكثر من الجنة ، وهو القرب من الله ، يقول الله تعالى في كتابه العزيز

﴿ واسجد واقترب ﴾ ( السج ١٩ )

وبسول ، صلوات الله عليه . هي هذا المسمى

« أقرب ما يكون العبد من ربه ، وهو ساجد » .

ومن أجل هذه القيمة أوجب ، مدح الله من يعبرون عن حصوئهم لأياته  
واستجابتهم لأمره ، بقوله تعالى

﴿ إنما يومئذ نأتينا الذين دُكروا بها حرورا ساجداً وسبحوا بحمد ربهم وهو لا  
يستكبرون ﴾ ( السجدة ١٥ )

والذين هداهم الله ، واختبأهم

﴿ إذ تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ حَرَّوْا سَجْدًا وَبُكَوْا ﴾ مريم ٥٨

ومن صفات عبادة الرحمن ، التي يركيهم الله بها أنهم

﴿ يبيتون لربهم سجداً ﴾ . ( الفرقان ٦٤ )

وتنتهي المصداق لمريم ، وصوان الله عليها ، بقول «لأنك لها

﴿ واركعي مع الراكعين ﴾

(٢٤) ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم  
وما كنت لديهم إذ يחתصمون ﴾ .

#### المصردات :

ذلك : إشارة إلى ما تقدم من القصص

أبناء : أحبار .

لغيب : ما غاب عن الإنسان .

ونوحى : يقول عنه الإمام ابن قتيبة هو كل شيء دلت به من كلام . و  
متاب ، أو إشارة أو رسالة .

واقلامهم : هي قداحهم التي طرحوها مقترعين .

في هذه الآية الكريمة يحاطب الله ، سبحانه وتعالى ، رسوله الكريم ، صلى الله  
عليه وسلم ، فيشير بكلمة ﴿ ذلك ﴾ ، إلى ما تقدم من قصة زكريا ، ويحيى ،  
وعيسى عليهم السلام ، ويعلن ، سبحانه ، إلى الناس أجمعين أن هذه الأحبار إنما  
هي عيب بم يشهدوا محمد ، صلى الله عليه وسلم وإنما هي من الله سبحانه ،

لرسوله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن حاصراً حينما كانوا يقولون  
قد أحجمهم مفرعون على مريم أيهم يكملها ، وما كان حاصراً حينما اختصموا فيها  
فمضت هي حصامهم القرعة .

إن الحديث عن ذلك من علم العيب .

ومن هذا القبيل قوله تعالى

﴿وما كنت بجانب لغويٍّ دافئنا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين﴾

(القصص ٢٤)

﴿ولكننا أنشأنا قروناً فتداول عليهم نعيمٌ وما كتب لأولئك في أهل مدائن تلوا عليهم آياتنا

ولكننا كنا مرسلين﴾ . (القصص ٢٥)

﴿وما كنت بجانب الظُّلُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن

فَبِأَلَيْسَ لَعْنِهِمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ . (القصص ٢٦)

وعن موضوع الغيب الماضي الذي أخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول الإمام ابن كثير

، بيده الله ، تعالى ، على برهان نبوة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، حيث  
أخبر بالغيوب الماضية خبراً كان سامعه شاهداً وراءه ، وهو رجل أمي لا يقرأ شيئاً من  
الكتب ، بشأ من قوم لا يعرفون شيئاً من ذلك ، كما أنه لما أخبره عن مريم ، وما  
كان من أمرها ، قال تعالني

﴿ ذلك من أنباء الغيب يُوحى — إليك وما كنت لديهم إِذْ يُفْقَرُونَ أَفْئَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا  
كُنْتَ لَهُمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ .

أي وما كنت حاصراً لذلك ، ولكن الله أوحاه إليك ، وهكذا لما أخرجه عن نوح  
وقومه ، وما كان من إنحاء الله له وإعراق قومه ، ثم قال الله تعالى

﴿ تلك من أنباء الغيب يُوحى — إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إلى

العاقبة للمتقين ﴾ . (مود ٤٩)

وقال في آخر السورة ﴿ ذلك من أنباء القُرَى نَقِصَهُ عَلَيْكَ ﴾ دور ١

وقال بعد ذكر قصة يوسف

﴿ ذلك من أنباء الغيب لم نجبه إليك وما كنت بتذيقهم ذلك جميعاً أمرهم وهم يمكرون ﴾

يوسف ٢٠

وقال في سورة طه

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِقَصصِ عِلِّكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَفَدَّ أَنْيَاكُ مِنْ بَعْدِ مَا ذُكِّرُوا ﴾ طه ٢٦

وقال هـ هـ بعد ما أخبر عن قصة موسى من أولها إلى آخرها وكيف كان  
بتداء إبعاده إليه إليه وتكليمه له

﴿ وما كنت بجانب العربي إذ قضيتُ إلى موسى الأمر ﴾ القصص 1

وما كنت يا محمد بجانب الحسن العربي الذي كلم الله موسى من الشجرة  
انتى هي شرقية على شاطئ الوادي .

﴿ وما كنت من لشاهدين ﴾ لذلك ولك الله سبحانه وتعالى وحى الغيب  
ذلك ليكون حجة وبرهاناً على قلوبهم تملأون عهداً وبنوا حجج الله عليهم وما  
وحده إلى الأنبياء المتقدمين ، ، هـ

و الغيب لا يعلمه إلا الله ، سبحانه وتعالى ، وهو ، سبحانه ، بمنح من ذلك من  
بشاء ما شاء ، بقول سبحانه

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ ، ( البقرة ٢٥٥ )

و لعب أنواع ، فمنه هذا النوع الخاص الذي أخبر الله تعالى به رسوله  
صلى الله عليه وسلم ، وذكرته هذه الآيات القرآنية .

ومنه الغيب المادي الخاص بالمستقبل وقد أخبر الله تعالى رسوله بأنواع  
منه كقوله تعالى



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لم ۞ علمت السرور ۞ في أدنى الأرض وهم من بعد عليهم سيعلون ۞ في بصع

سين ۞. (الروم ١-١)

ولهذه الآية الكريمة قصة يذكرها المحدثون ويذكرها المسرورون ، وذلك أنه

كان بين فارس والروم حرب ، فعلمت فارس الروم ، فسع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه هثق ذلك عليهم ، وفرح المشركون بذلك ، لأن فارس لم يكن لهم كتاب ، وكانوا يجحدون البعث ، ويمسكون الأصنام ، و لروم أصحاب كتاب

فقال المشركون لأصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بكم أهل كتاب ، ولنصارى هل كتاب ، ونحن أميون ، وقد طهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من لروم حين قتلتمونا لظهور عليكم ، فنزلت هذه الآية ، فخرج بها أبو بكر الصديق إلى المشركين ، فقالوا لأبي بكر براهيك على أن الروم لا تعيب فارس ، فقال أبو بكر البصع ما بين ثلاث إلى تسع ، فقالوا الأوسط من ذلك ست فوصعوا نرهان ، وذلك قبل أن يحرم الرهان ، فرجع أبو بكر إلى أصحابه فأخبرهم فلاموه وقادوا هلاً أقررتها كما أقره الله ، لو شاء أن يقول ستا لقال

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،

« إنما البصع من بين ثلاثة إلى تسع » ، فخرج أبو بكر فقال لهم

أرايكم في الحطر وأمد في الأحل إلى تسع سنين ، فصنعوا ، فقهرهم أبو بكر وأخذ رهابهم »

وبدأ كانت معرفة العيب المأصى من دلائل النبوة ، فإن معرفة العيب المستقب من دلائل النبوة من باب أولى ، ولكن هذا ودك ليس هو العيب الذي قدس الله تعالى به .

﴿ عانم لعيب فلا يظهر عني فيه أحدا ۞ إلا من ارتضى من رسول ۞

والمر ٣٦ ، ٣٧

وهذا العيب هو عيب عالم الإلهيات ، أو هو عيب ما وراء الطبيعة من أمثال الحنة والنار ، وما في الحنة من نعيم مقيم ، وما في النار من عذاب دائم وكذلك هيماء يعنودات الله تعالى وصفاته وكل ذلك لا يجوز بالإسناد - يصدر عن - شخصي وإنما نقول بما ورد منه على لسان الرسول ، صلى الله عليه وسلم

نؤمن به على مراد الله فيه : ﴿والرأسخون في: ثعمم بقونون م بد كل من عبد رب﴾

وهذا العيب هو ابدى وصف الله، تعالى المؤمنين به حبيبا قال مادحا لهم

﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ (البقرة ٤)

(٤٥ - ٤٨) ﴿ دقات الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وحيها في الدنيا ولا حرة ومن المقربين ﴾ ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين ﴿ قالت اب سي يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء دا قصي امرا فاما يقول له كن فيكون ﴾ ويعلمه الكتاب والحكمة ولتوراه والإنجيل ﴿

بد لقرآن الكريم يتحدث عن قصة عيسى، عليه السلام ، بعد أن تحدث عن أمه ، وعن ركريا ،

إن الملائكة ، كما بشرت مريم عن الله تعالى ، بأنه اصطفاها وطهرها واصطفاها عني ساء العالمين ، فإنها أحبرتها بأن الله، تعالى بشرها بكلمة منه وهي معنى ذلك يدكر المسرون أحوالا جمعها صاحب روح المعاني قائلا

« وإطلاق الكلمة على من أصقلت الكلمة عليه باعتبار أنه خلق من غير واسطة أب من بواسطة كن فقط على خلاف أفراد بني آدم، فكان تأثير الكلمة في حقه اظهر وكم هو كقولك بن عب عليه لحود مثلا محص لحود ومعنى ذلك أكثر اصغرين - وأيدوا ذلك بقوله تعالى :

﴿ ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾

{ال عمران ٤٩}

وهي اطلق عليه ذلك لأن الله تعالى بشر به في الكتب السالفة ، هي  
لورا - هي الفصل العشر من المصالح الخامس اقبل الله تعالى من سيما  
وتحي من سيعير ، وظهر من جبل هاران . وسيا جبل النحلي لموسي وساعير  
جبل بيت المقدس ، وكان عيسى يتعبد فيه - وفاران جبل مكة ، وكان متحدث  
سيد ابرسيس ، صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهذا كقول من يحبر بالأمر إذا حرج  
موفقا لما أحبر به قد جاء كلامي

وهي « لأن الله تعالى يهدي به كما يهدي بكلمته » اهـ

وسمى الله تعالى المولود ان ﴿ اسمه المسيح عيسى ابن مريم ﴾

ما كلمة المسيح فقد ذكر المفسرون لها معاني عدة ، منها ما قاله مجاهد  
وعيره من أنه

« لصديق »

ومنها ما ذكر أبو سليمان الدمشقي ، من أن الله تعالى مسح ظهره من  
الدنوب

ومنها ما ذكر ثعلب من أنه كان يمسح ، لأرض أي يقطعها ويلدانه كان  
كثير السباحة

ولفظ عيسى اسمه ، ونسب إلى أمه ، لأنه من غير أب .

ثم أحد القرن الكريم في ذكر بعض صفاته فهو وحيه هي الدنيا والآخرة

« ما وجاهته في لآخرة هي وجاهة الأنبياء والرسل وميرلتهم عند الله مرة  
الدين ، رضى الله عنهم ، ورضوا عنه .

واما وجاهته في الدنيا فيعبر عنها الحب النابع عن قلوب الذين سمعو  
مواظمه واستجابوا لدعوته الصادقة أثناء حياته ، وهو هي حياته الدنيوية ، وهي  
حياته الآخروية من المقربين عند الله تعالى .

وإذ كانت وجاهته في الدنيا مقصورة منذ الأزل فإنها بدأت منذ أن كلم  
لناس في الهدى

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ .

يقول ابن عباس، رضى الله عنهما :

« تكلم ساعة المهد ثم لم يتكلم حتى بنع مسبح المطلق »

ويقول ابن الأسارى :

كان صبه السلام قد راد على الثلاثين ومن أربى عليها فمد دحر في

الكهولة »

ويقول الإمام ابن عباس، رضى الله عنه :

« ابن ثلاثين سنة ، أرسله الله تعالى ، فمكث في رسالته ثلاثين شهرا »

ويدكر ابن جرير الطبرى شيخ المعصريين :

« الله ، سبحانه ، حبيبا أخبرهم بأنه يكلم الناس في المهد وكهلا ، فانه

أخبرهم من لرمس يؤثر فيه ، وأن الأيام تقبله من حال إلى حال

وهو حئت مريم عليها السلام بهذه الإشارة من الله ، تعالى ، إنها تسم أن الولد

لا يكون إلا من أب وهى لم تتزوج ولم يتمل بها إسان حكيم يأتيها لولد ؟

فاجهت إلى الله ، سبحانه ، معسرة

﴿رَبِّ أَنْتَ بَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ .

ومعنى المس : الحماح . وجاء الرد حاسما .

﴿ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِنْ قَصَى أَمْرًا فَإِنَّا بِقَوْلِهِ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

ثم تدبج القرآن الكريم الحديث عما تفصل الله ، تعالى ، به على عيسى عليه

السلام ، وديك أن الله ، تعالى ، يعلمه الكتاب أى الكتابة فاعلم كما قبل الإمام ابن

عباس رضى الله عنهما ؟

﴿ وبعلمه الكتاب والحكمة ﴾

وهو تحدث لقرآن الكريم عن الحكمة وبين، سبحانه، أنه

﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ﴾ ( البقرة ٢٦٩ ) وأنه

﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ . ( البقرة ٢٦٩ )

ولقد أتى الله تعالى الحكمة داود عليه السلام

﴿ وإنا أنزلناه إليك والحكمة وعلمه مما يشاء ﴾ ( لمرء ٢٥١ )

و أتى به سبحانه محمداً صلى الله عليه وسلم الحكمة وجعل شرط رسالته تعليم الحكمة

﴿ فقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب ﴾ ( آل عمران ١٦٤ )

ولقد ذكر الله، سبحانه، أمثلة للحكمة، منها بعض ما وحاه الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وقال في نهائته

﴿ حدث مما أوحى إليك من الحكمة ﴾ . ( الإسراء ٢٩ )

إنه سبحانه وتعالى يقول :

﴿ ولا تفتلوا أروادكم حشية أملاك من برقهم وإياكم إن لتبهم كان خطئا كبيرا ﴾

( الإسراء ٢١ )

﴿ ولا تقربوا الرعي إنه كان فاحشة وماء سيلا ﴾ ( الإسراء ٢٢ )

﴿ ولا تفتلوا العس التي حرم له إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا ﴾ . ( الإسراء ٢٣ )

ويقول

﴿ ولا يمش في الأرض مرحا إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ﴾

( الإسراء ٢٧ )

﴿ كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ﴾ . ( الإسراء ٢٨ )

ثم يقول سبحانه

﴿وذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فسمي في جهنم

ملوماً مدحوراً﴾ . (إسراء ٢٩)

ويتحدث القرآن الكريم - كمثال - عن بعض ما أتاه الله لقمان قائلاً

﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكُرْ لله ومن يشكُرْ فإنما يشكُرُ لنفسه ومن كفر فإن الله

عنيَّ حمداً﴾ . (لقمان ١٢)

وبما إذا ترونا ههنا ذكره الله، سبحانه، من الحكمة وحداً أنها مبادئ في

العقيدة - أسمى ما تكون العقيدة - ومبادئ في الأخلاق أكرم ما تكون الأخلاق

وتصمم بحكمة - إذن - الصدق عقيدة وأخلاق وإن كل ما يسائر الدين

لتصحيح هي العقيدة والأخلاق هو من الحكمة

ويقول الله تعالى، مستمراً في سرد الصفات الخاصة بسيدنا عيسى، عليه

السلام ، التي بشرت الملائكة بها السيدة مريم

(١٩) ﴿وورسلاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطير كهيئة

الطير فاصح فيه فيكون طيراً، يادد الله وبرى الأكمه والأبرص وأحيى الموتى يادد الله ويسكم

بما تاكلون وما تدحرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾

### المصردات :

آية معجزة أو علامة .

لأكمه الذي يولد أعمى .

الأبرص الذي به وضح ، وهو يبرص معروف بحال من الحلد ، وهذا

وأحب أن أقول

هذا بواحه بمناسبة هذه الآية الكريمة - أمراً يجب أن يبين رأينا هيه بوصوح

وهذا الأمر هو أمر المعجزات والكرامات .

، بعض الناس حاول في هذا الموضوع التأويل ، وحاول أن يلون الألفاظ  
والحمل لتؤدي معاني أخرى غير المعاني التي يدل عليها دلالة ظاهرة واضحة سوء  
أكان الأمر أمر الأسلوب القرآني ، أم أمر الأحاديث النبوية ، إنهم في الأسلوب  
القرآني يلوون ويتعسفون ، ويخرجون عن اللغة العربية ، وعلى ما تعرف عليه الناس  
في كل العصور ليستهووا بذلك إلى إنكار المعجزات والكرامات

أما فيما يتعلق بموقفهم من الأحاديث ، فإنهم اتخذوا موقفا لا يرضى الله  
ورسوله ، ولا يرضى المؤمنين الصادقين .

أيها الإخوة المؤمنون ،

إن الأحاديث تتناسق مع القرآن الكريم في الدلالة على إثبات المعجزات  
والكرامات .

نقد ذكرت الأحاديث الصحيحة كثيرا من المعجزات والكرامات التي حدثت  
للسابقين أنبياء وأولياء وحدثت لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وحدثت في  
عهد ، وموقف المبكرين من هذه الأحاديث مع صحتها صحة تامة ، هو موقف  
المحرفين في كل عصر ، إن ما نسميه قواصين الطبيعة إنما هو في الواقع « عذاب »  
الطبيعة .

وخرقها ليس بمستحيل عقلا .

وخرقها لا يترتب عليه المستحيل

وعذاب الطبيعة لا تسيطر على رب الطبيعة .

إن القرآن الكريم يحدثنا في أسلوب لا ليس فيه عن المعجزات ، التي تفصل الله  
بها على رسوله وأبيائه .

وحدثنا عن الكرامات التي منحها سبحانه لأوليائه وأصفيائه

ألم يحدثنا القرآن الكريم في الآية الكريمة التي نحن بصددنا بصورة لا  
تحمّل لتأويل ، بأن عيسى ، عليه السلام ، كان يخلق من الطين كهيئة الطير فيمخ  
فيه فيكون طيرا ، يدين الله وأنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى يدين الله ؟

المحدثنا عن سيدنا موسى عليه السلام بأنه ألقى عصاه فدار هي تلقف ما يافكون ، وبأنه أخرج يده فإذا هي بيضاء للناظرين ؟

وسيدتنا مريم : ألم تحمل بعينها عيسى من غير أب حارقة بذلك قواص بطبيعة ، وكانت كما دخل عليها زكريا بأحراب وجد معها رزق في بيت مريم أنى لك هذا ؟

قالت هو من عند الله.

وذهبوا لسمين حتى مر بعصور عدتهم وحاصتهم وهمهم ثم منح في الدنيا ولدين هم من الذين يثبتون الكرامات والمعجرات ويؤمنون بها

هـ هؤلاء الذين تجري على يديهم المعجزات أو الكرامات ، يسمونهم لافسهم ، وما يسمونها إلى المتفصل الذي هو صاحب القدرة والقدر فيهم يسمونها إلى من هو على كل شيء قدير

بمول الإمام بن كثير

قال كثير من العلماء بعث الله كل نبي من الأنبياء ما ياسب من زمانه فكانت على زمن موسى عليه السلام السحر والعظيم السحر فبعثه به معجرات نهار الاضواء وحيرت كل سحر فلما سبقوا به من عند العظماء حسب صدقوا للإسلام وصاروا من عند الله لأبرر وأما عيسى عليه السلام فبعث في زمن لافس وأصبح عن بطبيعة ، فجاءهم من الآيات بما لا يسير لاحد ليه إلا أن يكون مؤيدا من الله شرع تشريفة فمن ين لطيف قدره على حب محمد أو على مداواة الأكمة والأرض وبعث من هو في غير من يوم تنبؤ ؟

وكذلك محمد ، صلى الله عليه وسلم ، بعث في زمان ينصر جاء وبلغاء وبجانب اشعراء كتابهم بكتاب من الله عز وجل ، فلو احتجب الإنس والجن عن ربهم في الدنيا أو في غيرهم من مثله ونبوة من مثله ، لم يستطيعوا أن يدركوا كان بعضهم لبعض طهيرا ، وما ذلك إلا من كلام لرب عز وجل لا يشبه كلام لخلق أبدا ، اهـ



ويقول العلامة ابن خلدون :

« ومن علاماتهم، أيضا وقوع الحوارق لهم، شاهدته بصدقهم ، وهي أعمال يعجز البشر عن مثلها ، فسميت بذلك معجزة وليعت من جسس مقدور لعباد وإنما تقع في غير محل قدرتهم

ورداً تقرر ذلك ، فاعلم أن أعظم المعجزات وأشرفها ، وأوضحها دلالة تقرر لكريم ، المنزل على نبي محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فإن الحوارق هي الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي ، ويأتي بالمعجزة شاهدته مصدقة . والقرار هو نفسه الوحي المدعى ، وهو الحارق المعجز ، فشاهدته في عييه . ولا يقتصر إلى دليل معايير له كمسائر المعجزات مع الوحي ، فهو أوضح دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه .

وهذا معنى قوله ، صلى الله عليه وسلم

« ما من نبي إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة »

يشير إلى أن المعجزة متى كانت بهذه المثابة في الوصوح وقوة الدلالة ، وهو كونها بمنس الوحي ، كان التصديق لها أكثر لوضوحها ، فكثير المصدق لزمن، وهو التابع ولأمة .

وبعلق صاحب كتاب الشفاء فيقول :

« ومعنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا ، ومسائر معجزات الأنبياء ذهبت للحين ، ولم يشاهدها إلا الحاضر لها ، ومعجزة لقرآن بقيت عليها قرن بعد قرن إلى يوم القيامة » .

يقول الله تعالى مستنبها في بيان صفات سيدنا عيسى عليه السلام

( ٥٠ ٥١ ) ﴿ وَمَصَدَقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَحْسَنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حَرَّمَ عَلَيْكُمْ وَحَسَنًا  
بِإِيَّاهُ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿

تلى عيسى عليه السلام مصدقا للتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام ،  
مصدقاً لها في سماتها ونقائنها ، كما أنزلت من السماء نوراً وهداية ولم يزل  
عيسى عليه السلام بشرع جديد وإنما كان علماء اليهود يحتلمون في بعض الأمور  
بالحل والحرمه فأبان عيسى عليه السلام الحق في الموضوع فأحل لهم بعض  
ما كانوا قد حرموا على أنفسهم ، كما قال تعالى في الآية الأخرى  
﴿ وَلَأَيُّسَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ ﴾ . (الزخرف ٦٣)

ثم قال عيسى عليه السلام

﴿ وَحَسَنًا بِأَيَّةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾

والآية هنا بمعنى الإثبات والحجة قد تكون معجزة مادية ، وقد تكون دلالة  
عقلية أما النتيجة التي تترتب على ذلك منطقياً فهي  
﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ .

والتقوى هي اجتناب ما نهى الله سبحانه وتعالى عنه وهي بهذا المعنى  
نصصن أمرين

الأمر الأول انقاء المعاصي ، فهي هي هذه السحابة يتمثل فيها حجاب التترك  
ولكنها ايضاً ، تتضمن فعل الطاعات لأن الله سبحانه وتعالى ، حينما أمر  
بالتطاعات فقد نهى في ثلثها الأمر عن تركها ، وتركها معصية والتقوى إذن من هذا  
لجانب يتمثل فيها العمل « الإيجابي » وتحييدها عن هذا أنها مسائل الأوامر ،  
واجتناب النواهي ' وقد سئل أحد الصالحين عن التقوى فقال للسائل

، أما سرت يوماً في طريق به شوك ؟

قال نعم سرت ، فقال له : ماذا فعلت ؟

قال شمرت واحتججت ، فقال له : فذلك هو التقوى «

أي هي تشمير عن المعاصي ، واحتجاج في الطاعات ، فبذ ما حققها الإنسان  
في صدق وإخلاص فإنها تستتبع ترك بعض لمساكات ، لما ورد من أن الصالحين  
رصوا الله عليهم ، كانوا يتركون بعض المباحات خوفاً من أن يقعوا في الحرام

وقد جاء في الحديث الصحيح - فيما أخرجه البخاري ومسلم عن النعمان ابن بشير، رضى الله عنهما ، قال :

سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول

« إن الحلال بين ، وإن الحرام بين ، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى شبهات سننرا لدينه وعرضه ، ومن وقع الشبهات وقع في الحرام ، كالرعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » .

فإذا ما حقق الإنسان التقوى على هذا الوضع ، كان الله معه يقول

سبحانه

﴿ يَا لِلّٰهِ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ . (النحل ١٢٨)

وإذا ما كان الله معهم فإنهم لا يحرقون ولا يحرقون يقول سبحانه وتعالى

﴿ وَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (الأعراف ٢٥)

ومن نحقق بالتقوى فقد صمم الله ، سبحانه وتعالى ، له الإخراج من كل صيب

يقع فيه ، أو هم يبرل به ، وضمن له ، أيضا ، سعة الرزق ، ويقول سبحانه

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ لِلّٰهِ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْسِبُ ﴾ (الصافات ٣٠)

أما في الآخرة فإنه يساق إلى الجنة سوفاً ، يقول سبحانه وتعالى

﴿ وَسَيَقَى الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ (الزمر ٧٣)

فإذا ما وصلوا إلى الجنة فتحت لهم أبوابها ، وحياتهم حريتها قائلين

﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوا خَالِدِينَ ﴾ .

والتموى دعوة كل رسول ، وقد دعا عيسى ، عليه السلام ، قومه قائلًا

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ .

ثم أضاف إلى ذلك قوله

﴿ وَطِيعُونَ ﴾

و نواقع أنه ما دمنا قد ثبتت سوة لمسي بالآيات والبراهين صمد وحيد  
طعنه طاعة قورية ، حسبها تسمح به الظروف و لأوامر .

ثم يس لهم عيسى، عليه السلام، صراط انه المستقيم . وهو

﴿ إِنَّ لِلَّهِ رَبِّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ .

وصراط الله المستقيم أساسه وجوهره إنما هو التوحيد .

إن التوحيد هو أساس صراط الله الذي لا يقيد زمن ولا بعده مكان ، ومن  
حين ذلك كان لأساس هي دعوة جميع الأنبياء و لرسول ، بقول ، تعالى

﴿ وَالَّذِينَ عَادُوا إِحْسَانًا مَّا هُمْ بِعَائِدِينَ ، قُلْ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ . ( الاعراف ٦٥ )

ويقول ، سبحانه

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ إِسْحَابِهِمُ صَالِحٌ قُلْ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾

( الاعراف ١٧٢ )

ويمعهم الله ، سبحانه وتعالى ، الحكم تعميما ، ويجعله شاملا شمولاً

مطلقا ، فيقول

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾

( الانبياء ٢٥ )

وهكذا كان التوحيد دعوة جميع الأنبياء والرسل

والموحد الذي هو جوهر الرسالات ، إنما هو التوحيد الشامل لعدم

أي توحيد لله ، سبحانه ، بالإلهية ، وتوحيده بالربوبية ، وتوحيده بالمصيرية  
والهيمنة على كل صغيرة وكبيرة

﴿ قُلِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ مَنِ الْمَلِكُ تَزَيَّ الْمَلِكُ مِنْ تَشَاءُ وَتَسْرَعُ الْمَلِكُ مِنْ تَشَاءُ وَتَعْرِ مِنْ تَشَاءُ

وس من تشاء بيد الخير انك على كل شيء قدير ﴿٢٦﴾

ولا ياتى - والله مالك الملك - ان يعاقل الإنسان شيئا الله، أو أن يستعين

بغيره وشعار المؤمنين الصادقين هو

﴿ اياك نعبد و اياك نستعين ﴾ ( المائدة : ٥ )

[ ان شعارهم

، « سألت فاسأل الله ، وإذا ستعنت فاستعن بالله واعلم ان الأمة لو

اجتمع على ان يصنعوك بشيء لم يصعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك و من اجتمعوا

على بصيرة بشيء لم يصعوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك

ويوضح هذا الإمام لقشيري، فيقول

« الله تعالى، مع عباده بعضهم عن بعض لأن الخلق مع الله على الحسنة

لا تكون إلا إليه فالخلق لا يملك لنفسه نصيبا ولا صير ، فكيف يملك رب

لغيره »

ولهم قين

« تعلق بالخلق تعلق المسجون بالسجون » ،

وهين « من رفع حاجته إلى الله تعالى ، ثم رجع عن حاجته إليه إلى

غيره ، ابتلاء بالحاجة إلى الخلق ، ثم برع رحمته من قلوبهم »

ومعنى التوحيد الحمقى هي النهاية أن يبقى الإنسان نقباء في استسلام

مطلق إلى الله سبحانه وتعالى و ان يخلص له وجهه ، خلاص لا رياء فيه

« لم يسئل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال « به

لا خلاص »

ويصول، تعالى

( ٥٢ ٥٣ ) ﴿ فَمَا أَحْسَنَ عَيْسَىٰ مِنْهُمْ الْكَفَرُ فَإِنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ أَمَا بِاللَّهِ وَشَهِيدَ بَابِ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ربا أما بما أسرت وأبعا لرسول فاكتمنا مع الشهادين ﴿

### المصردات :

أحسن عيسى أى علم ، ويقول أبو منصور النعوى يقال أحسست بالشئ وحسست ، وقول لناس فى المعلومات محسوسات خطأ ، والصواب المحسست فأما المحسوسات فهي المقتولات، يقال : حسنه إذا قتله .

و لأنصار الأعوان ، واستنصرهم صلب عونهم على إقامة الحق وبيان أمر الله الموحى به

والخواريون هم ، كما يقول الإمام ابن عباس أصفياء عيسى ويقول لقراء . هم خراس عيسى .

أما الخواريون فى اللغة هم الذين طهروا من كل عيب وهؤلاء الخواريون كانوا اثنى عشر رجلا ، وكانت صنعتهم صيد السمك كما يقول الإمام ابن عباس، رضى الله عنهما . لقد استجاب هؤلاء لدعوة إلى الله ، وقالوا هى صدق وإخلاص ﴿ نحن أنصار الله ﴾ .

والدعوة إلى الله ، والاستجابة إلى هذه الدعوة ، معناها الإيمان الصادق بالتوحيد الحالى .

والتوحيد الحالى فى الماضى وفى الحاضر ، وفى كل مكان وفى كل زمن ، إنما هو الإيمان بأن الله وحده هو المتصرف فى الكون، لا شريك له فى الدت ، ولا شريك له فى فعل من خلق ورزق وإعطاء ، ومنع وحياة وموت وقد بين القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة هذه الحقيقة فى استفاضة ، وفى دقة لا مريد عليهما

ولس فى العالم الآن من مبدى بالأسنوب الإلهى يشرح الإيمان بالله كما يشرحه القرآن .

والكلمة التي نعرض عن هذا هي، خاصة شامة، وهي عمق عميق، هي كلمة الإسلام.

ومن أجل ذلك غير الحواريون عن شعورهم العامر بالإيمان بالله بقولهم نعوذ بك، عليه السلام: ﴿وَاشْهَدُ بَأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

وإذا أردنا شرحاً لكلمة الحواريين، ﴿وَاشْهَدُ بَأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ فإننا نقول

بـ رسولنا، صلى الله عليه وسلم سئل عن الإسلام ما هو؟ فقال

« أن يسلم لله قلبك، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدينك »

لقد أسلم الحواريون قلوبهم لله، فأصبحوا مسلمين.

والإسلام، بهذا المعنى هو التوحيد، وإذا وجد الإنسان ربه فإنه يسير في حر

﴿إِيَّاكَ عِبَدُ وَإِيَّاكَ سَتَعِبُ﴾

وجو ﴿يَاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، هو الحق الإسلامي الصادق وهو جو

لأنبياء هي رسالتهم الصافية

إن سيدنا نوحاً يقول ﴿وَأَمَرْتُ لَأَن أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (نور ٢)

لقد أمر أن يسلم قلبه لله تعالى، وأمر أن يدعو قومه إلى ذلك

بقول الله، سبحانه وتعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ \* أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي خَافُ

عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾. (هود ٢٥، ٢٦)

وأما هود، فقد قال لقومه

﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾. (الأنعام ٦٥)

وصالح، أبصا، قال:

« يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ » (الأنعام ٧٣)

وكل الرسل أمروا بالتوحيد، وأمروا به، أي أمروا وأمرُوا بإسلام القلب لله

وكانوا بذلك مسلمين ، وكانوا بذلك يسبغون على مهبج

﴿ يَاكَ بَعْدَ زِيَاكَ سَتَمِي ﴾ .

وكان الحواريون مسلمين بهذا المعنى

والاسلام بهذا المعنى هو الدين به تدبى في إطلاقه لطلق مابا ومكاب  
وهي تحديده المحدد في لقلب ، وفي العلوك ، وهو الدين عند الله

﴿ إِنْ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ . ( آل عمران ١٩٠ )

وإذا كن ما قدمنا منطق دقيقا لقضية " إن الدين عند الله الاسلام " فإن معنى ذلك أن إسلام القلب لله هو الدين عند الأزل

ولم . جاءت لرسول ، صلوات الله وسلامه عليهم ، به وبكيفية بوصفوا إلى  
تحققه في القلب والشعور

أما كيفية إسلام القلب لله في العصر الحاضر فقد يكمل بها السرس الكريم  
لا غيره في مصيل مصل ، وفي دقة دقيقة بالأسلوب الإلهي بمسه لدى قال الله  
عنه

﴿ إِنَّا نَحْنُ بَرُّنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ( الحجر ٩ )

بعد رسم القرر الكريم ، سلام القلب لله مهبجا ، ورسم سلام الصب لله  
موصوعا ما إسلام لقلب لله مهبج ، فيه يبدأ بالنوبة الصادقة وهي ،  
صدقت تثمر الإخلاص ، والله ، سبحانه وتعالى ، يقول :

﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ . ( الزمر ٢ )

والدين هنا بمعنى الاعتقاد القلبي وما يرتب عليه من سلوك فادارت  
الإيمان ودخلص فانه يؤثر الله على ما عذاه ، ويقول كما قال الإمام أبو سعيد  
الحريري

كل ما فاتك من الله - سوى الله - يسير . وكل حظائك - سوى الله - قليل



وذلك يدخلنا في إسلام القلب لله موضوعا ، وهو بتلخص في

﴿ اياك بعدُ وإياك ستعين ﴾

فإدراك اسم لإنسان قلبه لله منهجا وموضوعا حسنا رسم المرء قد صار

مسلم

ولقد حقق الحواريون إسلام القلب لله فكانوا مسلمين .

وتابع الحواريون حديثهم قائلا

﴿ ربنا اما بما أمرت واتبعنا الرسول فاكثبنا مع الشاهدين ﴾ .

وع من شك في ان من اتبع الرسول على موضع التسليم فإنه مسلم قلبه

له ومن مسلم قلبه لله ، فإنه يكون بذلك قد هبأ نفسه ليكون مع الله اهدين

و انما هم هم الصادقون المحاصرون في إيمانهم يعرفون به قولا وصدقوا

به قلبا ، وقاموه بجوارحهم

ويؤمن بالله تعالى

( ٥٤ - ٥٨ ) ﴿ ومكروا ومكر الله واته حر لما كبر ﴾ إذا قال الله يا عيسى ابي موفيت

و فعنت بي ومطهرت من الدين كفروا وحعل انديس اتبعوك فزق لديس تقرو بي يوم القيامة

و من عر حركم فاحكم بيكم فيما كنتم فيه محتفون ﴿ فأما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا

في رب و آخرد و منهم من ناصر ﴾ وما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فيؤنسهم آخرهم

بذلك لا يحب الظالمين ﴿ ذلك تلذذ عيش من لايات زائد ذكر الحكيم ﴾

أحسن عيسى عليه السلام ، من بني إسرائيل الكفر ، فنادى من انصاره انو

الذين

فجاءه الحواريون في طمأنينة المؤمنين ﴿ نحن انصار الله حادون ، شهداء

مستمرين ﴾

ثم تابع الحواريون في قولهم ، فقالوا

﴿ ربنا اما بما أمرت واتبعنا الرسول فاكثبنا مع الشاهدين ﴾

حيثما رى بنو إسرائيل ان عيسى عليه السلام بدأ بعد انمو ، ونصب

أرادوا به السوء وتمائلوا عليه وأحبوا له القتل ؛ يقول الله تعالى ، معبرا عن ذلك ﴿ وَمَكْرُؤًا وَمَكْرُ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ .

نقد كان مكرهم في تدبير قتله ، أما مكر الله سبحانه وتعالى موحه دائما الى «حير» فهو حير الماكرين ، أي حير المديرين للوصول إلى «الحير» ، ثم يقول الله ، سبحانه وتعالى

﴿ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ارْفَعْكَ إِلَى مُطَهَّرِكَ وَارْفَعُكَ إِلَى مُطَهَّرِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ لِي مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

يقول الله سبحانه وتعالى لعيسى عليه السلام ، مطمئنا له ، ومهدئا لنفسه

إلى مستوف مدة إقامتك بين بني إسرائيل ، ﴿وَرَأَيْتُكَ ابْنِي﴾ صوباً لك من مكرهم ﴿وَمُطَهَّرُكَ﴾ من خبثهم ورجسهم ؛ أما الذين اتبعوك فأبى سأجعلهم فوق الذين كفروا بك ، والذين كفروا بعيسى ، عليه السلام ، هم اليهود ، لأن دعوته عليه لسلام إنما كانت لليهود ، وهم الذين أحسن منهم الكفر ، وهم الذين دبروا الشرع في قتله

وهوقية أنصار عيسى على اليهود باقية إلى يوم القيامة ، ثم مرجع لجميع ومصيرهم إنما إلى الله سبحانه وتعالى ، هو وحده الذين يحكم بين الطرفين فيما كانوا فيه يختلفون .

وهو الحكم الذي بينه الله ، سبحانه وتعالى ، في إجمال ، هو قاعدة كلية صادقة في كل زمان ومكان .

يقول سبحانه

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَعَدْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾

ولقد مقت الله ، سبحانه ، اليهود لأمر كثيرة تتصل بفطرتهم الخبيثة ، إلى هي فطرتهم بفص «الاستباق» وقتل الأنبياء بغير لحق ، واستمرد على الله ، سبحانه وتعالى ، في أمره ونهيه ، ولقد لعنهم الله ، سبحانه ، بقوله تعالى

﴿ فِيمَا نَقُصُّهُمْ مِنْهُمْ مِثْلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكُونُونَ ﴾ . ( المائدة : ١٢ )

ولعنهم على لسان عدة من أنبيائه ، منهم داود عليه السلام ، وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه  
سبب كل ذلك أعد الله سبحانه وتعالى، لهم عذابا شديداً هي الدنيا والآخرة

إله، سبحانه، شردهم في البلاد، وفرغ قلوبهم من الطمأنينة والهدوء النفسى ويتابع الله، سبحانه وتعالى، الحديث فيقول .

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾

إله، سبحانه، يوفيههم أجورهم في الدنيا بطمأنينة نفس ، وهدوء نال ، وسعة في الرزق ، وبصر دائم

يسوى في ذلك الأفراد والجماعات : فالسعادة الإلهية لهدمة هي أن كل من آمن بالله وعمل صالحا فإن الله، سبحانه وتعالى، يكتب له النور والحياة الطيبة في الدنيا والآخرة

يقول، سبحانه، فيما يتعلق بالأفراد

﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَسْتَأْذَنَ فَهُوَ مَوْفٍ فَلَاحِظُهُ حَيَاةٌ طَيِّبَةٌ وَلِجَزَائِهِمْ أَجْرُهُمْ

بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ . {النمل ٩٧}

ويقول، سبحانه وتعالى، عن الجماعات .

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ثَمُودَ لَفَتَحُوا لِفَتْحِهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

{الاعراف ٩٦}

وإذا كان الإيمان بالله، سبحانه وتعالى، يحدده توحيده تعالى عن الشرك الظاهر والضمي ، فإن العمل بالصالح الذي به - مع الإيمان الصادق - تتم السعادة هي الدنيا والآخرة ، لا يعرف في دقته وتمصيله في العصر الحاضر إلا عن طريق القرآن الكريم ، لأنه هو لكتاب المقدس الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد

إله الذي يرسم الإيمان في صفاته وسمائه ، ويرسم العمل الصالح الذي يقرب  
من الله ، سبحانه وتعالى .

وتحتتم هذه الآية الكريمة بقول الله تعالى

﴿وَلِلَّهِ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾

والظلم ظلمات يوم القيامة يقول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، فيما  
رواه جابر رضى الله عنه ، وأخرجه مسلم في صحيحه

« اتقوا لظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك  
من كان قبلكم ، حملهم على أن سمكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم » .

وهو ظلمات أيضا، في الدنيا عن أبي موسى رضى الله عنه، قال قال  
رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« إن الله ليعلى للظالم فإذا أخذه لم يعلمه ، ثم قرأ

﴿وَكَذَلِكَ أَفْتَحُ بَابَ الْقُرْآنِ وَهُوَ ظَانِمٌ بِأَحَدِهِ لِمَ شَدِيدٌ﴾ حير ١٢ .

و الله سبحانه وتعالى لا يرحم الظالمين في الدنيا ولا في الآخرة يقول  
سبحانه

﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ . (غافر ١٨٠)

ويعود إلى الآيات القرآنية ، يقول الله سبحانه

﴿ ذَنْبُكَ بَطَرُهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾

أي هذا الذي قصصناه وبيناه على وجهه الصحيح ، هي موضوع عيسى عليه  
السلام هو من الوحي وهو في الوقت نفسه من القرآن الكريم، ومن العلامات  
الدالة على نبوتك حيث علمك الله ما لم تكن تعلم من الحق في أمر عيسى عليه  
السلام

ويقول الله تعالى

(٥٩ ٦٣) ﴿ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ كَمْثِلْ أَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ نَارٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۚ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا يَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۚ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ لَدُنِّهِ فَقُلْ بَعْدَ إِسَاءَاتِي إِسَاءَاتُكُمْ وَسَاءَ رِسَاءُكُمْ فَانصِبْ وَأَمْسِكْ ۚ لَمْ يَنْهَئْنِي لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۚ ابْعَثْ يَهْيَا لَعْنَتُ الْحَقِّ وَمَا مِنْهُ إِلَّا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَهْدِي الْقَرِيرَ الْحَكِيمَ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُعْصِينَ ۝ ﴾

جاء بصاري بحران في وفد مكون من رؤسائهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجاهدون في عيسى ومكنته من الألوهية  
وأحد رؤساء الوفد يجادلون رسول الله ، صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام

وموقف الإسلام من عيسى عليه السلام ، وتكريم الإسلام لعيسى عليه السلام ، ولأمه سول الطاهرة ، واضح لا لبس فيه . إنه رسول الله وكلّمه لقاه إلى مريم وكان الوفد لحرري أحد بعاري في ذلك ، وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا

عن أبيه يا محمد ؟

وهي شمس هذه الوفد وفي شأن الحاجة برب هذه الآيات وما فيها من سورة ل عمران ، إن قدرة الله في الخلق أوجدت إنسانا بدون أب ولا أم ، هو دم عيه السلام ، ووحدت حواء من دم عليه السلام وأوجدت عيسى من غير أب وأوجدت حليم لا يحصبهم إلا لله من أب وأم وفي كل ثانية يوحد الملايين من المحبوبات الدقيمة من غير أب أو أم .

وما مثل عيسى ، عليه السلام ، في الخلق إلا كمثل آدم بن ن حلو آدم بدخل في باب المعجزة بأعمق مما يدخل فيه عيسى ، عليه السلام بل إن حلو حواء يدخل في باب المعجزة بأعمق مما يدخل فيه عيسى ، عليه السلام والخلو على وجه العموم إنما يكون بالأمر الإلهي ﴿ كن ﴾ وراشئت

بالإرادة الإلهية ، فإن الله ، سبحانه ، يريد ويتحقق ما يريد ، سبحانه على حسب ما يريد ، وهي الوقت الذي يريد .

وهذا البيان هو شأن عيسى ، عليه السلام ، هو الحق من ربك الذي لا يكون معه شك .

فإذا حاجوك بعد هذا البيان فلا تجادلهم في شيء منه ، وذلك أن من يعادى في البدهيات لا يرحى منه أن يخضع للحق ، إذ هو تابع لهواه أو لمحرره لألف والعادة التي شأ عليها ، وإنما سبيلك في الرد عليهم أن تدعوهم إلى المأهلة أو الملاعة وهي كما صورها لقرآن الكريم بقوله ،

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَسَاءَكُمْ وَسَاءَ مَا وَصَّاءُكُمْ وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ بُنِّهْنُ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾  
ودعاهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى الملاعة .

يقول ابن إسحاق :

« فصالوا يا أبا القاسم بنظر في أمرا ثم تأتيك بما تريد من فعل فيما دعوتنا إليه ثم انصرفوا عنه ، ثم حلو بالعاقب ، وكان ذا رأيهم فصالوا يا عبد المسيح ، ماذا ترى ؟ فقال

والله ، يا معشر البصري لقد عرفتكم أن محمداً نبي مرسل ، ولقد جاءكم بالمصل من خير صاحبكم ولقد علمتم أنه ما لآعن قوم نبيا قط فبقى كبيرهم ولا ست صغيرهم ، وإبه الاستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم تبيتون إلا إله دينكم والاقامة على ما أنتم عليه من لقول في صاحبكم ، فوادعوا الرجل وانصرفوا ، إلى بلادكم .

هأتوا النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا أبا القاسم قد رأينا أن لا ملاعك ، وتركك على دينك ، ونرجع على ديننا ، ولكن بعث معنا رجلا من أصحابك ترصاه ما يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا ، فإنكم عبدنا رصا

قال محمد بن جعفر فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم

« اثبتوا العشيبة أبعد منكم لقوى لأعين » .

فكان عمر بن الخطاب، رضى الله عنه يقول

« ما أحببت لإمارة قط حتى إياها يومئذ، رجاء أن أكون صاحبها ، فرحنت

إلى الظهر مهجرا فيما صلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . لظهر سلم ، ثم

نظر عن يمينه وشماله ، فجعلت أتطاول له ليرانى فلم يرل يلتبس ببصره حتى رأى

أبا عبيدة بن الجراح فدعاه فقال :

« أخرج معهم فاقص بيهم بالحق فيما احتموا فيه »

قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة، رضى الله عنه .

ويقول الله تعالى

(٦٤) ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأخذوا بطوائف من بينكم ألا يعبد إلا الله ولا تشرك به شيئا

ولا يتحد بعضكم ببعض أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾

إنها دعوة من لقرآن الكريم إلى جميع الكتابيين إنه يدعوهم إلى كلمه سو .

يقول الزجاج

يعنى بالسواء العدل ، وهو من استواء الشيء ، ويقال للعدل سواء ، وسواء

وسواء

ويقول صاحب الكشاف : وتفسير كلمة سواء هو قوله تعالى :

﴿ إلا يعبد إلا الله ولا تشرك به شيئا ولا يتحد بعضا ببعض أربابا من دون الله ﴾

وقد أخرج ابن حريج، عن أبي حاتم ، عن أنس العالية ، قال الكلمة السواء

لا إله إلا الله .

وعن محمد « تعالوا إلى كلمة سواء » قال لا إله إلا الله »

ولمذ كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، معنيا بأن يثبت هذا المعنى في

الاسجاع ، وهي كلمة بالغة ، قصد أخرج بن أبي شيبة ومسلم وأبو داود

وعيرهم عن بن عباس ، رضى الله عنهما ، قال كان النسي ، صلى الله عليه وسلم  
يقر ، في ركعتي ، لصحر في الأولى منهما :

﴿ فقولوا آمنا بالله وما نزلنا من أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل ، وسحاق ويعقوب  
والأسباط وما آتينا موسى وعيسى وما آتينا النبيين من دبرهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له  
مسلمون ﴾ سورة البقرة ١٣٦

### وفي الثانية

﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نعبد ما بين يديه ولا  
يتحد بعضنا أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾

وبعد العدي الكريم بهم الحكمة في قراءة هاتين الآيتين في صحر النهار  
فالأولى منهما مدعو لمسلمين إلى عدم التفرقة بين الأنبياء والرسالات فكلمها في  
صمائها ومقائنها دعوة إلى توحيد ، وإسلام الوجه لله ، تعالى ، وحده لا شريك له

وهي الثانية دعوة لأهل الكتب إلى الصماء الكامل الذي يمشي في التوحيد  
وباجتماع الآيتين يشعر الإنسان بأن دين الله الواحد متتابع إلى بن حنمت  
لرسالات بالإسلام

وقد التنس على بعض الناس قوله تعالى

﴿ لا يتحد بعضنا أرباباً من دون الله ﴾

ومن ذلك ما روى عن عدي بن أبي حاتم أنه قال

« ما كنا بعدهم يا رسول الله »

فقال ، صلى الله عليه وسلم

« أنيس كانوا يحلون لكم ويحرمون فأحدسون بقولهم ؟ »

قال نعم فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم هو ذلك

واخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، عن ابن جريج قوله ، تعالى



﴿ وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُهُمْ آيَاتِنَا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ . قل

لا يصنع بعضنا بعضاً في معصية الله . ويقال إن تلك لربوبه أن يطيع الناس ساداتهم وقادتهم في غير عبادة ، وإن لم يُصلُّوا لهم .

ومن ذلك يرى المذنب البعيد ، والشامل التام المسمى لتوحيد في الاسلام و همم الاسلام بالتوحيد في عمومته وشموله .

ولقد كان اتوحيد أول عهد البيعة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يايعوبى على أن لا تشركوا بالله شيئاً » .

ويضون القرآن الكريم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْرُكْ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَرْبُي وَلَا يَمُوتُ وَلَا يُولَدُ وَلَا يَأْتِي بِهَتَا يُفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَآخِثِينَ فِي مَعْرُوفٍ فَبِأَعْيُنِنَا رَاسِخُ لَهِ فِي اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ ذُحِيمٌ ﴾ . (الممتحنة ١٦)

وحينما نسمع لعاس الحديث عن الإشراف بالله يبحه ذهبهم في الأعلى الأعم منهم ، إلى متى تعدد آلهه

الدهر يتجه إلى هذه العقيدة التي كانت عند اليونان في عهدهم لقديمه من بعدد الآلهه وعند العرب في حاضرتهم من عباده لأصنام عقيدة بطله

تجد حمل اليونان بهذا يكن طهرة من ظواهر يكون الكرى وكذلك جمع قدماء المصريين في عامتهم وشعبهم ، وكذلك فعل وثنيو العرب

بل أن الانبياء وقد بدأت بالتوحيد انحصار على سائر آدم عنه سلام قد تحرفت سريعاً إلى التعدد فحدث الله سبحانه ، برس الانبياء و لرسل ساء مشربين بالتوحيد ، مجاهدين في سبيل منع التعدد ، في سبيل نقصاء على لوثته المنتشرة

ولهذا كان لأبياء والرسل كثيراً كثره تناسب والاعراف المتوالي من

الإنسانية منذ ظهورها ، لقد نزل الأنبياء جميعا يشيرون بالتوحيد وكان كل نبي يدعو أمته إلى مثل ما دعا إليه محمدا ، صلى الله عليه وسلم الإنسانية جمعاء

﴿الَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِيَّاي لَكُمْ بُدِيرٌ وَبُشِيرٌ﴾ (هود ٢)

وسورة يونس وسورة هود ، والكثير من سور القرآن على وجه العموم تتحدث عن دعوة الرسن قومهم إلى التوحيد .

يقول سبحانه :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ بُدِيرٌ مِّنْ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ . (هود : ٢٥ ، ٢٦)

ويقول سبحانه :

﴿وَأَنِّي عَادًا أَنَّهُمْ كُفَرُوا فَيَقُولُ يَوْمَئِذٍ لِّأَنَّهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾ (هود : ٥)

ويقول سبحانه :

﴿وَأَنِّي ثُمَّودًا أَنَّهُمْ مُّشْرِكُونَ فَيَقُولُ يَوْمَئِذٍ لِّأَنَّهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾ (هود : ٦١)

وهكذا يرى كل نبي يدعو إلى عدم الشرك بالله ، إنه يدعو إلى عبادة الله وحده ، فإذا اتجه لدهن إلى عدم تعدد الآلهة ، وإلى الوحدانية فإن هذا الاتجاه طبيعي ، وهو اتجاه حق

وهذا النوع من الشرك هو الذي يقول الله ، سبحانه وتعالى عنه

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ (النساء : ٨)

وهو الذي يسميه الله مصطقيا بقوله

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾

(الأنبياء : ٢٢)

ويقوله

﴿ ما اتحد الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق وبغلا بعضهم على

بعض سبحانه الله عما يصفون ﴾ . (المؤمن ٩١)

بيد أن التوحيد هي عمومته وشموله هو أن يكون الإنسان خالصاً لله تعالى

شعاره

﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ .

(٦٥) ﴿ يا أهل الكتاب لم نحاجون في إبراهيم وما أسرت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا

تعقلون ﴾

(٦٦) ﴿ ها أنتم هؤلاء حاجتكم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس بكم به علم والله يعلم

وأنتم لا تعلمون ﴾ .

(٦٧) ﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ﴾ .

(٦٨) ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ﴾

حينما ذهب نصارى نجران إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، اتقوا

عده بأحبار من اليهود ، وكان من الطبيعي أن يكون الحديث في الدين وما يتصل

بالدين من أسياء ورسل ، وتعارض الفريقان في إبراهيم، عليه السلام فقالت أحبار

اليهود كان إبراهيم يهودياً وقالت النصارى كان إبراهيم نصرانياً

وأخطأ هؤلاء وأولئك ، وذلك به حبيبه يكون انقراع على شخص في مجاز

الدين فإنما تكون بسببه إلى كتاب منزل من لدن الله، سبحانه، على رسول من رسله

ولا يأتى أن يكون بسببه إبراهيم، عليه السلام إلى التوراة ولا إلى الإنجيل لأنهما

أمرلا من بعده .

ويوجه الله، سبحانه، إلى اليهود والنصارى فيسألهم في استنكار إليكم

تفاشور فيما لكم به علم كأمر موسى وعيسى، عليهما السلام ، فلم المناقشة فيما

ليس لكم به علم كأمر إبراهيم، عليه السلام ؟

و به يقول الحق وهو يهدي إلى العسير في أمر الله هم انه يعلم باسم لا يعلمون وبالمطلوب، وإن الحق واضح في أن إبراهيم على هذا الأساس - لم يكن يهودي ولا نصرانيا، وسنة إبراهيم إنما تكون إلى الأصول التي دعا إليها وهذه الأصول تتمثل في أنه كان حنيفا، أي مائلا عن لعقائد الرائدة وكان مسلما، أي موحد.

والإسلام والتوحيد يلتقيان بمعنى واحد ولم يكن إبراهيم مشركا انه لم يكن مؤمنا إلا بالتوحيد، ومب دام ينسب إلى التوحيد فإن أولى الناس به الدين اتبعوه فساروا على نهجه، ومحمد، صلى الله عليه وسلم، لدى يتعد التوحيد أساس رسالته ومن أتبع محمدا صلى الله عليه وسلم فأقاموا عقيدتهم على التوحيد والله سبحانه ولي المؤمنين، فهو لهم ناصر ومعين، وحام.

ويقول الله تعالى

(٦٩، ٧٠) ﴿وَدَب طائفة من أهل الكتاب يوضلوكم وما يصلون إلا أنفسهم وما يسفرون﴾  
 يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله واسم تشهدون ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسوا الحق بالباطل وتكتمون الحق واسم تعلمون﴾ وقالت طائفة من أهل الكتاب آموا بذي القرنين الذي أمر الله أن يؤمنوا واكفروا حرة عليهم يومئذ ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن بيع دينكم ولا يهدي الله من يشاء ما أوتىتم أو تحبون﴾ ولا تؤمنوا إلا لمن بيع دينكم ولا يهدي الله من يشاء ما أوتىتم أو تحبون ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن بيع دينكم ولا يهدي الله من يشاء ما أوتىتم أو تحبون﴾  
 والله ذو الفضل العظيم ﴿﴾

والطائفة اسم للجماعة التي تحتج على دين أو رأي أو مذهب أو غير ذلك  
 لقد حاول أهل الكتاب إضلال المسلمين بشتى الوسائل وصرفهم من الحق إلى باطل وهم يضلونهم هذا إنما يصلون أنفسهم حينما يصرفون عن الحق ويحولون صرف الآخرين عنه، وهم في عملهم لا يشعرون أنهم يصلون أنفسهم وفي هذا المعنى يقول الله، تعالى

﴿افض رب له سوء عمله فرآه حسنا﴾ (الزمر: ٨)

ولا يشعرون، أيضا، بأن الله، تعالى، يرقب عملهم بمكرهم لتسبي

ثم سبحانه الله سبحانه، في أهل الكتاب على وجه العموم فيحاصيهم أولا فائلا

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ نَكْفُرُوكُمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْهَوْنَ ﴾

لهم يشهدون صدق محمد، صلى الله عليه وسلم في كل ما أتوا به وشهدون صدقه في بعده ويشهدون صدقه في رسالته ويشهدون صدقه في كنهم سي بشره به ومنطق الصدق يوحى عندهم الإيمان به ولكن أهواءهم صرختهم عنه فكفروا به

ثم يعطى (به، تعالى، أهل الكتاب ثانيا فائلا

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

ليس : احتلاط الأمر ، وقد خلط اليهود باطلهم بالحق

بعد احصى اليهود منها وأظهروا ، وأضاهوا وحدوها فاصبح الحق فيها محتلط بالباطل . .

بعد حمى اليهود وهم يعلمون ، ومن ذلك ما ورد في سورة محمد صلى الله عليه وسلم ، وما وجدوه في كتبهم من بغيته والبيشارة به

قد ومن الحيل لى فعلوها لإصلال المسلمين أن طائفة من اليهود قالو  
يد نصيم اصحاب محمد أول النهار فأمنوا ، ود ، لميموهم حره قصوا ، صلاتكم  
لعلهم يقولون

( هؤلاء أهل الكتاب ، وهم أعلم منا ، فيقبلون عن دينهم )

رواه عطية عن ابن عباس .

ويوضح ذلك ويكملة قول الحسن و نسدى .

توطأ ثمان عشر حبر من اليهود فقال بعضهم بعض دحبو في دين محمد باللسان أول النهار واكفروا حره وقولوا بنا نظرت في كسنا وشاور علماء فوجدنا محمدا ليس بدال ، فيشك أصحابه في دينهم ، ويقولون هم هل تكذب وهم أعلم منا فيرجعون إلى دينكم ، فزلت هذه الآية

والى هذا المعنى ذهب الجمهور ، وهى ذلك يقول الله تعالى  
﴿ وَقَاتِلْ طَائِفَةً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنُمُوا بِالَّذِي أُسْرِلَ عَلَى الْبَيْتِ أَمْرًا وَجْهَ السَّهْلِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ  
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

ووجه النهار : أوله . .

وعن هذه المكيمة يقول الإمام الرازى

المائدة هى إخبار الله تعالى عن تواطئهم على هذه الحيلة من وجوه  
الأول أن هذه الحيلة كانت محققة فيما بينهم ، وما أطلعوا عليها أحدا من  
الأجانب فلما أحبر الرسول ، صلى الله عليه وسلم عنها كان ذلك إحمارا عن  
الغيب فيكون معجرا

ثانى : أنه ، تعالى ، لما أصعب المؤمنين على تواطئهم على هذه الحيلة لم يحصل  
لها ثمر فى قلوب المؤمنين ، ولولا هذا الإعلام لكان ربما أثرت فى قلب بعض من فى  
إيمانه ضعف .

الثالث : أن القوم لما افتصحوا ، فى هذه الحيلة صبر ذلك رادعا لهم عن  
الإقدام على أمثالها من الحيل والتلبيس

فقد دبرت طائفة من أهل الكتاب هذه المكابدة ضد المسلمين

واستمروا يدبرون فقالوا لبعضهم

﴿ وَلَا تَوْمِسُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾

أى لا تصدقوا سى من الأنبياء ، إلا إذا كان من جنسكم الجنس اليهودى .  
ومشأ بيكم متدينا بديكم

قل لهم يا محمد إن الهدى من الله وحده ، إنه بيده سبحانه ، يهبه لمن يشاء ،  
وبصره من يشاء ، إذا آتى الله تعالى إنسانا من رحمته مثل ما أوتيتم حسدتموه  
وسرتم له المكائد أو خفتم وكرهتم أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الشرائع والكتاب  
و لوحى والعلم الذى حتى لا يحاجوكم عند ربكم ، ويعلموا أنكم عرهتم الحق ولم  
تتبعوه . . ؟

بها لقوم ، إن الفصل كل الفصل علما كان أو نعمة أو توفيقا بيد الله ،  
يسمعه من يشاء ، والله ، سبحانه ، واسع عليم . .

أخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر عن قتادة  
﴿ قل إن ابهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاحركم عبد ربكم ﴾  
يقول .

١١ أبريل ، له كتابا مثل كتابكم ، وبعث فيها كتبكم حسنة موه على ذلك  
﴿ قل إن الفصل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ .

ما رحمة الله ، تعالى ، فإنه سبحانه ، يمسحها من يساء من عباده ، إذ هو  
يختص برحمته من يشاء ، وهو ، تعالى ، ذو الفصل العظيم .

أخرج عبد بن حميد وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، عن مجاهد  
يختص من يشاء ، قال النوبة يختص بها من يشاء

وأخرج ابن أبي حاتم ، عن الحسن : يختص برحمته من يشاء قال رحمته  
الإسلام يختص بها من يشاء

« وأخرج ابن أبي حاتم ، عن سعيد بن جبير . ذو الفصل العظيم يعني  
الواحد » .

يقول الله تعالى

(٧٦، ٧٥) ﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمته بقطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمه بدينار لا يؤده  
إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قلوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب  
وهم يعلمون ﴾ بي من أرفى بعهدده وثقى فإن الله يحب المتقين ﴾ .

أحد الله ، تعالى ، بين صفات أهل الكتاب فيما يتعلق بالأمانة والحيانة ،  
فأوضح ، سبحانه ، أن منهم من إذا أودعته قنطارا من الذهب أو الفضة فإنه يؤده  
إليك كاملا . . ومنهم من إذا أودعته دينارا واحدا لا يؤده إليك ، لا ما دمت موطئا  
على الاقتضاء والمطالبة له .

وقال السدي ، رحمه الله : « لا مدمت قائما على رأسه فإنه يعترف بأمانته  
فإذا دمت ثم جئت ، جعده . . »

أما سر الحباية فهو أن ليهود يقولون بالسنتهم ويعتمدون هي قلوبهم أن حباية المسلمين لا إثم فيها ، ويقولون كما روى السدي

« قد أحل الله لنا أموال العرب »

بهم يقولون

« ليس عيب في الاميين سبل » .

والاميون هي نظرهم هم المسلمون ، قال ابن جريج

تابع اليهود رجاء من المسلمين في الحافلية ، فلما أسلموا تمصوهم بمر سيوعهم فقالوا ليس علينا أمدية ولا قصاء لكم عديا ، لأنكم تركتم دينكم لئلا نكتنم عليه وادعوا بهم وحدوا ذلك هي كتابهم فقال الله تعالى

« ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون »

وقال قتادة إنما استحل ليهود أموال المسلمين لأنهم عبدتهم ليسوا هم كذاب وثو كانوا في نظرهم أهل كتاب فقالوا

بهم نسوا على دين فلا إثم علينا ولا حرج ولا حرمة لهم علينا ولم يحل لنا أن نهم حرمة

ولقد دعى اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه ، أما بقى لحلق فيهم عيب لهم ولقد وما ملكك نداء لسيدك .

ولقد دعى اليهود أيضا أن الأموس جميعها كتابهم و ما هو سوى لعرب هو مالهم والعرب ظلموهم واحدوا أموالهم وهم يأكل أموال العرب إنما يسردون حقوقهم .

وهم هي قولهم هذا يمترون على الله الكذب ، وهم يعلمون أنه كذب ويعلمون أن الله قد أنزل في التوراة وجوب الوفاء ، وبهي فيها عن الحباية

عن سعيد بن جبير قال

لما حربت هو ومن هو الكذب « إلى قوله « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في



الامير بسيل ﴿ قال النبي ، صلى الله عليه وسلم كذب أعداء الله ، ما من شيء كان في لحاهمية الا وهو ، تحت قدمي هاتين ، إلا الأمانة هيئت مؤداة الى البر وماحر

أما عن التقسيم في الآية ، فيقول عكرمة ﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ﴾ قال هذا من البصري ﴿ ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك ﴾ قال هذا من اليهود ، ﴿ إلا ما دمت عليه قائما ﴾ .  
قال إلا ما طلبته واتبعته

وعن الحسن في قوله ﴿ ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك ﴾ ، قال كانت تكون ديون لأصحاب محمد عليهم ، فقالوا ليس عليك سمس في أموال أصحاب محمد إن أمسكتناها مع أنهم أهل كتاب أمروا أن يؤدوا إلى كل مسلم عهده والوقع أن هذا هو شأن اليهود أيما كانوا مع غير اليهود إنهم يصدقون مع بعضهم اما مع أصحاب الديانات الأخرى ، فأنهم كلما وجدوا مهرا من أداء ما عندهم هربوا ، وهم مع ذلك يرغمون أنهم أهل كتاب يستمسكون بما فيه ، وإيه لمن لده هي أن كل كتاب أنزل من عند الله فيه لأمانة وانوفاء بالعهد

وعن موقف اليهود هذا يقول الله ، تعالى ، راداً عليهم ومكدياً لهم ﴿ بلى من أوفى بعهده وأتقى فإن الله يحب المتقين ﴾

وهي هذه الآية الكريمة يبين الله الموقف الإسلامي في سموه وهي حمالة ، إنه يوجب الوفاء بالعهد والأمانة .

وهي ذلك يقول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم  
( لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له )

وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم  
أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كان فيه حصلة منهن كان فيه حصلة من لنفاق حتى يدعها إذا أؤتمن حان ، وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر »

ويقول الله، سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ .

وكل من يقول بعير ذلك فإنه يفترى على الله الكذب ، ولكن سلوك اليهود لا يدل على بالبدائي ، ما دام التعامل مع غير اليهود

يقول الله تعالى .

( ٧٧ ، ٧٨ ) ﴿ إِنْ الَّذِينَ يَشْرُونَ بِعْدَ اللَّهِ وَيُمَانِهِمْ ثَمًّا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرْكَبُ لَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ۚ وَإِنْ مِنْهُمْ فَرِيقًا يَلْعَنُونَ أَلَسْهُمْ بِالْكِتَابِ لِحُجَّتِهِمْ مِنْ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

إن الله، تعالى، يبين في هاتين الآيتين بعض ردائل اليهود وموقفه، سبحانه منهم ويشرح البعث لهم على اعتراء الكذب على الله، سبحانه

ومن أمثلة هذا السلوك ما رواه الإمامان البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود بمناسبة هذا النص القرآني - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

( ومن حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقطع بها مال مسلم لقي الله وهو عليه عصبان )

قال : فقال الأشعث

هي والله ، كان ذلك كان يميني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني فقدمته لي النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لرسول الله، صلى الله عليه وسلم

ألف بية ؟ قلت : لا . . قال . فقال لليهودي : حلف ، قال فعلت يا رسول الله ، إذن يحلف ويذهب بعالي ، فأبرل ، الله تعالى .

« ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكس الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يركيهم ولهم عذاب أليم »

ويروى ، لمحدثون عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من حلف على ما ، مرئى مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه عصبان »

ومن أمثلة سلوكهم بمناسبة هذه الآية ، أيضا ، ما روى عن عكرمة ومقاتل من أنها نزلت في اليهود ، عهد الله إليهم في التوراة بتبيين صفة النسي صلى الله عليه وسلم ،

وعن عبد الله بن أبي أوفى أن رجلا أقام بلعة وهو في لسوق ، فحلف بالله لقد أعطى بها مالم يعطه ليوقع فيها رجلا من المسلمين ، فزلت

« ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يركيهم ولهم عذاب أليم »

وإذا كان ذلك بعض أسباب النزول ، فمما لا شك فيه أن النص لقرآنى عام وعلى ذلك يدخل فيه جميع ما أمر الله به ، وتدخل فيه اليهود والمواثيق المأخوذة من جهة الرسل ، ويدخل فيه ما يرمي برحل نفسه من عهد وميثاق ، فكل ذلك من عهد الله الذى يجب لوفاء به ، كما يقول صاحب لياب التأويل

أما من أخوا بذلك فإنه لا نصيب لهم في الآخرة لا نصيب لهم في الحياة ، ولا نصيب لهم من رضاء الله ، ولا يكلمهم الله كلاما يعشرون به ولا ينظر الله إليهم نظرة مودة ورضا ، ولهم عذاب أليم .

عن أبي زر ، رضى الله عنه ، عن أنس ، صلى الله عليه وسلم قال

« ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يركيهم ولهم عذاب

أليم » قال

فراها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، فصل أبو زر

حاربوا وحسروا ، من هم ، يا رسول الله ؟ قال المسيل ، واللبس ، والمنصف سلطته  
بالحيف ، الكاذب ،

وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه عن النبي ، صلى الله عليه وسلم قال  
« ثلاثة لا تكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم  
رجل حلف يمينا على مال مسلم فاقطعه ورجل حلف على يمين بعد صلاة العصر  
أنه أعطى بسبعته أكثر مما أعطى وهو كاذب ورجل مع فصل ماله ، فبى الله ،  
تعالى يقول اليوم أمعك فصلي كما منعت فصل مالم تعمل يداك ،

ثم يتحدث الله ، سبحانه ، عن مكر آخر من مكر اليهود الحديث ومن فسادهم  
لنسين ، فيقول ، سبحانه .

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُوبُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ مُحْتَدِبِينَ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ  
وَمَا هُمْ بِمُعْتَدِبِينَ ﴾

يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية :

« يحبر الله تعالى ، عن اليهود ، عليهم لعائن الله ، أن منهم فريق يحرفون  
لكلم عن مواضعه ويبدلون كلام الله ، ويزيلونه عن مراد به ليوهبوا تحفة أنه في  
كتاب الله كذلك ، ويبسببونه إلى الله ، وهو كذب على الله وهم يعلمون من أنصبتهم  
أنهم قد كذبوا واقتروا في ذلك كله ، ولهذا قال ، تعالى

﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

وقال ابن عباس في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُوبُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ﴾

قال هم اليهود كانوا يزيدون في كتاب الله ما لم ينزل الله .

وقال معاهد ﴿ يَلُوبُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ﴾ قال يحرفونه

يقول الله تعالى

٧٩ - ٨٢ ﴿ مَا كَانَ لَشَرِّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوهَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَكُنِ كَوَدِّ الرَّبِّ عَنِ النَّاسِ بَإِذْنِهِ ﴾ ﴿ كُنْ مِنْهُمْ مَسْمُومٌ ﴾ ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ فَذَرُوا أَفْرَادَهُمْ وَحَدِيثَهُمْ عَلَى دَلِكُمْ بِعَصْرِ قَالُوا أَتُحَرِّرُونَ أَفْرَادًا لَاشْهَدُوا وَأَنْ مَعَكُمْ مِنْ شَاهِدِينَ فَمَنْ يَتَّبِعِ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ أَهْمِيرُ دِينِ اللَّهِ يَعْنِي وَهُوَ السَّلَامُ مِنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿

والآية الأولى تنص أن يكون لبشر أناء الله الكتاب والحكم والنبوة أن يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله وهي عامة ، بيد أن من أسباب حرولها ما روى من أن بعض أهل الكتاب قالوا : يا محمد أتريد أن نحدك رباً ؟ قال معا الله ما يدلك بعشي . . هربت هذه الآية . . قلله ابن عباس

وروى الحسن البصري أن رجلاً قال لسي ، صلى الله عليه وسلم : ألا تسجد لك ؟ قال لا ، فإنه لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ، هربت هذه الآية .

والمراد بالحكم الفقه والعلم .

ولا ريب في أن كل رسول أرسله الله ، تعالى ، كان يبشر بالتوحيد

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾

( يوسف ١٠٩ )

وهذا أصل من الأصول الكبرى للديانات ، فلا يتأتى أن يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله .

يقول الزجاج

ومعنى الآية لا يجتمع برجل نبوة والقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله لأن الله لا يصطفى الكسبة .

## يريد الزجاج أن يقول

إن السوء اصطماء، إنها هبة من الله، تعالى، لمن يصطلمهم ، واصطفاء الله  
يضي كل كذاب .

وانظر إلى التصوير القرأني المعر هي قوله تعالى

﴿وَرَدَّ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْرَيسَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ  
مُحَادَثَكَ مَا يَكُونُ بِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا  
أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي  
وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ  
شَيْءٍ شَهِيدٌ ۖ إِنْ تَعَذَّلْتُمْ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ الْحَكِيمُ ﴿

سورة مائدة ١٦ - ٨ {

إن الأسياء لا يدعون الناس إلى عبادتهم من دور الله ، ولكنهم يدعون الناس  
ليكونوا ربايين ، وعن الربانيين يقول ابن عباس رضى الله عنهما  
هم العقهاء المعلمون .

ويقول قتادة

هم لعلماء العلماء الحكماء .

ويقول سيدنا عيسى ، كرم الله وجهه :

هم الذين يعذون الناس بالحكمة ، ويربونهم عليها

وقد ذكر أسلافها كثيرا من الأقوال في معنى الربانيين منها ، نسا أنهم  
لعلماء بالحلال والحرام

ومنها أنهم الذين جمعوا بين علم لبصيرة والعلم بسياسة الناس

ويقول سيبويه : الرباني المنسوب إلى رب بمعنى كونه عالما به وموطبا على  
طاعته ولما مات جابر الأمة ابن عباس رضى الله عنه ، قال محمد بن الحنفية  
رضي الله عنه

اليوم مات رباني هذه الأمة .

وبصير الرباني مهما تعدد واختلف ، فإن معناه لا تتعارض ، وإنما يسبحه  
ويتناسق ولا ينفي بعضه بعضا ، والقرآن الكريم يشير إلى معنى رباني حينما يقول  
﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمَا كُنتُمْ تَذَرُونَ ﴾

فالرباني يعلم لكتاب ويدرسه ، ويعمل به ، فيصح وثيق الصلة بالحو  
الروحي نحو الكتب والنوحى ومن تاه الله انكتاب ، والحكم ، ونسوه ، لا يأمر  
الناس أن يتحدوا املائكه والبيبي اربابا ، وهل تنأتى أن يأمر الناس بالكفر بعد  
يكونوا مسلمين ؟

ثم أحد الله ، تعالى ، بين الناموس العام الخائد ، وهو أن دين الله واحد يسير  
فى تبار لا يقطع مند آدم ، عليه اسلام ، إلى سيدنا محمد ، صلى لله عليه وسلم  
ولهذه الوحدة فى الدين أحد الله تعالى ، ميثاق البيبي من أجل الذى اتهم من كتاب  
وحكمة لئن جاءهم رسول ينشر بمثل ما يبشرون به ويصدق ما هم عليه ، فإنه يحب  
عليهم أن يؤمنوا به ويصدقوه ، وسألهم بعد أن أعلن لهم ذلك ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ عَلَى  
دِينِكُمْ أُصْرِي ﴾ . والإصر العهد الموثق فقالوا ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ ﴾ فقال لهم رياده فى التأكيد  
﴿ فاشهدوا ﴾ ، ثم راد فى التأكيد أكثر فقال ﴿ وأنا معكم من الشاهدين ﴾

أخرج ابن جرير ، عن على كرم الله وجهه ، فى قوله تعالى ﴿ فاشهدوا ﴾  
يقول

﴿ فاشهدوا ﴾ على أممكم بذلك ﴿ وأنا معكم من الشاهدين ﴾ عليكم وعليهم

هذا ، ولقد جاء محمد ، صلى الله عليه وسلم ، حاثما للرسل والرسالات  
بكتاب نهدي للنبي هى أقوم مصدقا لما بين يديه ، ومهيمننا عليه فإن اتبعه أهل  
الكتاب فقد اهدوا ، وإن تولوا عنه مع أنه آيات بيئات هى صدور الدين وتوا العلم  
فأولئك هم الفاسقون .

وهؤلاء الدين تولوا ماذا يريدون ؟ إن دين الله فى رسالة محمد صلى الله  
عليه وسلم ، واصح لا يعارى فيه محصل ، فهل يتبعى من تولي ديناً غير دين الله ؟  
إذا يتبعى غير دين الله فليعلم أن من فى السموات ومن فى الأرض قد أسلم لله  
طوعا وكرها .

فأومس أسلم قلبه وحو رحه ليه طوعا ، و بكافر وقع تحت القهر والتسحر  
فهو مسسقم كرها ، والجميع يرحفون إليه سبحانه يوم الميامة فيجري كل إنسان  
بعمله

( ٨٤ - ٨٥ ) ﴿ قل ما نأله وما أرسلنا من قبلي إله إلا هو يسمع الدعاء ويكشف  
الأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبون من ربهم لا يعرف بين أحد منهم روح به مسنون  
من بع غير الإسلام دينا فمن قبله فهو في الآخرة من الخاسرين ﴾

ما بين الله سبحانه وتعالى، أنه أحد الميثاق على الأنبياء رعى أنهم عن  
طريقهم هي تصديق الرسول الذي يرسله إليهم ، والذي يأتي مصدق لما معهم بين  
ما يعرف أن يكون عنه موقف ، ملخص من الرس والرسالات بقول جمال الدين  
بصامى

نكتة الجمع هي قوله ﴿ وما ﴾ بعد الإفراد هي ﴿ قل ﴾ كون الأمر عاما  
ولا فرد لسريته ، عنبه الصلاة والسلام ، ولا يد أن أنه أصل في ذلك  
و الأمر خاص بالاحبار عن نفسه الركية خاصة ، والجمع لإصهار حاله قد  
ورفعه مجله بأمره أن يتكلم عن نفسه على ديدن الملوك .

أما الأسباط فإنهم أولاد يعقوب، عليه السلام

ثم يلق الله، سبحانه وتعالى في صراحة صريحة هذا الإعلان العام

﴿ ومن يبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾

ومن أحمل ما قرأته في ذلك ما أحرجه الإمام أحمد والvirاني في الأوسط  
عن أبي هريرة، قال قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم

، تحي الأعمال يوم القيامة فحي الصلاة فيقول يا رب يا الصلاة

فيقول بك على خير . . وحي الصدقة فيقول يا رب أنا الصدقة فيقول

بك على خير ثم يحي الصيام فيقول أنا الصيام ، فيقول بك على خير ثم

يحي الأعمال كل ذلك يقول الله بك على خير ثم يحي الإسلام فيقول

رب، أنت الإسلام وأنا الإسلام فيقول الله بك على خير ، بك اليوم أحد



وبعد - حصي - قال الله عز وجل في كتابه ﴿ ومن يتبع غير الإسلام ديناً فس ينبل منه  
وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾

ويقول الإمام أبو السعود في تفسيره :

والمعنى أن لمعرض عن الإسلام والطالب لغيره هافد لسفح واقع في  
الحسرات بإسقاط الصلوة السليمة التي فطر الناس عليها ، وهي ترتيب الرزق  
والحسرات على مجرد الطلب دلالة على أن حال من تدين بغير الإسلام و طمأن  
بذلك أقطع وأقبح

والإسلام الذي نتحدث عنه هنا يقول عنه الرابع الأصمعي به فوق الإيمان  
وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ، ووفاء بالفعل ، واستسلام له في جميع  
ما قصي وقدر كما ذكر عن إبراهيم عليه السلام، في قوله

﴿ اد قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ﴾ ( البقرة ١٧٦ )

﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ .

ويقول محدثا عن يوسف عليه السلام

﴿ توفني مسلماً ﴾ ( يوسف ١٠١ )

وهذا المعنى الذي ذكره الرابع يرتبط ارتباط وثيقا بالمعنى اللغوي للكلمة  
« إسلام » ، يقول ابن الأثير في المعنى اللغوي للكلمة

« المسلم معناه المحلص لله في عبادته ، من قولهم سلم الشيء لعلان حلص  
له ، والإسلام معناه خلاص الدين والعقيدة لله تعالى .

وسواء نظر الإنسان إلى المعنى الشرعي للكلمة ، أو إلى المعنى اللغوي ، فإنه  
يحد أن هذا اللفظ لا يشير

١- إلى شخص معين ، كما تشير البوذية مثلا إلى بود والبرادشتية إلى

برادشت

٢- ولا إلى شعب معين ، كما تشير اليهودية إلى شعب بدانه



وسوء عرهب لدين بهذا التعريف أو ذاك . فإن معناه الصدوق هو إسلام  
الوجه لله

ومن هنا كان لمط الإسلام أصدق تعبير عن الدين . وكانت القصيدة « بن  
الدين عند الله الإسلام » قصيدة لا شك فيها  
وكانت القصيدة حترية على هذه :

« ومن يسع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » قصيدة  
هي الآخرة - لا شك فيها .

إن كل من يرفض إسلام الوجه لله إنما يرفض الدين

« ومن يسع غير الإسلام دين فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » ولا يعبر  
عن الإسلام في الوقت الحاضر إلا القرآن والسنة النبوية الشريفة والمراد هو  
الكتاب الوحيد في العالم لأن الذي لم يعبر ولم يبدل ولم يحرف وهو بالأسلوب  
الالهي نفسه وليس في العالم الآن كتاب بالأسلوب الإلهي غير القرآن كتاب  
الإسلام

يقول الله تعالى

(٨٦-٩١) « كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم  
النبات والله لا يهدي القوم لطالبي » أولئك حراؤهم إن عليهم لعنة الله والملائكة والناس  
أجمعين » حالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم يظفرون » إلا الذين تأنوا من بعد ذلك  
وأصلحوا فإن الله غفورٌ حميمٌ » إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدوا كفرا لن نقبل ثوبتهم  
وإن عنت هم لصالحون » إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم مئة الأرم من ذهب  
ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين » .

إن الشهادة بأن الرسول حق أمرها ميسر لمن صدق في نظراته للأمور .  
وخلص في بعثه ، ومن أمثلة هؤلاء هذا الرجل الواسع الأفق لدى لم تستعبد  
استقاله ، وأعطى به هرقن، لقد أتاه كتاب رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه

بدعوه الى الإسلام فلم يهتم الكتاب ولم يعرفه ، وإنما قرأه في عناية وانسده ثم أراد أن يكون صورة صحيحة عن صاحب الخطاب ، فسأل عما إذا كان بالمدينة بعض العرب اندين يعرفون ابرسول ، صلى الله عليه وسلم ؟

فمیل له إذا بالمدينة نجار من مكة يعرفون محمدا باعتباره من مواطنيهم فأمر بإحصائهم ، وكان منهم أبو سفيان هجره منه وأدبه وقال لهم بي سائله عن أمور ، فإن كدسي فكذبوه !

يقول أبو سفيان هو الله لولا الحياء من أن يؤثروا على كذا لكذب عنه !  
وسرل لمقدمات التي جاءت بالموضوع والأسئلة الأولى لأنها واضحة من نتائج التي انتهى إليها هرقل !

إن هرقل بعد منتهى من الأسئلة بدأ عن طريق لترجمان يقول لاسي مسياري على مشهد من الملأ الحاصر من أصحاب هرقل ، ومن أصحاب بي سفيان سألته عن سببه ؟ فذكرت أنه فيكم ذو نسب ،

وكذلك أرسل تبعث في سبب قومها !

وسألته هل قال أحد منكم هذا القول ؟

فذكرت أن لا .

فقلت - لو كان أحد قال هذا القول قبله ، لقلت رجل باتي يقول قبله !

وسألته : من كان من آبائه من ملك .

فذكرت أن لا .

قلت لو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه

وسألته : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

فذكرت أن لا .

فقد عرف أنه لم يكن ليذكر لكذب على أساس ويكذب على الله

وسألتك أشرف الناس اتبعوه أم صغماؤهم؟

فذكرت أن صغماؤهم اتبعوه .

وهم أتباع الرسل !

وسألتك أأريدون أم يعصون ؟

فذكرت أنهم يريدون !

وكذلك أمر الإيمان حتى يتم

وسألتك أيرتد أحد شخصاً لديه ، بعد أن يدخل فيه ؟

فذكرت أن لا .

وكذلك الإيمان حين تحبب بشاؤيته القلوب

وسألتك هل يعدر ؟

فذكرت أن لا .

وكذلك الرسل لا تعدر .

وسألتك ثم يأمركم ؟

فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئاً ويهاكم عن عبادة

الأوثان وبأمركم بالصلاة ، والصدق والعفاف

فإن كنتم تقول حقاً ، فسيملك موضع قدمي هاتين

وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكر أظن أنه معكم ، ولو بي علم بي

أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده بعسلت عن قدميه )

هذه الصورة التي كونها هرقل بمطقة يمكن أن يكونها أو يكون مثيلاً لها

كل إنسان اتسع أفقه ، ورحب تفكيره .

وكل إنسان يصدق الله والحق لابد أن ينتهي إلى ما سهى إليه هرقل من

هوله

« لو كنت عبده لغسست عن قدميه » .

وإنما يعسر عن قدميه من أجل رسالته !

إد إن من اضطماه الله لرسالته جدير بأن يكون أهلاً لذلك

هد وإن من الناس ، في كل زمن ومكان من يرى الأدلة فيوم ويشهد أن الرسول حق ، ثم تأتي المعريات ، وشهوات الدنيا ، وحب المال ، فيسبح من كرم ما أمر به ويبعد في عبودية ديلة لأهوائه وشهواته ، والله - سبحانه - يصف هذا الصنف من الناس وصفا دقيقا فيقول سبحانه

﴿ وتل عليهم ما الذي أتياه إيانا فاسلح بها فأتبعه الشيطان فكأن من العاوين ﴾ زلوا شئ لرفعاه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثلة كمثل الكلب ان تحمل عليه يهبط وترترك يلهث ذلك مثل النجوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتذكرون ﴿

( الأعراف ١٧٤ ١٧٦ )

هد الصنف من الناس لا يهديه لله ، لأنه اتحد إلهه هواه ، والله لا يهدي الموم الظالمين .

أما حزاؤهم عند الله فهو للعنة ، وللعنة عند الملائكة والناس أجمعين ، وهم حالدون في جو اللعنة ، وجو اللعنة كله عذاب ، وهذا العذاب لا يحفف عنهم ولا يؤجل وهذا كله في شأن من كذب واستمر على تكديبه إلى أن انتهت به الحصة

أما من أغواه الشيطان فبرة من الزمن ثم يفسد صميته تثر عسى لا ثم والانحراف بعد إلى الله نائبا ميبا منصرعا ، وأحد يصبح ما أفسد وحذا في طاعة الله ، فإن الله بالنسبة لهم عمور رحيم ألم تر إلى الحارث بن سويد لقد رأى صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأيقن أنه صادق ، فأسلم ثم بعث به الأهواء فسافر إلى مكة مريدا ، ثم ثار صميته فكتب إلى قومه بالمدينة سائلا عما إد كان له من توبة ، فمرلت هذه الآيات ، ولما علم بها عاد إلى المدينة نائبا منيب ، وحسن إسلامه .

ويسأل الله بعد ذلك

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ارْتَدَّوْا كُفْرًا أَلَيْسَ تَقْبِلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّالُونَ ۖ إِنَّ  
الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرًا فَلَنْ يَقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ اقْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ بِهِمْ  
عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ، وَلَمْ يَتَّأَلَمْ لَهُمْ صَمِيرٌ وَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ  
تَعَالَى بِالتَّوْبَةِ ، بَلْ كَانُوا مِنْ أَمْرِهِمْ أَنَّهُمْ يَرْدَادُونَ كُفْرًا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءَ لَنْ  
تَقْبَلَ تَوْبَتَهُمُ الَّتِي يَظْهَرُونَ بِهَا سِرًّا لِأَحْوَالِهِمْ ، مَا دَامَ الشَّرْكُ فِي صَمَائِرِهِمْ ، يَقُولُ  
الْحَسَنُ وَغَيْرُهُ

« لَنْ تَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ حِينَ يَحْضُرُهُمُ الْمَوْتُ ، وَهُوَ وَهْتَ الْحَشْرَةِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى  
قَالَ

﴿ وَيَسْأَلُ التَّوْبَةَ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ دَاخِرَ أَحَدِهِمُ امْمُوتَ قَالَ إِيَّيَّيْتُ  
الآن ۖ ﴾ ( النساء : ١٨ )

« فَإِنَّ الَّذِي يَمُوتُ عَلَى الْكُفْرِ لَا تَقْبَلُ تَوْبَتُهُ » . ا هـ

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّهُمْ الَّذِينَ ارْتَدَّوْا وَعَزَمُوا عَلَى إِطْهَارِ التَّوْبَةِ لِسِرِّهِمْ  
وَلِكُفْرِ فِي صَمَائِرِهِمْ

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ : هُمْ قَوْمٌ تَابَوْا مِنْ ذُنُوبٍ عَمِلُوهَا فِي حَالِ شُرْكَ ، وَلَمْ يَتَوَبَّوْا  
مِنَ الشَّرْكِ ، فَإِنَّ تَوْبَتَهُمْ فِي حَالِ الشَّرْكِ عَيْرٌ مَقْبُوبَةٌ ، إِنَّهُمْ هُمُ الصَّالُونَ

« مَا الَّذِينَ كَفَرُوا وَاسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ حَتَّى مَاتُوا عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ حَرَمُهُمْ مِنَ  
الْعَظَمِ بِحَيْثُ لَنْ يَقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ أَيْةٌ فَضِيَّةٌ ، حَتَّى وَلَوْ كَانَتْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا ، إِنَّ  
بِهِمْ عَذَابًا مُؤَلَّمًا ، وَلَنْ يَحْدَوْا مِنْ بَصَرِهِمْ وَتَلْكَ لَامُ وَرَدَ عَلَى سَبِيلِ لُفْرَصٍ وَالتَّصْدِيرِ ،  
وَالْمَعْنَى أَنَّهُ بُوَ أَنَّ لِلْكَافِرِ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَبُّ أَنْ يَمْتَدَّى بِمِصْرِهِ  
لَمَّا قَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ .

رسول الله تعالى

٩٢، ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾

وأصل البر كما يقول الإمام عيسى بن محمد بن إبراهيم التوسعي في عمل  
الحبر يمتثل بر نعمته أي توسع في طاعته فالبر من لله الثواب ومن  
لعبد الصاعقة ، وقد يستعمل في الصدق وحسن الخلق لانهما من الحبر توسع  
فيه

أخرج البحري ، ومسلم ، عن عبد الله بن مسعود ، قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم

« إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل يصدق  
حتى يكتب عند الله صديقاً وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى  
النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » .

وخرج لإمام مسلم في صحيحه عن النوايس بن سمعان قال سأل  
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والائتم فقال البر حسن الخلق  
والائتم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس منك ، فعلى هذا يكون  
المعنى عليكم بالأعمال الصالحة حتى تكونوا أبراراً وتدخلو في مرة لأبرار

وبقول الله تعالى في هذا المعنى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا سَبِّحُوا مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَحْرَسْتُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا  
يُصْنَعُ لَكُمْ فِيهِ نَقُورٌ وَاسْتَمِيعُوا لِقَاءَ اللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ وَاعْبُدُوا اللَّهَ عِزًّا إِنَّ اللَّهَ عِزُّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾  
البقرة ١٦٦

وقد روى الشيخان عن أسد بن مالك قال كان أبو طلحة أكثر الأنصار  
مالاً من رجل وكان أحب أمواله إليه بيرحاء وكانت مستقلة المسجد وكان  
رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أسد  
فما أبرأت هذه إلا أنه ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ ﴾ هاهنا أبو طلحة  
إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ، إن الله يبرك وبه  
يعول في كتابه ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ ﴾ .

وإن أحب أموالي إلى بيرحاء وإنها صدقة لله عز وجل أرحو بها ودحرجها  
عند الله فصنعها يا رسول الله حيث أراك الله فعلى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم مع ذلك مال راح ذلك مال راح ، وقد سمعت ما قلتم وإنى أرى أن



جعلها في الأفريقين قال أبو طلحة فعل يا رسول الله فمسمها أبو طلحة في  
أقربه وبني عمه

ومن لطيف ما يروى من التفسير الإشاري ما ذكره جمال الدين الفاسمي عن  
انفاساني هي هذه الآية قال :

كل فعل يقرب صاحبه من الله فهو بر ولا يمكن لتفرد إلهه إلا بالتزو عما  
سواه فمن أحب شيئاً فقد أحب عن الله تعالى به وأشرك شركاً حمياً يتعلق  
محبه بغير الله ، كما قال تعالى

﴿ ومن أسس من بعد من ذور الله إذا يحو بهم كحب الله ﴾ ( نمره ٦٥ )

وآثر نفسه به على الله ، فقد بعد من الله بثلاثة أوجه وهي محبه غير  
لحق ، ولشرك وإيثار النفس على الحق ، فإن أثر الله به على نفسه انصدق به  
وأخرجه من يده فقد دل ليعد وحصل القرب ، ولا بقي محجوباً ، وإن أنفق من  
غيره أصغاه فما مال برا ، فلهذه تعالى بما ينطق وباحتجاجة بغيره

والانصدق بسنوي فيه من وسع الله عليه ومن قدر عليه الرزق يقول تعالى  
﴿ بسعن ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فإنه لا ينفق مما تاد لله لا تكلف الله نفساً إلا ما آتاه  
مجهل لله بعد عشر يسراً ﴾ (الطلاق ٧٠)

ما من يعجز شيئاً من عن نفسه حيث يحرمها من الحيز ويعجز بينه  
وبين الثواب

يقول الله سبحانه

﴿ ها أنتم هؤلاء تدعون لتنعقوا في سبيل الله فمكم من يعجز ومن إنما يعجز عن  
نفسه والله اعلم واسم الفقراء وإن تقولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾

( محمد ٣٨ )

ب الله تعالى يعجز عن المنطق عما يدل من الحيز أصغاه مصاعفه عن سعي  
بر يسار أنه سمع أما هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« ما تصدق أحد بصدقة من طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - إلا أحدها  
الرحمن يميئه ويركائب ثمرة هريو هي كف انرحمن حتى يكون أعظم من  
الحل كما يرى أحدكم هلو أو فضيله » .

وروى الإمام مسلم بسنده ، عن أبي هريرة يبيع به النبي صلى الله عليه  
وسلم ، قال قال الله تبارك وتعالى

« يا ابن آدم ، أُنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ »

وقال ، صلى الله عليه وسلم

« يمين الله ملأى سحاء لا يقبضها شيء الليل والنهار »

وعن المدر بن حرير عن أبيه ، قال

كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هي صدر النهار قال فعاء قوم  
حماة عراء ، محتايي النمار أو انعاء متقلدي السيوف عامتهم من مصر بن كلهم  
من مصر هتمعر وحه رسول لله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الصقة ،  
فدخل ثم خرج فأمر بلالا ، فدن وأقدم ، فصلى ، ثم خطب فقال

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما  
رجلا كبر وباء واتقوا الله اسي ساءرون به ولا حام ان الله كان عنيدكم رقيبا ﴾

( النساء ١ )

والآية التي هي الحشر :

﴿ يا أيها الذين امنوا اتقوا لله واطعوا امره ما قدمت بعد واتقوا الله ﴾

( الحشر ١٨ )

بصدق رجل من بني نزار من درهمه من ثوبه من صاع نزع من صاع تمره ،  
حتى قال ولو بشق تمره . قال

فعاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجر عنها بل لصد عجزه فل  
ثم نداه ساس حتى رايت كومي من طعام وثياب ، حتى رايت وحه رسول الله صلى  
الله عليه وسلم سهال كأنه مذهب فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم

« من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها ، وأجر من عمل بها بعده من  
غير أن ينقص من أجورهم شيء » .

ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده  
من غير أن ينقص من أجورهم شيء » .

\*\*\*

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول الله تعالى

(٩٣ - ٩٥) ﴿كُلْ لِمَعْنَمِ كَانَ حَلَالٌ لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ هَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَانْلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فمن كفرى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون ﴿فَلْ صَدَّقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَءِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ سبب نزول هذه الآيات الكريمة أن اليهود قدوا للنبي، صلى الله عليه وسلم، بت ترعم أنك عى ملة إبراهيم، وكان إبراهيم لا يأكل لحوم إبل وألبانها، وأنت تأكل ذلك كله فليست على ملته.

فقال النبي، صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لإبراهيم، قالوا كل ما نحرمه ليوم كان حراما على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا فأمر الله عز وجل ﴿كُلْ لِمَعْنَمِ كَانَ حَلَالٌ لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾

وإسرائيل هو يعقوب، وقد حرم بعض الأشياء على نفسه لسبب أو لأخر، ذلك قبل أن تنزل التوراة، وقد كان ما حرمه يعقوب على نفسه حلالا لإبراهيم وأولاده إسماعيل وإسحاق، ولما نكر، يهود أن الطعام كان حلالا لإبراهيم عسه لسلام، أمرهم الله تعالى بإحصاء التوراة وتلاوتها فيها تُصرح بأن بعض أنواع الطعام حرّمه إسرائيل على نفسه.

ولقد حرّم الله تعالى عليهم فى التوراة ما كانوا يحرمونه قبل نزولها، وحرّم عليهم فيها أشياء أخرى عقاباً لهم، يقول صاحب الكشاف

«لآيه رد على اليهود وتكذيب لهم، حيث أرادوا براءة ساحتهم مما يعى عليهم فى قوله تعالى

﴿عِظْهُمْ مِنْ تَدِينِ هَادُوا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٌ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾

و حدهم الرب وقد بهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدا للكافرين منهم  
عذابا أليما ﴿١٦٠﴾ (النساء ١٦٠، ١٦١)

وفى قومه

﴿وعلى الذين هادوا﴾ (الأنعام ٤٦)

لقد أرادوا براءة ساحتهم وحجود ما عاطهم واشتاروا منه، وامتنعوا مما  
نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم، لبغيتهم، وظلمهم، فقالوا لسا بأول من  
حرمت عليه، وما هو إلا تحريم قديم، كانت محرمة على نوح وعلى إبراهيم ومن  
بعده من بني إسرائيل وهلم جر إلى أن انتهى لتحريم النبا فحرمت عينا كما  
حرمت على من قبله، وعرضهم تكذيب شهادة الله عنهم باليعى والظلم، والصد  
عن سبيل الله وأكل الربا وأحد أموال الناس بالباطل، وما عدد من مسدوئهم \* اه  
أما من افتري على الله الكذب بعد هذا البيان الإلهي، وبعد التحدى لليهود،  
وبعد امتناعهم عن الإتيان بالتوراة، فإنه من الظالمين.

ولقد صدق الله تعالى في البيان الذي أخبر به فأعس ذلك يا محمد لهم،  
وادعهم إلى إلى اتباع ملة إبراهيم، قل لهم ﴿فانيعرا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من  
المُشركين﴾ (آل عمران ٢٩٥)

أما ملة إبراهيم فهي دينه، وهي مسهجة في الحياة لدى رسمه الله له.

ومسحجة في الحياة هو الإلقاء بقياده كلية إلى الله سبحانه وتعالى

الإلقاء بقياده إلى الله في القول والإلقاء بقياده إلى الله في العمل

وإذ ما لقى الإنسان بقياده إلى الله سبحانه في حياته كلها كان مسلما.

يقول تعالى

﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سمع نفسه ولقد اصطفيه في الدنيا وبه في الآخرة

بني الصالحين﴾ (آل عمران ١١٣، ١١٤)

ومفتاح الأمر في خلق إبراهيم عليه السلام، وفي إتياء عليه أيضا، هو

إسلامه وهو لم يكف بأن أسلم في نفسه، وإنما قد وصى بهذه العقيدة بيه، يقول تعالى

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

والإسلام الذي ذكره إبراهيم عليه السلام ووصى به بنيه، إنما هو إسلام أوجه لله سبحانه أي التسليم لله في جميع الأمور، ما صغر منها وما كبر إن لله سبحانه وتعالى نظاماً معيناً في الأوضاع الأخلاقية، والأوضاع الاجتماعية، في العالم الإنساني.

وحوهر هذه الأوضاع إسلام أوجه لله سبحانه

ولقد حدد ابن الأثير، المتوفى سنة ٦٢٨هـ معنى لإسلام من الحاجة اللجوء البعثة، فقال :

المسلم معناه المحتص لله في عبادته، من قولهم سلم شيء لملان حلص له، والإسلام معناه إحلاص الدين والعقيدة لله تعالى

ولقد مثل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن معنى الإسلام فقال

« أن يسلم لله قلبك، وأن يسلم لمسلمون من لسنتك ويدك. »

والإسلام بهذا المعنى لا يختص ببيئة معينة، ولا يشير إلى بيئة معينة، ولا إلى شخص معين، ولا إلى زمن معين.

إن هذه الكلمة مجرد الكلمة تصعباً مباشرة في جو عالمي مطلق بن هي جو عالمي يتخطى حدود هذا العالم الأرضي، - إذا أمكن ذلك - فلا يقيده ولا بتحدد بحدوده.

إن إسلام الوجه لله هو دين الملائكة، وهو دين الأنبياء، وهو دين لله لدى لا دين غيره، وهل لله دين غير إسلام الوجه لله سبحانه ١٩

ومن أجل ذلك كانت كلمة إسلام، وكلمة دين بمعنى واحد.

إن الدين هي أي عصر، وهي أي زمن معناه الحصوع لله والاستسلام له، والعمل على مرضاته، وهذا بعبارة أخرى هو معنى الإسلام، والدين و الإسلام يدرن بمعنى واحد.

هذا المسهج - من إسلام الوجه لله والحصوع له - إنما كان المسهج الذي سمه الله سبحانه ديناً للإسائنه أجمع

ويقول الله تعالى

( ٩٦ ، ٩٧ ) ﴿إِن أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ \* فَمِثْلَ هَٰذَا بَنَىٰ إِبْرَاهِيمُ وَمِنْ دَحْلِهِ كَانَ أُمُّ وَلَدِهِ عَلَىٰ نَاسٍ حِجُّ الْبَيْتِ مِمَّنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمِنْ كَثْرٍ فِإِنَّ اللَّهَ عَمِّيٍّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾

روى الإمام البخارى رضى الله عنه، أنه حينما أسكن إبراهيم عليه السلام من دريته عند بيت الله المحرم، حاطب الملك السيدة هاجر مطمئناً لها قائلاً : لا تحذروا لصيغة هان هذا البيت يسيه هذا لغلام وأبوه، وإن الله لا يصنع أهله »

هل كان بيت الله مبتنيا قبل ذلك؟ ومن بناء ؟

إن إبراهيم عليه السلام يقول :

﴿ رَّبِّ اِنِّى اَسْكَنْتُ مِنْ دَرِيْبِي بُوَادِ عَيْرِ دِي رَرَعِ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبِّما يُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ الْمَدِيْنَةَ مِنَ النَّاسِ تَهْوَى رَبِّهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُوْنَ ﴾  
(إبراهيم ٣٧)

فهو كان بيت الله المحرم مرحوداً قبل إبراهيم ؟

إن حديث الإمام البخارى يقول

« وكان البيت مرتصفاً من الأرض كالراية، تأتيه أنسيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله »

ويقول الله تعالى في تحديد لا ئيس فيه .

﴿إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِمَكَّةَ﴾ .

وبكة هي قول الله تعالى هي مكة : همتى بنى البيت ؟

يروى الإمام الميهقي في دلائل النبوة بسنده، عن رسول الله، صلى الله عليه

وسلم، قال

بعث الله جبريل إلى آدم، فأمره ببناء البيت فبناه آدم

ثم أمره بالطواف به، وقيل له

أنت أول الناس، وهذا أول بيت وضع للناس،

وروى عبد الرزاق عن عطاء رضى الله عنه أن آدم أول من بنى البيت

و لأحاديث السوية متسقة مع القرآن الكريم تشير إلى أن أول بيت وضع للناس

إنما هو البيت الحرام وأن أول من بناه إنما هو آدم.

وف من شك في أن بيت كان يُهمل ويُترك أحيانا فيتهم ولكن معاصمه سقى

حتى يأتي من يجدّه

وعد حذّده سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل، والله سبحانه وتعالى يقول

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبِّ تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ﴾ ( بقره : ١٢٧ )

ولم يقبل سبحانه .

« وَإِذْ يَصْغُ إِبْرَاهِيمُ لِقَوْلِ عَدُوِّهِ » .

وإبراهيم وإسماعيل كانا إذ يرفعان القواعد التي وضعها دم عليه السلام

لقد جاء إبراهيم ذات يوم إلى إسماعيل، وقد أصبح شابا ضيقا فقال له

« الله أمرني بأمر

قال ، فاصنع ما أمرتك ربك .

قال وتعمسى ٩ قال : وأعيذك

قال فإن ابنه امرئى أن أبى هاهنا بيت وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها .

قال فعند ذلك رهما لقواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبنى حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوصفه له فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يسوئه فجارة وهما يقولان :

﴿ربنا تقبلْ ما إنك أنت السميعُ العليمُ﴾ .

قال فجعلوا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان

﴿ربنا تقبلْ ما إنك أنت السميعُ العليمُ﴾ (البقرة ١٢٧)

إنه أولُ بيت وضع للعبادة، والعبادة فيه ألوان، يقول تعالى

﴿وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾ (الحج ٢٦)

و لطفوا به لا يوجد في مسجد آخر

أما كلمة « بكّة » فقد قال الزجاج . يصح أن يكون هذا الاسم مشتقا من بك بـمال بك الناس يعصهم بعضا، أي دفع وعصى هذا فإن تسميتها « بكّة » لأرحام الناس بها في أيام الحج ويقول سعيد بن جسر سميت « بكّة » لأن الناس يتماكؤون بها، أي يردحمون

وهي على كل حال تعنى «مكة»، وأما «مكة» فسميت بذلك بقية ماؤها من قول لعرب

من الميصل صرع أمه، وأمتكه إذا مص كل ما فيه من اللبن

ويسمى «مكة» الحاطمة، لأنها تحطم من استخف بحرماتها

وهذا البيت مبارك : بركة الله تعالى حيث جعل ثواب الصلاة فيه أصعافا مصدعة، وبركته بالطواف فيه والعبادة والاعتكاف.

وهو هدى للمسلمين لما فيه من الايات والبيانات.



أما هذه الآيات فإن منها مقام إبراهيم، وهو الحجر لدى كان يقوم عنده  
حيثما كان يرفع القواعد من البيت  
ويصول الإمام من كثير :

وقد كان منصفاً بحدود البيت حتى أحرم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في  
إمارته إلى ناحية لشرق بحيث يتمكن الطواف منه ولا يشوشون على المصلين عنده  
بعد الطواف لأن الله تعالى قد أمرنا بالصلاة عنده، حيث قل  
﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ (البقرة ١٢٥)

ومن الآيات تفعيل العفوة لمن انتهك حرمة، وما قصده حبار سوء إلا أهيكه  
لله كما اهلك أصحاب النيران ومشاعر الحج التي فيه كلها من الآيات  
وبعد أن ذكر الله تعالى فضائل البيت من أنه أول بيت وضع للعباد، ومن أنه  
مبارك وهدى للعالمين وفيه آيات بيّنات مقام إبراهيم أردف ذلك بذكر الحج  
وشروطه لحج وشروط الوحوب فيما يتعلق بالقيام به والاهتمام بشأه، فقال  
سبحانه

﴿وهدى على ناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غيى عن لعالمين﴾  
وقد ورد في الحج حملة من الأحاديث لصحيفة والحسنة، يذكر منها ما  
يلي

عن أبي هريرة أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال - فيما حرجه  
البجاري ومسلم - :

« لا تُشدُّ الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول،  
والمسجد الأقصى ».

وعن أبي سعيد الخدري أن نسي عليه الصلاة والسلام، قال فيما أخرج  
الإمام مسلم

« لا تُشدُّ الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام،  
والمسجد الأقصى ».

وعن أبي هريرة قال حطبا رسول الله، صلى الله عليه وسلم فقل أيها الناس قد فرص عليكم الحج فحجوا فقال له رجل في كل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم « هو قست معكم لوحيث، ولما استطعتم »

وعن ابن عمر قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقل يا رسول الله، ما يوجب الحج ؟ قال : « الزاد والراحلة »<sup>(١)</sup>.

وأخرج البخاري ومسلم، عن أبي هريرة، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال

« العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج امرور ليس له جزاء إلا الحنة »

وهي رواية سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول

« من حج لله عز وجل » وفي لفظ « من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يمسق، رجع كيوم ولدته أمه »، أخرجه الترمذي وقيل « عمر له ما تقدم من دنيه »

وعن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال

« تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينميان الدنوب والمقر كفا يسمى (الكبير) حيث الحديد والذهب والمصنة، وليس لحجة مبرورة ثواب إلا لحجة وما من مؤمن بظل يومه محرما إلا غابت الشمس بدنوبه »<sup>(٢)</sup>.

وهذه الآية هي آية وجوب الحج عند جمهور المفسرين والمفسرين والحج أحد أركان الإسلام الخمسة، وقد فرص على كل مسلم ومسلمة مرة في العمر عند الاستطاعة.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما

(١) أخرجه ترمذي وقال حديث حسن

(٢) أخرجه الترمذي

« نسي الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج وصوم رمضان ».

وشرط الحج الإسلام، والبلوغ، والعقل، والحرية، والاستطاعة.

أما هذه الاستطاعة فإن أمرها هي لواقع الصحيح سهل ميسر هي رماها الراهن فُسِّلَ ابوابها مريحة، والأمن مستتب والمفقات ليست من الكثرة عند كثير من الناس بحيث تُعْجِزُ إنتهاء عند العزم المصمم، لا تلبث أن توجد في يسر نسي

وإنه من لم يجد عوائق أن يتعلم الإنسان بالاستطاعة، فإن هذه الاستطاعة تنبع حررة لإيمان، ارتباطاً وانحصاص، والناس في العسر مستطعمون فارزون، ولكن الأمل في متداد العمر، ولا يعمد في عمرات لمادة ولا تستغرق في شئون الدنيا، يجعل للإنسان - وهو مستطيع - مهمل ويهمل، حتى تنتهي به لحياة، وفي مثل ذلك يقول سعيد بن جبير، ومجاهد، وطاووس، رضى الله عنهم

« لو علمت رجلاً غنياً أحب إليه الحج ثم مات قبل أن يحج ما صليت عليه ».

يقول صاحب الكشف فيما نقله عنه الفاسمي :

« هذه الآية الكريمة حاربت من فنون الاعتبارات المعربة عن كمال الاعتناء بأمر الحج، والتشديد على تاركه، عالا مريد عليه ».

فمنها : الإتيان بـ « اللام » على « من قوله » ﴿ ولله على الناس حج البيت ﴾ بمعنى أنه حق، وأحب لله في رقاب الناس، لا يفككون عن أدائه و لحج عن عهده، ومنها أنه ذكر ﴿ الناس ﴾ ثم أبدل عنه ﴿ من استطاع إليه سبيلاً ﴾، وهذه صريحتان من التأكيد

جدهما : أن الإبدال تشية للمراد وتكرير له

والثاني أن الإيصاح بعد الإيهام، والتفصيل بعد الإجمال إيراد له في صورتين مختلفتين.

ومنها قوله ﴿ومن كفر﴾ مكان « من لم يحج » تعليقاً على تارك الحج  
ومنها ذكر الاستعفاء عنه، وذلك مما يدل على لمقت ولسخط و لحد لار  
ومنها قوله ﴿عن العالمين﴾ ولم يقل عنه، وما فيه من الدلالة على  
الاستعفاء الكامل، فكان أدل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه . هـ

يقول الله تعالى

(٩٨ - ٩٩) ﴿قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بالله ولله شهيد على ما تعملون﴾ قل  
يا أهل الكتاب لم تصدقوا عن سبيل الله من آمن بعبودها عوجاً رانته شهداء وما الله بعاقل عما  
تعملون﴾

وآيات الله هنا هي القرآن، وهي سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم

أما القرآن فإنه على حد كلام الله تعالى

﴿آيَاتُ بَيِّنَاتٍ فِي صُورِ اللَّيْلِ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ (البقرة ١٢٩)

إله بأسلونه به بيبة وبموصوعه آيةً واصحةً، وبإخباره عن العيب آية لا مربة

فيه

أما محمد، صلى الله عليه وسلم فقد كان آيةً من آيات الله هي نفسه، وهي  
كل ما يتصل به من سلوك ومن خلق

يقول الإمام ابن عباس

آيات الله هنا هي القرآن الكريم، ومحمد، صلى الله عليه وسلم

وشهيد هي قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ شَهِدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ بمعنى الشاهد، ويقول

الإمام الخطابي

« هو الذي لا يعيب عنه شيء كآية الحاضر الشاهد »

أما كلمة العوج بكسر العين فقد قال أبو عبيدة .

عوج بكسر الهمزة، هي الدين، والكلام، والعمل والعوج بفتحها هي الحائط

والحدع .

وقال الزجاج العوج بكسر ثعين فيما لا ترى له شخصاً، وما كان له شخص

قلت « عوج بفتحها، تقول في أمره ودينه عوج، وفي لعصا عوج »

وسبيل الله الذي كانوا يصدون عنه، هو صراط الله، وهو الوحيد، وهو الإسلام، يقول سبحانه

﴿ وَهُدًى صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا أَنْسِلَ لِتَفْرِقَ بَيْنَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ دَلَّكُمْ

وَصَاحَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَقْوُونَ ﴾ - ( الانعام ١٥٢ )

بقول الله تعالى

( ١٠٠ ، ١٠١ ) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ

بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم-﴿

هاتان الآيتان لجماعة المسلمين عامة، وإن كان سبب نزولهما حادثة خاصة، قال زيد بن أسلم.

مر شأس بن عيس اليهودي - وكان شيخاً عظيم الكبر، شديد لظن على المسلمين - فمر على نمر من الأوس والخررج في مجلس جمعهم بنجدثون، فباطه ما رأى من ألتهم وصلاح دانت بينهم في الإسلام، بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من المداوة وقال قد اجتمع سلاً بني قيلة بهذا البلد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا بها من قرار؛ فأمر شاب من اليهود كان معه هقل - اذهب إليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعث وما كان قبته، وأنشدهم بعض ما كانوا يقولون فيه من الأشعر

وكان نعت يوماً هتلتب فيه الأوس مع لخررج، وكان الظمر فيه للأوس على لخررج، فمعن وتكلم هتلكم انقوم عند ذلك فتارعوا ونماحروا حتى تواشب رجلان من الحبس على الركب، فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه إن شئت والله رددتها لأن جدعة وعصب لمريقان حميعاً وقالاً قد هعب السلاح لسلاح موعدكم

الظاهر وهي الحرة، فخرجوا جميعاً إليها، وانصرفت الأوس والخرج على دعواهم التي كانوا عليها في الحاهلية، فبيع ذلك رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم، فقال يا مدثر المسمي، أيدعوى الحاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام، وقطع به عنكم أمر الحاهلية، وألم بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا، الله الله! فعرف القوم أنها برعة من الشيطان وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا، وعذب بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، سامعين مطيعين، فأمر الله تعالى هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِبَعُوا لَرْيَقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَعْصِي شَأْسَ وَأَصْحَابِهِ، ﴿ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴾

عن جابر فما رأيك قط يوماً أقبح أولاً، ولا أحسن آخرًا من ذلك اليوم قد ريد بن أسلم والمريق من الذين أوتوا الكتاب هو شأس بن قيس ليهودي وأصحابه . وقال الزجاج . معنى طاعتهم : تقليدُهم.

ثم بين الله تعالى أن من كان لديه القرآن الكريم، ومن كان لديه رسول الله حياً أو سته بعد نفعائه، فإنه لا يستجيب لأهل الكتاب الذين لديهم إضلال لمسلمين بشتى الصرق، وكيف يستجيب لهم، مع أن كتاب الله عصم من الضلال واتباع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في حياة حياته وسنه بعد نفعاله إلى الرفيق الأعلى يسير بالإيمان إلى هداية الله وإلى الاعتصام به، ومن يعتصم بالله فإنه لا شك قد هدى إلى صراط مستقيم، وهو صراط الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

أخرج عبد بن حميد، عن طريق الترمذي، عن أبي العافية، قال

عن الله قصي على نفسه أنه من آمن به هدام، ومن توكل عليه كفاء ومن قرصه حرام، ومن وثق به أجم، ومن دعاه استجاب له، بعد أن يستجيب لله.. قال ترمذي وتصديق ذلك في كتاب الله .

﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ . ( التوبة : ١١ )

﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره﴾ . (الطلاق ٢)

ومن يقرض الله قرضاً حسناً يضاعفه له

﴿ومن يعتم به بالله فقد أهدى إلى صراطٍ مستقيم﴾ .

﴿وفا سألت عبادي عني قاضي قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجبوا لي

ويؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ . (البقرة ١٨٦)

ويقول الله تعالى :

(٠٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

يقول عكرمة رضى الله عنه هي سبب نزول هذه الآية الكريمة

إن هذه الآية نزلت في الأوس والخزرج حين اقتتلوا وأصلح النبي صلى الله

عليه وسلم بينهم.

ويعود إلى قصة قتال الأوس والخزرج، وما يرويه لأن هو جزء من قصته

قتالهم، يضاف إلى ما سبق، وهذا الجزء الذى يضاف إلى ما سبق فإنه يذكره مقاتل

ابن حيان على ما يلى :

كان بين لأوس والخزرج عداوة في الحاهلية وقتال، حتى هاجر رسول الله

صلى الله عليه وسلم، إلى المدينة فأصلح بينهم، فاستحسروا بعده منهم رحلان

ثعلبة بن عثم من الأوس، وأسعد بن زارة من الخزرج، فقال الأوسى منا حريمة بن

ثابت ذو الشهادتين، وما حنظلة عسيب الملائكة، وما عاصم بن ثابت بن أفلح حمى

الدير، وما سعد بن معاذ الذى اهتز عرش الرحمن له، ورضى الله بحكمه هي ننى

قريظة.

وقال الخزرجى منا أربعة أحكموا انقرآن أبى بن كعب، ومعاذ بن جبل.

وربذ بن ثابت، وأبو زيد، ومنا سعد بن عبادة حطيب الأنصار ورئيسهم هجرى

الحديث بينهما فعصيا وأشد الأشعار، وتماخرا، فعاد الأوس والخزرج ومعهم

السلاح، فأتاهم ننى صلى الله عليه وسلم، فأمر الله تعالى هذه الآية

﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ .

وإذا كانت الآية الكريمة نزلت بمناسبة هذا الاختلاف بين طائفتين من المؤمنين، منبهة على أنه إذا اتفق أسلمان سمييهما هالقاتل والمقتول هي البار وأمر المسلمين أن يلتزموا الإسلام، فلا يخرجوا عليه يمثل بعضهم بعضا

بمولى د. كانت الآية نزلت بمناسبة هذا فيها عامه وقد حدث كثير من أسلافها في معانيها - كلمات جميلة نفيسة - ومن ذلك ما ذكره ابن مسعود - رضي الله عنه - قال

﴿ حَقُّ تَقَاتِهِ ﴾ أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر وقال مجاهد هو أن تُعاهدوا هي لله حق جهاد ولا تُحذركم هي الله لومه لائم وتقوموا لله بالقسط ولو على أنفسكم وآبائكم وأساتكم وهي ﴿ حَقُّ تَقَاتِهِ ﴾ يعني وحبُّ تمومه، وهو الصام بنواحيب وحسب محارم

وهنا سبائل وهل يستطيع الإنسان أن يتقى الله حق تقاته ؟

عن ذلك يقول صاحب محاسن التأويل :

لا يتصور أن يكون في هذه الجملة طلب ما لا يستطيع من تقوى بل المراد منها دوام الإجابة لله تعالى وحشيته وعرفان جلاله وعظمته قلنا وقالب وهذا من المستطاع لكل مريد وهو له تعالى

﴿ وَبِمَا سَخَّرَ اللَّهُ مَا سَخَّرْتُمْ ﴾ ( ليعين ١٦ ) أمر بعبادته قدر الاستطاعة، بل تكليف ما لا يطاق إذ ﴿ لَا يَكُفُّ عَنْهُ نَفْسٌ إِلَّا أُصْعِقَ ﴾ انفرد ٢٨٦، وظاهر أن من اتقى بما يستطيعه من عبادة تعالى، وأبواب لجلاله، وأخلص في أعماله، وكان مشغفا هي طاعته، فقد اتقى الله حق تقاته .

وقوله تعالى

﴿ لَا تَقْرَأُ اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾، بين لموله تعالى ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ اهـ



والتقوى طريقها مرسوم إنه طريق رَسَمَهُ اللهُ ورسوله وهو يبدأ بالتوبة الصادقة، وقد بين الله تعالى أنه فتح أبواب التوبة على مصاريعها، يقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده نهاراً ليتوب مسيء الليل، والله سبحانه يقول في حديث قدسي

« يا عبادي بكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستمعوا لي أعمر بكم ».

٩ ١ صدقت توبة استتبعت أمرين

نهما تستتبع رد الحقوق بقدر الاستطاعة، وعلى حسب ما جناح من إمكانات هي الرمان والمكس.

وإذا صدقت توبة استتبع العمل فيقوم الإنسان بالواجبات، وينتهي عن المحرمات.

والتقوى لها ثمارها المحببة.

١٠ الله سبحانه يقول :

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ . (الطلاق ٢ - ٣)

وهي تستتبع معية الله تعالى

﴿ وَاعْمُوا إِلَى اللَّهِ مَعَ التَّقَى ﴾ . (البقرة ١٩٠)

ومن كان لله تعالى معه يسرت به الأمور هي الدنيا ، الأمور و لصبر و تسعة هي الرق، ونظامانية، وهبوط البال، والسكينة.

أما هي الآخرة فإنه الفوز بهرصة الله تعالى

ويقول الله تعالى

{ ١٣ } ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَكَا حِقْرَةٍ مِنَ الَّذِينَ فَاسَدَ قُلُوبُهُمْ كَذَلِكَ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾

وحبل الله تعالى هو القرآن الكريم، كما روى ذلك بسند صحيح عن ابن

مسعود

ويقول أبو سعيد الخدري كتاب الله هو حل الله لعبود من السماء إلى الأرض.

وروى ابن مردويه بسنده، عن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« إن هذا القرآن هو حل الله المتين، وهو النور المبين، وهو لشهداء الساهع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه ».

وهذه المعاني بمصطلها - بوعا ما - سيدنا علي بن أبي طالب يقول عن القرآن الكريم

« عايكم بكتاب الله فيه نأ ما قبلكم، وحير ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل بين بالهرل من تركه من حار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله هو حل الله لمتين وذكر الحكيم والصراط المستقيم، هو لدى لا ريب به الأهواء، ولا يشع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه من قال به صدق، ومن حكم به عدل ومن حاسم به أفلح، ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم ».

وهذا الأمر بالاعتصام بالقرآن الكريم عام لجميع المسلمين، ومن لم يعتصم بالقرآن فيه يكون مخالفاً لأمر الله تعالى، والاعتصام به إنما يكون في العقيدة وفي الأخلاق، وفي التشريع، وفي نظام المجتمع وبأمر الله سبحانه وتعالى بعدم الفرقة ﴿ولا تفرقوا﴾

ويروي الإمام مسلم بسنده، عن أبي هريرة، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال

« إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويسخط لكم ثلاثاً . يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ويسخط لكم ثلاثاً قيل وقال، وكثرة السؤال ، وإصاعة المال ».

ويذكر الله تعالى المسلمين بنعمته سبحانه التي تتمثل في أن أصبحوا بحوانا بعد التفرق والعداوة.

لقد كان العرب هي جزيرة العرب هي عداوة مستمرة، وكانت الأوس والخرج في حرب صيلة عشرين ومائة سنة، بسبب قتل بينهم، وكانت - لا محالة - سببهم ولكن بعمة الله أدركتهم برسول الله، صلى الله عليه وسلم، هالف بينهم ويقول الله تعالى لرسوله في ذلك مبيناً أن من وسائل النصر التآلف والتعاضد

﴿هو الذي يذكّرهم وبالمؤمنين﴾ وألف بين قلوبهم لو أنقبت ما في لأرض جميعاً ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾ الأسفل ٦٦ - ٦٧

وسين الله تعالى لهم أنهم كانوا على شفا حصرة من النار أي على طرف حصره مثل شفا البئر أي حافته - ليس بينهم وبين النار إلا الوقوع فيها، وذلك بمجرد الموت - فأنقذهم الله تعالى منها بكتابه الكريم.

والواقع أن توفيق الله تعالى لرسوله وللمؤمنين هي تحقيق مبدأ لأخوة كان توفيقاً عظيماً، وقد وضع الله تعالى مبدأ الأخوة كأساس للتعامل بين أفراد المجتمع، فقال سبحانه :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِخْوَةٌ﴾ - (الحجرات ١٠)

ورسول الله، صلى الله عليه وسلم، يتحدث بعدة أحاديث هي صلة للمسلم بالمسلم، كلها توصلح معنى لأخوة في الإسلام، وهي أخوة قائمة على المبادئ الكريمة والمثل العليا، فهو يقول

«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلّمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرّج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» . (١)

• (١) متفق عليه

وهي رواية الترمذي

«المسلم أحو النسلم لا يخونه ولا يكذب ولا يحدله، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه الثقوى ههنا بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»

وقال، صلى الله عليه وسلم - فيما رواه الإمام البخارى

« انصر أحدك طالما أو مظلوما . فقدل رجب يا رسول الله ! نصره إذا كان مظلوما أرأيت إن كان ظالما، كيف أنصره ؟ قال « تحجزه، أو تمعه من الظلم، فإن ذلك نصره ».

يقول الله تعالى -

(٤: ١) ﴿وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾

وسدأ فنقول

إن كلمة (من) فى قوله تعالى ﴿وَتَكُنْ﴾ إنما هى للتبعية، أخرجت من لا يستطيعون الدعوة إلى الخير ولا يستطيعون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فعجزهم أو جهلهم أو ضعفهم.

ولأمه كلها إذن - ماعدا من لا يستطيعون - مأمورة بالدعوة إلى الخير، ومأمورة بالأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وذلك أن الآية الكريمة، انتهت بالأمر ﴿وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾.

وهذه الصيغة أمر، لأن اللام فى قوله تعالى ﴿وَتَكُنْ﴾ لام لأمر.

على أن القرآن صريح فى إيجاب الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر على كل الأمة.

يقول سبحانه

﴿كُنْ مِنْكُمْ حِزْبٌ أَوْ أَعْرَضُوا عَنْهُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

وتفاوت استعدادات الناس ومراكزهم فيما يتعلق بمسئولية الأمر بالمعروف

واللهي عن المنكر فعصهم بأمر بيده، أي غير المنكر ويقص في وجهه بالموه وهذه مرتبة الحكام.

ومهم من يتم في وجه المنكر بساؤه، وذلك مرتبة كل عارف، وليست خاصة بطلقة دور طليقة من الناس وذلك أن معرفة الأمل بأن السرقة حرام كمعرفة عدم حرمتها وكذلك الأمر فيما يتعلق بالحرر والاحلاس، أو الاعتصام، والمسئولية تترتب على المعرفة فما دامت هناك معرفة، فهناك مسئولية ولا يحصر في مسئولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو به نعماء الدين فحسب وإنما هي موزعة على كل من يعلم بالمعروف ويعلم بالمنكر

ومن الناس من لا يستطيع أن يقف في وجه المنكر إلا بنفسه وهذه طليقة - ومن كانت في المراتب الأولى طيعة الدين لا يستطيعون الجهاد بسيف، ولا لجهاد بالسيف فإنها هي حقيقة الأمر تتم جميع أفراد الأمة، أي من المجاهد بيده يجب أن يكون في الوقت نفسه مجاهداً بقلبه .

والمجاهد بساؤه يجب في الوقت نفسه أن يكون مجاهداً بقلبه، ويسمى لأنصاف في وضعه لسلم الصادق بانهاء الجهاد للعلن والجهاد للعلن معناه عدم لرضا عن فعل المنكر، ومظهر عدم لرضا إنما هو الاعتراض فاعل المنكر إذا لم يرع ولم يأخذ بالصيحة فإذا كان باحراً لا يشتري لأسلحة منه، وإذا كان مشرباً لا يبيعه، وإذا كان صديقاً يقطع صداقته، فلا يؤاكله ولا يشربه ولا يجالسه وإذا كان مرشحاً لأية هيئة نقابية، مثلاً لا يساعده، ولا يعينه، ولا يتحبه وذلك أن المجاهر بالمنكر محاد لله ورسوله وحرر الدين يحادون الله ورسوله معروف وقد حرم الله سبحانه أن يعقد المؤمن صداقة ومودة بينه وبين الذين يحادون المنكر، فقال سبحانه

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَدُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ  
أَوْ إِبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحِهِمْ وَيُدْخِلُهُمْ  
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا هِيَ  
حِزْبُ اللَّهِ هُمُ الْمُتَّخِذُونَ﴾ (المجادلة ٢٢)

هذا هو الجهاد القلبي إنه ليس جهاداً سلبياً، كلا، وإنما هو في حقيقة الأمر علاج حاسم للمجاهرين بالمنكر، وذلك أن المجاهر بالمنكر، حينما يشعر بنفسه مهين في المجتمع، وحينما يشعر بأن الناس يعتزلونه كما يعتزلون وباءاً حبيثاً، فإنه يعود مضطراً أو مختاراً إلى الجادة

وعن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول

« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده. فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فقلبه، وذلك أضعف الإيمان ».

ولقد بدأت هذه الآية الكريمة بالدعوة إلى الخير،

والخير في الآية الكريمة هو الأخلاق المصالة

والأخلاق هي جو الإسلام مرتبطة بالدين ارتباطاً لا ينفص منه تبع، وعلى أساسه تقوم وعنه تصدر، إنها جزء من الدين الإسلامي، لا يتحرراً مصدرها هو مصدره - إلهي رباني.

وبعض الناس هي العصر الحديث يريد أن يجعل للأخلاق مصادر أخرى.

يريد بعضهم أن يجعل أساس الأخلاق الصمير، بيد أن ذلك خطأ من، فالصمير يرى ويُكوّن، وتربيته وتكوينه هما شكله وشرعته وتجاهه، الذي يتكيف بحسب الثقافة والبيئة والعصر والوسط. أين مثلاً الصمير عند الأمريكي الأبيض بالنسبة للأمريكي الأسود ؟ وأين ضمائر البيض في جنوب أفريقيا بالنسبة لأهل البلاد الأصليين ؟ وأين صمير المستعمر أيما كان بالنسبة للمستعمر ؟ إن الصمير أحياناً يصنع كما تصنع المزيّنات، وهو إذن مقياس للأخلاق خاطئ.

وبعض الناس يريد أن يرجع بالأخلاق إلى المصلحة العامة، ولكن المصلحة العامة كلمة غير محددة، وكل من يتحدث باسم المصلحة العامة إنما يتحدث باسم فكرته هو سواء أكانت هذه لفكرة منحرفة أم ليست منحرفة.

والمصلحة العامة إذن، كأساس للأخلاق إنما هي أساس غير مصحح  
وبعض الناس يريد أن يرجع بالأخلاق إلى المصلحة الشخصية، أو إلى الندة،  
أو إلى المنفعة.

وكل هذا وارد العرب الأوربي، أو العرب الأمريكى، عندما انحرف هذا العرب  
والحد.

أما وارد تشرق الإسلامى أو بعبير أدق، ورد الإسلام الإلهى، فإن مصيـ  
الأخلاق فيه إنما هو المبادئ الدينية، إنما هو آيات القرآن، وإنما هو المصداق الذى  
أوحاه الله، سبحانه وتعالى هذه المصداق التى حدها القرآن فى أسلوب عربى  
مسن، وركزها القرآن والسنة على أسس من لإيمان قوية ثابتة.

ومنها مثلاً

﴿لله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ويبهى عن الفحشاء والمنكر والبغى  
يعظكم على أن تكونوا﴾. (النحل ٩)

ومنها قوله تعالى

﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمعرب ولكن البر من آمن بالله واليوم  
الآخر والملائكة والكتب والنبيين وأتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين  
وبس نهيى والساكنين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا  
عاهدوا، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك  
هم المتقون﴾. (البقرة ١٧٧)

ومن أحسنها، آيات الحميلة حقاً التى تحثهم بها سورة المرقا و لى تبدأ  
بقوله تعالى

﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وذكراً خاطبهم المخلصون قالوا سلاماً﴾

(المرقا ٦٣)

ويصوّل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في شمول وتعميم، كما يروى عن  
مردويه بسند عن أبي حمزة الباقري، قال :

«قرأ رسول الله، صلى الله عليه وسلم

﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾

ثم قال : « الخير اتباع القرآن وصيئتي »

ولقد أمرت الآية لكرمه بالدعوة إلى الخير، ثم أمرت بالمعروف، والنهي عن  
المعكر

وعن هذا المبدأ الإسلامي الأصيل يقول صاحب الإحياء

« أن الأمر بالمعروف والنهي عن المعكر، هو القطب الأعظم في دين، وهذه  
لهم لدى الله في السبيل جمع من ولو طوى ساطعه وأهمل عمله لتعطلت  
العبادة، وأصمحت الديارات، وعمت الفتنة، وهشت الصلاة، وشاعت الجهادة،  
وسبخرى لفساد، وأسع الحرق وحريت اسلاد وهلك العباد، وإن لم يشعروا  
بالهلاك إلا يوم، لتناد «قد كان الذي حصا أن يكون إنا لله وإنا إليه راجعون، قد  
أدرك من هذا القطب عمقه وعمه و معنى بالكلية حقيقته ورسمه واسترسل  
تداس في تبع يهودي ولشبهوات استرسل البهائم، وعرض بساط الأرض مؤمن  
صادق لا بأحد في الله لومة لائم فمن سعى في بلاه هذه المسيرة، وسد هذه  
اشمة ما متكمل بعملها، و متقلدا لتفصيدها محمدا لهذه المسيرة من نرة بهصا  
باعتائها ومتشمر في إحيائها كان مستأثرا من من الحق بإحياء سنة أهصى  
أمران إلى إمامتها، ومعتمد بقرية تصاعل درجات القرب دون دروتها » اهـ

وكما بين الله تعالى المعروف بيانا شاملا في الفرق، الكريم وفي لسنة النبوة  
شريعة هيبة سبحانه من أسكر بيانا شافيا أبصا، ومن جمع الآيات في بيان المعكر  
قوله تعالى

﴿فَمَنْ مَعَاذَ أَنْ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا  
وَلَدَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ بَحْسٍ بِرِءُفَتِكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تُقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا سَطَرُ وَلَا تُقْتُلُوا  
الْأَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ لَا بِالْبَحْسِ دَبَّكُمْ وَصَلَّكُمْ بِهِ بَعْلَكُمْ تَعْقِلُونَ ۚ وَلَا تَقْرَبُوا مَا نَبَى إِيَّاهُ إِلَّا بِالْبَحْسِ



هي احسن حتى يبلغ أسدّة وأزفوا الكيل و لميران بالقسط لا تكف نصب إلا وسعها وإذا قلتم  
 فاعلموا ولو كان ذا قربي وبعهد الله أو فوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون \* وأن هذا  
 صراطي مستقيم فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم  
 تتقون ﴿١٥٣﴾ (الأنعام ١٥٠ - ١٥٣)

وحينما يكون قصد المعروف أو بصدد المنكر حينما يعنى بذلك بيان الإسلام  
 في المعروف ونبيهه هي المنكر، وذلك أن العرب له معروف وله منكراً وقد يختلف  
 معروف العرب ومنكره عن معروف الإسلام ومنكره، وكثير ما يختلفان في الأحلاق  
 وهي الاقتصاد وهي العفيدة، وفي مثل هذه الحال فإنه يجب علينا إثارة الحو  
 الإسلامي إيثراً كاملاً، يقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، هذه الحديث البقيس  
 الحاسم

« والله لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به ».

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من ابتدع في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »

ويقول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

« اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كنتم ».

وصور رسول الله صلى الله عليه وسلم، المجمع ووجوب الاحد على يد  
 المسد فيه - حتى لا يكون الهلاك - بالصورة الرائعة التالية التي رواها الإمام  
 البخاري عن السمان بن بشير، عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال

« مثل القبائم في حدود الله، ونوافع فيها كمثل قوم استهموا على سمية  
 فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استنقوا من الماء  
 مروا على من فوقهم، فقالوا - لو أنا حرقنا أو نصيبنا حرقاً ولم يؤد من فوقنا، فإني  
 تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذنا على أيديهم نحوا ونحوا جميعاً »

وروى الترمذي عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم،

قال

« والذي نفسي بيده لأمرن بالمعروف، وشهون عن منكر أو ليوشكن، أنه أن

يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم ».

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال :  
« فصل الجهاد كلمة حق عن سلطان خائر ».

ولم يد هدد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمة الإسلامية، إذا تهددت في  
الأمر بالمعروف و لنهى عن المنكر فقال، صلى الله عليه وسلم هيم روه أبو دود،  
عن ابن مسعود رضي الله عنه .

إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى «رجل فيقول  
يا هذا، اتق الله، ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يبقاه من لعد وهو على حاله  
فلا يسمعه ذلك أن يكون أكله وشربه وقعيده فلم يفعلوا ذلك صرب لله قيوب  
بعضهم ببعض، ثم قال

﴿فمن لدين كفرو من بني إسرائيل على لسان دود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا  
وكانوا يعتدون﴾ . ( المائدة ٧٨ )

ثم قال « كلا والله لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد  
الظالم ولتأطرنه على الحق أطر ، ولتقصرنه على الحق قصرا، أو ليصربن الله  
بملوك بعضكم على بعض، ثم ليعصنكم كما لعنهم ».

وبعد : فقد بن سيدنا أبو بكر، رضي لله عنه، وحبب الأحد على يد الظالم  
مبيناً الأمر في عابة الدقة في موضوع آية اشتبه على كثير من أساس تفسيرها،  
فعنه رضي الله عنه قل :

« يا أيها الناس، إنكم تفرعون هذه الآية :

﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يصركم من صل إذا هتديتم ﴾

( المائدة ١٠٥ ) وإنني سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم يقول :

« إن أساس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمهم الله  
بفقدانه ».

يقول الله تعالى :

( ٥ ) ﴿ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا رَاحِلًا مِنْ بَيْنِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

أخرج الدارمي بسنده، عن عبد الله بن مسعود، قال

حطّ لنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يوماً حطلاً ثم قال

« هذا سبيل الله »، ثم حط حطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال

« هذه سبيل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه »، ثم تلا

﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ آلِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ( الأنعام ١٥٣ )

وأن من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما رواه الإمام مسلم بسنده عن عائشة رضي الله عنها، قالت إن رسول الله، صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا قام يصلي من الليل

« اللهم رب حنّين وميكائيل وإسراييل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أسألك بحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم »

والمراد الكريم صلى بالآيات في تحت على الاتحاد وعدم الصفة، إنه سبحانه وتعالى يقول

﴿ وَلَا تَزَعُوا فِى فِئَتِكُمْ وَتَقُولُوا نَحْنُ صَابِرُونَ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

( الأنفال ٤٦ )

وبعوض الإمام ابن تيمية موقف السلف فيقول :

« إن لسلف كان اعتصامهم بالقرآن والإيمان فيما حدث ما حدث في الأمة من التصرف والاختلاف، صار أهل التصرف والاختلاف شيعاً، وعمدتهم في الباطل ليست على القرآن والإيمان ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم عليها يعمدون في التوحيد والصمات، ولقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك - ثم ما قلنا أنه يوقها من القرآن حتجوا به، وما حلفها تأولوه، فلهذا تحذروهم إذا احتجوا بالقرآن ولحديث لم يعتوا بتحرير دلائلهم، ولم يستقصوا ما في القرآن من ذلك المعنى

إد كان اعتمادهم في نفس الأمر إلى غير ذلك والآيات التي تحالفهم بشرعور هي تأويلها شروع من قصد ردها كيف أمكن ليس مقصوده أن يفهم مراد الرسول، بل أن يدفع مبارعته من الاحتجاج بها «، ثم قل :

« فعلى كل مؤمن ألا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به لرسول ولا يتقدم من بعده، بل ينظر ما قال، فيكون قوله تبعاً لقوله، وعلمه تبعاً لأمره، كما كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين، فلماذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمقوله، ولا يوسوس ديد غير ما جاء به الرسول وإذا نرد معرقة شيء من الدين والكلام فيه : نَظَر فيما قاله الله والرسول همه يسمع، وبه يتكلم، وبه ينظر ويتفكر وبه يستدل، فهذا صل أهل السنة »

ولقد أخرج ابن مردويه أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال

« ادخلو عليّ، ولا يدخل عليّ إلا قرشي » فقال -

« يا معشر قريش أنتم الولاة بعدى لهذا الدين، فلا تمونن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً، ولا تفرقوا، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، وذلك دين القيمة »

والواقع أن التفرق والاختلاف لهما أسباب

منها : التراع على الأشخاص - الذي انبثق منه أحزاب دنية تمثلت في المبدأ هي أنصار عليّ - كرم الله وجهه وأنصار خصومه - وستمزحرب عليّ رضي الله عنه ثلاث وإن اندثرت الأحزاب التي وقعت في وجهه في أول الأمر، وهو الخوارج والسفياييون

بيد أن الملاحظة لسهلة هي أن الإسلام كعقيدة - لا دخل له في الأشخاص باعتبارهم أشخاصاً، وليس فيه إلا شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ لرسالة، وأدى الأمانة وانتقل إلى لرفيق الأعلى راصياً مرصياً.

أما غيره من الأشخاص، فليس الأمر فيما يتعلق بهم، ركن من أركان الإسلام.

ومع ذلك فقد وردت الأحاديث في مدحهم أوصافاً ومهاجرين، و أسلم من أهل السنة يقول دائماً بشأن ما وقع من خلاف بن الصحابة

تلك دماء ظهر الله منها سيوفها، فيحب عينا أن يظهر أئمتنا من الأحداث بالسوء عنها

وقد اجتمع مرة أصدقاء الامام الكبير سفيان الثوري بعد وفاته وأحدو يتحدثون عن مفاصله، مفاصله، ولد سكبوا، قال فذكر إلى لأعظم مفاصله من أكرم مفاصل لم يذكروها فصغت إليه الآذان، وهمت إليه الأفتدة، فقال

« سلامة صدره بالسنة لأصحاب محمد، صلى الله عليه وسلم » .

وسلامه، بصدر على وجه العموم من الأمور التي وردت فيها، لاخبار الطيبة و البشريات الكريمة لم تسمعوا، بها على أخبار الصحابة رضوان الله عليهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بشر أحد الصحابة بالحج من مبعث من المحاسن ودعت هذه البشريات رجلاً آخر أن يعرف سبب هذه البشريات طيلة ثلاثة أيام يعمد عباده ومعاميته، فلم يجد منه شيئاً حارقاً لقد وجد يصلي كما يصلي صحابه في خشوع وبنام لله، وإن كان يستيقظ من البحر يذهب بالعبادة والاسقام، كما يصل الصحابة ويعمل بالنهار لكسب حياته وقد يعمل كل صحابي

وإن هذا السبب العادي مما تثار دهشة الضيف كيف حظي بالبشريات ولا سهر ولا حد في العبادة أكثر من أداء الفرائض فمأله بعد هذه المدة التي قصاها في صداقته ما سبب هذه البشريات من رسول الله، صلى الله عليه وسلم بالحج ؟ فأخبره لرجل أنه لا يبيت وفي صدره شيء لأحد من المسلمين، وإنما يبيت وهو سقيم لصدره بالنسبة لكل مسلم ونحن الآن في أشد الحاجة بالنسبة لهذا النوع من سلامة صدر وذلك أنه ما زال هناك قوم يسبون بعض الصحابة رضوان الله عليهم من يصل بهم الأمر إلى الحديث لدى لا يلقى ممن قال له رسول الله، صلى الله عليه وسلم لا تحزن، إن الله معكم و معكم أجمع لله به الاسلام وعن كثير عزمهم من بصير الله بهم دينه وأحبهم رسوله، وبشر لبعض منهم بالحج

ويعتد فإن هذا النوع من أسباب التفرق ولاحتملاف إنما كان بسبب الأشخاص، وهو أشبه بالسياسة منه بالدين.

وإذا كان هذا الموضوع مازال محتاجا إلى مزيد، يصاح فيما يتعلق بالأسباب التي تتصل بالدين

يقول الله تعالى :

(١٠٦ . ١٠٧) «يَوْمَ نَبِّضُ حُوءَ وَسُودَ رُجُوءَ فَأَمَّا الدِّينُ اسْوَدَّ وَحُوءُهُمْ أَكْثَرُ مِنْ  
عَدُوِّكُمْ فَدَعَوْا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ» وَأَمَّا الدِّينُ ابْيَضَّتْ وَحُوءُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ  
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٦﴾

**يَقُولُ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ :**

« قال أهل المعاني : بياض الوجوه ، إثرائها واستبشارها وسرورها بعملها  
وبثواب الله تعالى واسودادها : حربها وكآبتها وكسوفها بعملها وبعباد الله ، يدل  
عليه قوله تعالى

﴿يَسِيْرٌ حَمِيْدٌ اَلْحَمْسَى وَرِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوْهُهُمْ قَتَرٌ وَلَا دَلَّةٌ﴾ (ييسر ٢٦)

وقال تعالى ﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة﴾ (يونس ٢٧)

وما قال ﴿وَجِئُوا يَوْمَ النَّاصِرَةِ﴾ إلى ربها ناظرة ﴿وَجِئُوا يَوْمَ النَّاصِرَةِ﴾

1991 44 : 21-22

وقال ﴿وَحِوَةَ يَوْمَئِذٍ مُّسْفَرَةٍ﴾ \* ضاحكة مُّسْتَبْشِرَةٍ \* وَوَحْوَ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ \*  
تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ \* أُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿الْجُزْءُ ١٠﴾ ١ هـ. [ص ٢٨ - ٤٢]

والذين تبئص وحوههم هم المخلصون أما الذين تسود وحوههم هابهم أهل  
المتاع وأهل الثراء، وكل من يعمل العمل يريد به غير الله تعالى

وإذ كان الدين مودت وحوههم يكتون ويؤسون، ويتهى بهم الأمر إلى السر  
كفرهم فإن لدين ليصت وحوههم هي رحمة الله هم هيها حلدون

(١٠٨) ﴿بَلِّغْ بَلَّغَاتِ اللَّهِ تِلْوَهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يَرِيدُ ظَلَمَ لِلْعَالَمِينَ﴾

(١٠٩) ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَبِإِذْنِ اللَّهِ تَرْجَعُ الْأُمُورُ﴾

من ما تلوها عليك إنما هو آيات الله أي دلائله وإرشاداته والميسر لتي  
أوحاه إلى رسوله، صلى الله عليه وسلم، واضحة بنية، وهي كلها حق لا مزية فيه،  
وإذ كان لله سبحانه يوحد إنساناً فإياه يؤاحده بما كسبت يداه، وما كان ريك  
مضلام للعبيد

ولا حاجة لله سبحانه إلى ظلم وهو العلى الذى له منك وبصرى ما  
فى السماوات وما فى الأرض، ولله يرجع الأمور كله.

(١١٠) ﴿كُنْتُمْ حَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِرُونَ  
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَلَا يَكُنَّ الْكُتُبُ لَكُمْ خَبَرًا لِمَنْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

(١١١) ﴿لَنْ يَصْرِحَ بِكُمْ لَا أَدَى وَإِنْ يَقْنُتُوكُمْ يُؤْذِرْكُمْ الْأُدْبَارُ ثُمَّ لَا يَصْرِحُونَ﴾

(١١٢) ﴿صَرِيتَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ أَيْنَ مَا يَقْفُوا إِلَّا بِحِيلٍ مِنَ اللَّهِ وَحِيلَ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا  
بِعَصْبٍ مِنَ اللَّهِ وَصُرِبَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ  
بَغْيًا حَقَّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾

### يقول الزجاج

« قوله : ﴿ كُنْتُمْ حَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ ، الخطاب فيه مع أصحاب رسول الله ، صلى الله  
عليه وسلم ، ولكنه عام فى كل أمة ، وبظيهر قوله ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ (البقرة ١٨٢)  
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقَصَاصُ ﴾ (البقرة ١٧٨) ، فإن كل ذلك خطاب مع الحاضرين بحسب اللفظ  
ولكنه عام فى حق الكل كذا ههنا عن بهر بن حكيم ، عن أبيه ، عن حماد ، أنه سمع  
الرسول صلى الله عليه وسلم يقول هو قوله تعالى ﴿ كُنْتُمْ حَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾  
قال أنتم تتمون سبعين أمة أنتم حيرها وأكرمها على الله تعالى »<sup>(١)</sup>

(١) خرجه الترمذى وقال : حديث حسن

## ويصون الإمام الخارون :

وأصل الأمة الجماعة المجتمعة على شيء، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم هم الجماعة الموصوفون بالإيمان بالله عز وجل وبمحمد صلى الله عليه وسلم. (ح)

عن أبي هريرة، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
« كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن أبى؟ قال من طاعني، حل الجنة ومن عصاني فقد أبى ».

وعن ابن عمر، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال  
« إن الله لا يجمع أمتي - أو قس أمة محمد، صلى الله عليه وسلم - على صلاة، ويد الله على الجماعة، ومن شذ شذ في النار » (١)

وقوله تعالى ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾  
بما هو بيان وتعليل لهذه الحيرة.

لقد حدد الإسلام - تسميته نفسها - رسالة لأمة إسلامية بأنها  
« لإسلام »، أو هي أن تسمي الإنسانية وجهها لله، ولقد كتب الإسلام الأمة الإسلامية بذلك، ووضع مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موضع لمبادئ المدينة المنورة، بل جعله من الأسس التي تقوم عليها حبرية لأمة إسلامية وتميزها عن غيرها فالأمة الإسلامية حبرية أخرجت للناس لأنها تأمر بالمعروف، وتنهي عن المنكر، وتؤمن بالله

ويلاحظ - من ترتيب الآية الكريمة - مدى لاهتمام الكبير بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد ذكرها الله سبحانه قبل الإيمان به ليمتد الأدهان على هميتها، وإن كان من المعوم أن الإيمان بالله أساس كل عمل صالح، وأنه بدون لا تكون النجاة ولا الملاح.

وفي مصابيل ذلك بلغ الله نبي كسرو من بني إسرائيل لأتباعهم ثم يكومو بتنهون عن منكر فعلوه، يقول تعالى

﴿يَعْنِي الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنِ يَسَاقِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ كانوا لا يتنهون عن منكر فعلوه ليس ما كانوا يفعلون ﴿ (مائدة ٢٨ - ٢٩)

(١) حرجه الترمذي



وعن ابن مسعود رضي الله عنه - فيما رواه الإمام مسلم - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال

« ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بميثاقه ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويتبعون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بیده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل »

ر. الدين الاسلامي رساله أوجب الله بشرها وإداعتها على الأمة الإسلامية

وكما أوجب الله بشرها وإداعتها على الأمة الإسلامية في جانب العقيدة، فقد وجب بشرها وإداعتها في جانب الأخلاق، في جانب الخير في جانب المصلحة، في جانب العدالة، في جانب الرحمة، وهذا الحديث الشريف يبين لأصل من الأصول الإسلامية الكبرى في إصلاح المجتمع، وفي التقييم عن توجيهه، الترخيه الصحيح

والمجتمع أي مجتمع كان تختلف إمكانيات أفرادها بحسب أوضاعهم وأماكنهم في المجتمع فبعض الناس مسيطرون مهيمون، في أيديهم سلطة القانون وسلطه تتمسده وهؤلاء عبيدهم وأحب الجهاد باليد، أي بسلطة القانون لدى أيديهم، وأن يقوم جهادهم على أساس من الدستور الإسلامي، وهو الأمر الكريم، وسنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، العولية والعملية.

وبعض أفراد المجتمع، هبأ الله لهم حو المعرفة والعلم فجهدوا من هذا الناحية العبد، وهؤلاء عليهم أن يشعروا بالمصلحة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا عن طريق لوعطه والافتناع والصححة والبرهان.

وتأتي بعد ذلك الطبقة التي تجاهد بقلبيها

وهذه الطبقة وإن كانت - في المرتبة الأولى - صفة الدين لا يستطيعون الجهاد باليد ولا لجهاد باللسان فإنها في حقيقة الأمر تعدم جميع أفراد الأمة. أي من المجاهد بیده يجب أن يكون في الوقت نفسه مجاهد بقلبه<sup>١</sup>

١- جاء في الأصول في مجاهدة بغير عمد تفسير قوله تعالى «ووسكن منكم منة بضمون من تخير ويأمرون»

ما قوله تعالى

﴿لَنْ يَصْرُوكُمْ إِلَّا أَدَىٰ وَبٍ يْقَانُوكُمُ يُؤَلُّوكُمُ الْأَدْيَارُ ثُمَّ لَا يَصْرُونَ﴾

هــد قال مقاتل :

« إن رؤوس اليهود عمدوا إلى من آمن منهم، كعبد الله بن سلام وأصحابه، هأدوهم، فأمر الله تعالى هذه الآية أي لن يصرؤكم أيها المؤمنون - إلا أدى باللعن »

وهذا ما كان من التهديد والطمس في الدين والتشكيك فيما أمر

« ما إذا قاتلوكم هربهم سيصرون مهزمين، ثم لا يصرؤن وذلك أنه صرّب عليهم أدلة حيثما وجدوا، ولا يتحصون منها إلا بالإيمان الصادق بالله ورسوله أو بأمان وعهد من الناس، وهم دائماً في عصب من الله ومقت منه وهذا صرّب عليهم المسكنة، أي أحاطت بهم كما يصرّب الحناء على أهله، أو كما يصرّب سبب على ساكنيه وكأنهم يمسكون في المسكنة لا يحرّجون منها،

إما السبب في ذلك فهو كرمهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق، كما قتلوا يحيى وعير،

بـ ما نالهم وما ينالهم إنما لانهم ﴿عصوا وكانوا يفتنرون﴾

(١١٣) ﴿ليسوا سوء من هي الكتب أمة قائمة بتتواتر آيات الله ناء الليل وهم يسجدون﴾

(١١٤) ﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسجدون في الحيراب وأولئك من الصالحين﴾

(١١٥) ﴿وما يعملوا من خير فلن يكفروه ولله عليهم بالمتقين﴾

إن أهل الكتاب حينما سمعوا الدعوة اختلفوا إلى فرقتين هرة نقيب على ما هي عليه مستمرة هي عينا متبعة تقاليدها، ولم تستعمل فكرها وحريرتها في لتصر، حقيقة في صلالها.

وهرة أخرى يعبر عنها القرآن بكلمة ﴿ أُمَّة ﴾ ويصف هذه الأمة بأنها :﴿قائمة  
بمراتب الله﴾ أثناء الليل هي هدوء وطمأنينة، ويتلوه وهم يصلون

يقول حمر لأمة ابن عباس ﴿قائمة﴾ . أى مهية، قائمة على أمر الله تعالى،  
لم يصيغوه ولم يتركوه.

وقال مجاهد : عائدة.

وهذه الأمة من أهل الكتاب الذين أسلموا يؤمنون بالله إيماناً صحيحاً،  
ويؤمنون بأيوم الآخر على الوجه الصحيح، وقد قوى إيمانهم فكان من ثمار ذلك  
أنهم يأمرؤ بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في فعل الخيرات، حتى لا تفوتهم  
الفرصة المؤقتة، إذ إن الإيمان لا يرى ما يحمله المد في صيائه، وإيمان لمن  
الصالحين

وكل ما بمعنوه من خير مسجل لهم في سجل حسباتهم وسيوفون أحورهم  
غير مقوصة، والله عليم بالمتقين.

(١١٦) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ لَدُنْ شَيْئاً رَأَوْا كُنْ  
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

(١١٧) ﴿بَشُرْ مَا بَعَقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ  
ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ .

إن الله سبحانه أرسل الرسل بالدلائل والآيات البينات، فمن آمن فقد  
استجاب لله تعالى ورضى عنه ومن كفر هلن يحول بينه وبين عب الله تعالى فدية  
من مال أو بصرة من ولد ومن كفر همصيره إلى النار خالد فيها، ومن كفر فقد  
حبط عمله، ومثل ما يعمق من بقة هي أعمال لبر، كمثال ررع تقوم ظلموا أنفسهم  
بالكفر والمعاصي أصابته ربح شديدة البرودة والصبر شدة البرودة فأهلكته

و لحو للإسلامي قرأنا وسة، يرشد إلى أن من أسباب الكوارث الأساسية  
الذنوب وقد سه الله تعالى على ذلك أكثر من مرة ونس الرسول، صلى الله عليه  
وسلم، على ذلك.

ولقد أرسل سيدنا عمر رضى الله عنه إلى أحد قواده ينيه بنى حطيرة معاصى الحبود، وأنه إذا ارتكبت المعاصى وهشت فى الحيش كانت الهريفة، وكل من ارتكب إثم فأصابه كارثة فإن الله سبحانه وتعالى لم يظلمه بالكرثة ﴿ولكن أنفسهم يظلمون﴾

(١١٨) ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتحدوا بغيركم لا يأتوكم حبالا ودواما عسى قد بدت البغضاء من أفواههم وما يحفى صدورهم أكبر قد بين لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾  
 (١١٩) ﴿ها أنتم أرلاء تحببهم ولا يحبكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا بقوكم قالوا أما وإذا حلوا عسوا عليكم الأنامل من العيظ قل مؤنوا بغيركم إن الله عليم بذاات الصدور﴾  
 (١٢٠) ﴿إن تحسبكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط﴾

### المفردات :

﴿لا يأتوكم حبالا﴾ لا يقصرون عن أن يقولوا إليكم بالشر والحقان هو الشر  
 ﴿ودواما عسى﴾ . أحبوا عنكم، والعنت المشقة

### يصول الإمام ابن عباس .

كان رجال من المسلمين يؤصلوا اليهود لما بينهم من القرابة ولصداقة ولحلف، وانجوار، ولرصاع فأمر الله عز وجل هذه الآية وبهاهم عن صايطتهم خوفا المنة عليهم  
 والبطانة . خاصة لرجل، ومن يسر إليهم بأسرارهم.

ولاية الكريمة، وإن كان سبب توليها خاصا، إلا أن معاصها عام فهي تحذر المؤمنين وتهيهم عن اتحاد لبطانة من غيرهم، لأن هذه البطانة وإن أظهرت المودة فيها تسر لشر، ولو لاحظتهم المسمون في رقة لرأوا العدووة يظهر في كلماتهم وإن ما تحميه صدورهم من الشر واليغصاء لأكثر معا يظهر على ألسنتهم

ويحتم الله تعالى الآية الكريمة بقوله

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾

ومن إيمان المسلم أن يؤمن بالكتب كلها التي نزلت على الرسل صلوات الله وسلامه عليهم

فالإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ١١، تؤمن بما يقدر

وأراد هي الآية الكريمة بالكتاب : حسن الكتب

والإيمان بالكتب معناه أن الله تعالى أنزل على رسوله كتباً بيد أن هذه الكتب بعضها ابتدئ، وبعضها غير فيه وبدل.

والفرق هو المهيم عليها، المبين للصحيح الصادق منها. وقد قال الله تعالى  
عنه

﴿إِنَّا نَحْنُ بَرُّنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ . (الحجر ٩)

وَمَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿عَصُوا عَلَيْكُمُ الْأُمَمِلَ مِنَ الْعِظِ﴾ فمعناه أشد عيظهم شدة عظيـمه

وهم في عداوتهم لا يحسبون لكم الخير ، فهم يحربون إذا رزقهم الخير ويصرحون ١٣ : "صانكم السيئة وإن تتحدوا" الصبر شعاعاً فإن مكرهم لا يصركم هي قتل ولا كثير هالكة تعالى بكل ما يعملون محيط، وهو سبحانه مع الصابرين وقد قال سبحانه ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ . الإيمان ٢ أي يرد مكرهم عليهم

( ١٢ ) ﴿وَإِذْ غَرَوْتُ مِنَ أَهْلِكَ نُبُوًّا الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ بُنْيَانٍ وَ لِلَّهِ سَمِيعٌ عَلَيْهِ﴾

(١٢٢) ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتٌ مِّنْكُمْ أَن يَهْشِلُوا بِهِ وَلِيَهُمْ وَعَنِ اللَّهِ فَيَتْرَكُوا لِمُؤْمِنُونَ﴾

﴿وَإِذْ غَرَوْتُ مِنَ أَهْلِكَ﴾ ورد أصبحت خارج من عند أهلك ﴿سُورَى لِمُؤْمِنِينَ مَّقَاعِدَ لِلْقَبْلِ﴾ نزل المؤمنين في أماكنهم التي بدأوا المعركة منها ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾  
لأقو لكم ﴿عليهم﴾ ببياتكم وصماتكم

﴿ ذهبت طائفتان منكم أن نقشلا و نسله وليهما ﴾ . أما الطائفتان السال همت  
بالمشعل فصر حاصر رضى الله عنه قال سزلت هيل ﴿ ذهبت طائفتان منكم أن نقشلا  
والله وليهما ﴾

قال نحن الطائفتان، سو حارثة وبنو سلامة وما يسرى أنها لم تزل  
م قولة وما يسرى أنها لم تزل، هيل ذلك لقول الله فى الآية الكرمة  
﴿ الله وليهما ﴾، هلى ذلك بشرى بأن لله وليهما .

وأن ما حصل منهم لم يجرهما من ولاية لله تعالى، فيه ما كان إلا هما لم  
بصع

وهاتان الآيتان تتحدثان عن موقعة أحد، يقول أصحاب السيرة

« عدا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من منزل عائشة، رضى الله عنه،  
يمشى على رجليه، إلى أحد، فجعل يصف أصحابه لقتال كما يقوم المدح » .

قال محمد بن إسحاق، والسدى، عن رجالهما إلى لشركين بزلوا بأحد يوم  
الأرماء، فلما سمع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، سرولهم استشار أصحابه  
ودعا عبد الله بن أبى بن سلول، ونم يدعه قط قبلها واستشاره فقال عبد الله  
ابن أبى وأكثر الأنصار يارسول الله أقم بالمدينة لا تخرج إليهم، هو لله ما خرج  
إلى عدو قط إلا أصاب ميا، ولا دخلها عيبا إلا أصبنا منه فكيف وبت فيها  
مدعهم يا رسول لله، هيل أقاموا أقاموا بشر محسن، وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى  
وحولهم، ورمدهم لساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجمو رجمو حاشين،  
فأعجب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، هذا الرأى، وقال بعض أصحابه يارسول  
الله، اخرج بنا إلى هذه الأكلب لا يرون نا حننا عنهم وضعف، وقال رسول الله،  
صلى الله عليه وسلم

« بن رأيت فى مامى نقرأ مدبوحة، فأولتها حيرا ورأيت فى دباب سيمى  
ثلما، فأولتها هريمة ورأيت أبى أدخلت يدي فى درع حصينة فأولتها المدينة، هان  
رأيتهم بن تقيمو، بالمدينة، وكان يعحه أن يدخلوا عليهم بالمدينة، فيقاتلوا فى الأرفة  
فقال رحل من مسلمين ممن قاتلهم يوم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد حرج

بما لى أعدائنا، فلم يردوا برسول الله، صلى الله عليه وسلم من حبيبهم بقاء القوم حتى دحر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فليس لأمتهم ههنا رأوه قد لبس السلاح بدموا، وقالوا شئ ما صنعنا بشير على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والوحي يأتيه.

ههنا ما اعتدروا إليه، وقالوا .

اصبح ما رأيت.

فقال صلى الله عليه وسلم . « لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيصعها حتى يقاتل » وكان قد أقام المشركون بأحد يوم الأربعاء و لخميس، فخرج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يوم الجمعة بعد ما صلى بأصحابه الجمعة وهدمات في ذلك اليوم رجل من الأنصار فصرى عليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ثم خرج إليهم فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة، فكان من حرب أحد ما كان، فذلك قوله تعالى .

﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ . أى : واذكر إذ غدوت من أهلك

(١٢٣) ﴿وَبَقِيَ صِرَاطُكَ اللَّهُ بِدِرْ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾

(١٢٤) ﴿وَدَقُّوا بِمُؤْمِنِي آلِ يَكْفِيكُمْ . يمددكم ربكم ثلاثة آلاف من الملائكة

مركبين﴾ .

(١٢٥) ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يمددكم ربكم بخمسة آلاف

من الملائكة مسومين﴾ .

(١٢٦) ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا الْمَسْرُورُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

الغريب انحكيم﴾

(١٢٧) ﴿لِيُضَعَّ طَرَفًا مِنْ أَيْدِي كُفْرًا أَوْ يَكْتَسِبَهُمْ فَيَقْبَلُوا حَاسِبِينَ﴾ .

(١٢٨) ﴿لَيْسَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ شَيْءٍ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَرْ يَعْدِيهِمْ فَيُهْمُ ظَالِمُونَ﴾ .

(١٢٦) ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ مَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ

غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿

بعد أن تحدث الله سبحانه عن عروة أحد، وهي العروة التي يداها هيها أن  
لحيش الإسلامى قد هزم. أحد يذكر المؤمنين بعمه عليهم في بدر ليبس لهم أن  
الهريمة بم تكرر تحلياً عنهم

وعروة بدر هيها كثير من العذاب والعبر بعد سبشار لرسول صلى الله  
عليه وسلم، مسلمين قبل حوص المعركة وكان في لسمين شجاعة، وكان فيهم ثمة  
في الله تعالى، وكانت شجاعتهم مسمدة من ثمتهم في لله سبحانه كان إيمانهم  
قويا وكلما كان لإيمان قويا انمر الشجاعة ومن صالح الدوة أن تشر إلى  
الإيماني إذا أردت أن يكون حيشها قويا شجاعاً وما من شك في أن كل من يمل  
باسوب أو بحر على صعب الإيمان في النمس حائن لوطيه كما هو صرو لديه،  
ومن حاسن لسمهم ووظتهم هؤلاء الذين يشررون الصور الخلدعة و يبحون  
لأفلام البسده أو يشررون كتب الحسن، أو يؤلمونها، أو يبعون إلى الآراء المسوردة  
التي تنافي الإيمان.

وبعد فنقول إن الرسول، صلى الله عليه وسلم، استشار أصحابه في حوص  
المعركة، فقام المقداد بن عمرو وقال

يا رسول الله، امض لما أُرث الله، فبحر معك. والله لا نقول لك كما قالت بنو  
سريئيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك  
فقاتلا إنا معكما مقاتلون

هو، لدى يفتك بالحق! لو سرت بما إلى برك انعماد - ورك العماد : مكان  
بأخصي لبس - لخالديا معك من دوة حتى تبلىه

جد الموقف من مقداد بن عمرو تمنى من مسعود رضى الله عنه أن يكون  
صاحبه

روى عنه أبو نعيم، أنه قال في ذلك شهد من المقداد بن عمرو مشهدا لأن  
أكون صاحبه أحب إلى مما عدل به



ولما قال المقداد ذلك قال له رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حيراً، ودعا له به  
وسم يكن، أنصبر قد أبدوا رأيهم بعد، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم  
أشيروا على أيها الناس - وإنما يريد أنصبر، وذلك لأنهم هم الأكثر عدداً ولأنهم  
من جانب آخر حين تابعوه بالعقبة قالوا :

« يا رسول الله، إنا نراء من دمامك حتى تصل إلى دودنا، فإد وصت إلينا  
فأنت في دمامنا، تمنعك مما تمنع منه أبائنا ونساءنا »

فكان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يحوف 'لا تكون أنصبر ترى عيبها  
نصبره إلا ممن رآه من يديه من عدوه وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى العدو خارج  
ببلاده

فحين قال ذلك رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال به سعد بن معاذ

والله لكأنت تريدنا يا رسول الله ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن

قال سعد، رضى الله عنه

هو أنما بك وصدقائك وشهدنا أن ما جئنا به هو الحق وأعطيناك على ذلك  
عهودنا وموثيقنا على لسمع واطاعة، فامض يا رسول الله ما أمرت فبحسبنا  
هو الذي عثقت بالحق لو سترت ما هذا البحر لحصاه مائة ما يخف من رحل  
وحد وما يكره أن يلقى عدواً، إنا لنصبر في الحرب صديق في لقاء لعل الله  
بريك مما ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله

وقال سعد أيضاً، حسبما رواه ابن كثير :

ولعل أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله عبره فانظر الذي حدث لله إليك  
فامض، فحصل حبال من شئت، واقطع حبال من شئت، وعاد من شئت، وسألم من  
شئت، وحد من أموات ما شئت

فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم، بقول سعد كما سر من قبل رسول  
المقداد، رضى الله عنهم أجمعين

وكانت نتيجة الثوري العزم على حوص لمعركة، فلما استقر الأمر على الرسول  
في مكان معين، تقدم الحباب بن المنذر وقال

يا رسول الله، أرايت هذ المنزل، أمرا لا يرككه الله ليس له أن يتقدمه ولا  
يتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟  
قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة.

فقال يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء  
من القوم، فسيرله ثم تعور ما وراءه من القلب، ثم سى عليه حوصا فضمؤه ماء ثم  
يقاتل القوم، فشرب ولا يشربون

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لقد أشرت بالرأي.

صهض رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن معه من الناس، فسير حتى إذا  
أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقبض هعورت وبى حوصا على الصييب  
لدى نزل عليه، فعلى ماء، ثم قدقوه فيه الآية

وحاء نصر الله باهر قويا وصاء، وعلى خلاف كل ما كانت تتوقعه لحريرة  
العربية لقد نصرهم الله وكابوا أدلة نصرهم بإيمانهم، ونصرهم لإيمانهم، ثم أحب  
أن يسهم إلى الشكر واقتصاهم بهد التسيه شكره فكان الشكر الذي اقتصاه ريادة  
في الشعور لإيمان به لتقوى وكانت التقوى هي الشكر على البصر

ويحاطب الله تعالى رسوله مذكرا له بقوله لمؤمنين

﴿إِن يَكْفِكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْسِلِينَ﴾

يقول قتادة عن الإمام المذکور فی الآیه الکریمه .

« كان يوم بدر أمدهم الله تعالى بألف من الملائكة كما قال »

﴿فَاسْتَجَابَ نَكَمُ أَنِّي مُمَدِّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْسِلِينَ﴾ الأسفل ١٩٠ . ثم صاروا ثلاثة

الاف، ثم صاروا خمسة الاف، كما ذكرها ابن شلث الاف من الملائكة مرسلين ﴿بَلَى إِنْ

صبروا وانتصروا ربّائكم من قورهم هذا يُمددكم ربّكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴿١٣٠﴾  
صبروا يوم بدر واتقوا، فأمددهم الله بخمسة آلاف من الملائكة كما وعد

وهذا «يوعدهم» المدد هو بشرى للمسلمين، ولأجل أن تصمّش قلوبهم إلى  
رعايته لهم ولكي ذلك ليس هو السبب الحقيقي في النصر فإن «صبر» يرجع  
إلى الله وحده كما أن كل الأمور بيد الله يسيرها بحكمته.

ومن حكمته في هد النصر أن يقضى على حملة من رؤوس الكفر، ومنهم  
أبو جهل ﴿١٣١﴾ ليقطع طرفاً ﴿١٣٢﴾ أي يهلك طائفة.

ثم يعقب الله تعالى على ذلك بموله لرسوله ﴿١٣٣﴾ ليس لك من الأمر شيء..... ﴿١٣٤﴾  
وعقبة المؤمن أن ليس يُشتر مع الله شيء، فهو سبحانه الذي يتوب على  
البعض، ويعذب البعض بظلمهم، وله سبحانه كل ما في السماوات وكل ما في  
الأرض، يغفر لمن يشاء برحمته، ويعذب من يشاء بعذابه وهو الغفور الرحيم

﴿١٣٥﴾ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَتَقُوا لِلَّهِ لَعَلَّكُمْ تَذَلُّونَ ﴿١٣٦﴾

﴿١٣٧﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣٨﴾

﴿١٣٩﴾ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٤٠﴾

﴿١٤١﴾ وَاصْرَعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ

لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٤٢﴾

﴿١٤٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْعَقِيلُ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ

يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٤﴾

﴿١٤٥﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاَسْتَغْفَرُوا بِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ

يَعْمُرْ تَابُوتَ إِلَّا اللَّهَ وَنَمَّ يَصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾

﴿١٤٧﴾ أَوَلَيْكَ جِزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٤٨﴾

(١٢٧) ﴿ قَدْ جَاءَ مِنْ رَبِّكُمْ رَسُولٌ لَكُمْ لِيُظَاهِرَ الْأَرْضَ فَسْلًا وَمَا تَكُنْ مِنْ الْغَائِبِينَ ﴾

﴿المكذِبِينَ﴾

(١٢٨) ﴿ هَذَا بَيَانُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

بعد أن تحدث سبحانه عن ثريا و ثريا من سمات قساة القلوب تحدث سبحانه عن سمات المتقين وبدأ سبحانه الحديث مخاطباً لهم، أمراً أن يبادروا إلى ما يوجب المعصرة فغير سبحانه عن المبادرة إلى الأسباب، بالمبادرة إلى المعصرة نفسها والمبادرة إلى المعصرة مسارعة إلى الجنة وهم يقل سبحانه

ثم إلى حنة وإبما قال ﴿ وحنة ﴾، كأن المعصرة والحنة لا بعد بينهما حتى يفرق بينهما بضم.

أم أسباب المعصرة فهي وإن كانت كثيرة، إلا أنها تعود جميعاً إلى التوبة الصادقة

ولقد فتح الله كثيراً من الأبواب سدحول منها إلى المعصرة، ولحنة ومن هذه الأبواب

« من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه »<sup>(١)</sup>

« من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه »<sup>(٢)</sup>

« من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه »<sup>(٣)</sup>

« من حج فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه »<sup>(٤)</sup>

« من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه »<sup>(٥)</sup>

---

(١) رواه الشيخان

(٢) رواه الشيخان

(٣) رواه الشيخان

(٤) رواه الشيخان

(٥) رواه مسلم

﴿ يا تبارك الله يجعل لكم فرغاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويعمر لكم ﴾ (الأَنْعَامُ ٢٢٦)

ورحمته لله أوسع من ذلك بكثير، وهو سبحانه القائل :

﴿ والله رءوف بالعباد ﴾ . (الْعَمْرُؤُ ٣٠)

والحبة التي أمر الله تعالى بالسارعة إليها عرصتها لسموات و لأرض فما بالك بطولها وقد أعدها الله تعالى للمتقين .

أما المتقون فإنهم صموة عباد الله تعالى، وقد وصفهم سبحانه بأوصاف هي دروة الحلق الكريم، منها ما ذكره سبحانه وتعالى هنا وأولها : لكرم، بهم يمشقون في كل أحوالهم يمشقون في السراء، ويمشقون في الصراء، ويمشقون سرا ويمشقون جهرا ويمشقون في اليسر ويمشقون في العسر، يمشقون بالليل، ويمشقون بالنهار

وبت نصر لكرم التي نحث على الإتيان كثيرة، وأحدث رسول لله صلى الله عليه وسلم، في ليدل متعددة

ومن أحاديثه، صلى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة فيما أخرجه الترمذي - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال

« ليسعى قريب من الله قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد من النار والبعيل بعيد من الله، بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سعى أحب إلى الله من عابد بعيل »

وعن أبي هريرة - فيما رواه الشيخان : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ومكان يبرلان فيقول أحدهما اللهم أعط ميمناً حلماً، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً ثلماً

بعد ذلك ذكر الله من صفاتهم :

﴿ والكافين، المعظ والمغيب عن الناس والله يحب المحسنين ﴾

إن الأخلاق لقراءة تحدد الحلق الكريم، في حياء الأدي، وترسم المصيلة هي

درجاتها لأولى، ثم لا يفصّر لمرآى على ذلك، وإنما يرسم القسم من مكارم الأخلاق، ويوجه إلى السنام منها، ويقود إلى لشرف العليا من درجات المصريين

إبه يتحدث عن « المقتصد »

وعن « السابق بالخيرات ».

إبه يتحدث عن « أصحاب اليمين »

ويتحدث عن « المصريين » ويبين أن مصريين أقل عددا من أصحاب اليمين،

فهم ثلث من الأولين، وقبيل من الآخرين

أما أصحاب اليمين فإنهم ثلث من الأولين وثلث من الآخرين، على حد التعبير

عن أصحاب اليمين، وعن المقربين في سورة الواقعة.

وليصرب لذلك مثلا

إن مقابلة السيئة بالسيئة عدل.

يقول الله تعالى :

﴿ وَجَاءَ سَيِّئَةٌ مِثْلَ سَيِّئَةٍ ﴾ . (الشورى : ٤١)

ولكن القراء مع بيان عدالة هذا يذكر درجة أعلى من الخلق الكريم، تلك

هى

درجة « كظم لعيط »

وهذا الذى مع مقدره على معاقبة لمسيئة بالسيئة - بكظم عيظه، أسمى

فى ميزان الأخلاق الكريمه من الذى يقابل السيئة بالسيئة. ولا يصف المرآى عد

هذا انحد، ذلك

أنه يرسم درجة ثالثة، من الخلق الكريم، وذلك أنه يتجاوز « مقابلة السيئة

بالسيئة »

و « كظم لعيط » إلى « العمو »

والعمو مع المقدره، أسمى من « مقابلة السيئة بالسيئة »، وأسمى من « كظم

العيط »

ثم يتجاوز القرآن كل ذلك، إلى الدرجة العليا، ودرجة القربين  
وهي الإحسان.

يقول تعالى

﴿ وَحَرَاءَ سَيِّئَةٍ مِّثْلُهَا فَسُوءُ عَذَابٍ وَأَصْلَحَ فَاجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾.

ويقول تعالى :

﴿ وَكَافِرٌ لِّظُلْمٍ نَّظِيرٌ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

إنها درجات من الخلق الكريم كلها كريمة، بيد أنها تتفاوت، هيما بينها، من  
كريم إلى أكرم، كتفاوت الناس في الشرف من شريف إلى أشرف.

ويصل المتقون إلى الدرجة التي عرّف الله تعالى عنها بقوة

﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾، وإحسان هنا كما يعنى السخاء، فإنه يعنى إتقان

العمل وجادته

ومن أوصاف المتقين أنهم إذا أدبوا ذنباً عظيماً أو يسيراً، ذكروا الله  
فاستغفروا ورجعوا إليه سبحانه بالتوبة الصادقة والتصريح بالخلص، إنهم يستعصرون  
ولا يصرون على الدب.

قال البغوي : يقول الحسن البصري رضى الله عنه

إنما العبد ذنباً عظيماً، إصرار حتى يتوب.

وعن أبي بكر، رضى الله عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول

« ما من عبد مؤمن يدب ذنباً فيقوم فيظهر ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر  
الله، إلا عمر الله له. ثم قرأ هذه الآية ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ  
ذَكَرُوا أَنَّهُمْ فَاسْتَغَفَرُوا لَدُنِّيهِمْ وَمِنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ  
يَعْلَمُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> »

(١) أخرجه أبو داود والترمذي

وعن ابن عباس، رضى الله عنه، فيما رواه أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال

من لزم الاستعمار حمل الله له من كل صيق مخرجاً، ومن كل هم مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب».

هؤلاء المصور حراؤهم معمره من ربهم، وحيات تحري من تحتها لأبهار يقول الإمام المكارم :

« معنى الآية أن المطلوب بالتوبة أعز »

أحدهما : الأمن من العقاب، وإليه الإشارة بقوله ﴿مغفرة من ربهم﴾

والثاني : إيصال الثواب، وإليه الإشارة بقوله ﴿وحيات تحري من تحتها الأنهار﴾

ثم سبى الله تعالى الأدهم من سبى سبى يكون ويدعوهم من سطر ولئامن رسول مجاهد « قد خلب من قبلكم من بالهلاك فبمن كذب قبلكم فسيرو في الأرض ليروا أثر الدين دمرهم الله خراء يكذبهم بالحق ويمردهم من ما أرل سبحانه

وهو الذي سبى سبحانه، بما هو بيان لاسم كافه وهو هدى من الضلال، وهو موعظة لقلوب المؤمنين على انحصوص.

(١٣٩) ﴿ولا يهنوا ولا يحزنوا وأنتم الأغلوون إن كنتم مؤمنين﴾

(١٤٠) ﴿إن يمسسكم فرح فقد من القوم فرح مثله وتلك الأيام مدولها بين الناس ليعلم الله الذين آمنوا ويتجدد منكم شهداء والله لا يحب الظالمين﴾

(١٤١) ﴿وسمعت الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾



و حدثت الآيات تتحدث عن عروة أحد بهذا الحديث الرائع

بن المؤمن - وكله ثقة بالله لا يدل ولا يهن ولا يحزن إذا أصابته كارثة لأنه بإيمانه الصادق هو الأعلى دائما، وشأنه في الكوارث أن يتدبر العظة والعبرة، وأن يسأل نفسه على علة الكارثة، وعن حكمتها، فإن الله سبحانه يؤاخذ الناس بدنويهم.   
والقرح هو الجراح، وهو أثر الحراح من الألم. وإذا كنتم قد صابكم القرح هي أحد، فإن القوم قد أصابهم القرح هي بدر.

و لأيام دول ' يوم لك ويوم عليك، ومن كان مع الله دائما كان الله معه دائما.   
أما الحكمة هي هذه الهزيمة يوم أحد هكذا يعلم الله - وهو العالم دائما - أي ل يظهر الدين آمنا إيمانا صادقا، ومن أجل أن يتحد معكم شهداء وكان الله تعالى بهذه الكلمة يحب أن يتحد من أمة محمد، صلى الله عليه وسلم، شهداء يكرمهم بالشهادة وبيوتهم مكانة عظيمة هي لشرف والبطولة واشتاء

وحبما يكون من حكمة الهزيمة أن يتخذ الله شهداء، حينها لا تكون بقعة، وإنما تكون بعمة، ومن حكمة الهزيمة أن يصهر الله الدين من بالاسلاء والآلام، ويمس الكافرين.

والآية الكريمة تنبه إلى أنه إذا قتلتم المشركين فإنه استشهاده تعقبه الجنة، وإن قتلتموهم فهو هلاكهم وفناؤهم.

وعن عروة أحد يقول البراء بن عازب، رضى الله عنه

حمل النبي، صلى الله عليه وسلم، على الرحالة يوم أحد، وكانوا خمسين رجلا، عبد الله بن جبير، فقال: «إن رأيتمونا تحطمنا الصير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هربنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، هزمسوهم، هال فإن والله رأيت النساء يشتدون قد بدت حلاحهن، وأسوقهن، رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: «الغنيمة، أي قوم الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: «أسيتم ما قال لكم رسول الله، صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: والله لنأتين الناس ولنصيب من

لغنيمة، فلما أتوهم صرخت وجوههم، فاقبلو مهزمين، فذلك قوله

﴿الرَّسُولُ يُدْعُوكُمْ فِي آخِرَاتِكُمْ﴾.

فمن بنى مع النبي، صلى الله عليه وسلم، غير اثني عشر رجلاً، فأصابوا ما سبعين، كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر مائة وأربعين : سبعين أسيراً، وسبعين قتيلاً.

فقال أبو سفيان : أهي القوم محمد ؟ ثلاث مرات، فنهاهم النبي، صلى الله عليه وسلم، أن يجيبوه، ثم قال : أهي القوم ابن أبي قحافة ؟ ثلاث مرات، ثم قال : أهي القوم ابن الخطاب ؟ ثلاث مرات، ثم رجع إلى أصحابه، فقال : أما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر بنهم فقال : كذبت والله يا عدو الله . إن الذين عددت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوءك.

فقال : يوم بيوم بدر، و لحرب سجال، إنكم ستحدون في القوم مثله ثم أمر بها، ولم تسؤني، ثم أحد يرتجز : اعل هبل - اعل هبل.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ألا تجيبوه ؟

قالوا : يا رسول الله، ما نقول ؟

قال : قولوا : الله أعلى وأجل

قال : إن لنا العرى، ولا عرى لكم.

فقال النبي، صلى الله عليه وسلم : ألا تجيبوه ؟

قالوا : يا رسول الله، ما نقول ؟

قال : قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم

وروى هذا معنى عن ابن عباس، رضى الله عنهما، وهي حديثه، قال

ابن عباس : يوم بيوم وإن لأيام دول، والحرب سجال.

فقتل عمر، رضى الله عنه : لا سواء قتلاً في الجنة وقتلاًكم في النار

قال الزجاج : لدولة تكون لمسلمين على الكفر لقوله تعالى

﴿وَإِنْ جُعِدَ لَهُمُ الْمَأْيُوتُ﴾ . (الصافات ١٧٣)

وكانت يوم أحد للكمار على المسلمين، لحالمتهم أمر رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

(١٤٢) ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ

الصَّابِرِينَ﴾ .

(١٤٣) ﴿وَلَقَدْ كُتِبَ تَمُوتَ الْمَوْتُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَاهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ .

(١٤٤) ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ لَبِئِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى

أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾

(١٤٥) ﴿وَمَا كَانَ لِمَنْ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبَ مُؤَجَّلًا وَمَنْ يَرِدِ ثَوَابُ الدُّنْيَا بُوْثَةً

مِنْهَا وَمَنْ يَرِدِ ثَوَابُ الْآخِرَةِ نُزُلًا مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾

وتستمر الآيات هي معاطية المؤمنين بمناسبة عروبة أحد

هل تصورتم دخول الجنة من السهولة بحيث يكون دون اختبار يظهر الله تعالى

فيه الدين جاهدوا منكم، ويظهر فيه الصابرين ؟

يقول خير الأمة ابن عباس ، رضي الله عنه :

ولد أحمر الله عر وجل المؤمنين رضي لسان سيه، صلى الله عليه وسلم بها

فعل شهدائهم يوم بدر من الكرامة، رعبوا في ذلك، فتمنوا قتالا يستشهدون فيه

فيلحقون بأحوالهم، فأراهم الله يوم أحد، فلم يلبثوا أن انهزموا، إلا من شاء الله منهم، فأنزل الله هذه الآية.

وشاع بين المسلمين حينما انهزموا أن الرسول، صلى الله عليه وسلم قد

استشهد همت البلبلة حتى لقد جلس بعض أصحابه وألقوا ما بأيديهم

وقال أناس من أهل اسماق ، إن كان محمد قتل فالحقوا بديكم الأول، فقال

أس بن لضر، عم أس بن مالك

ياقوم إن كان قد قتل محمد، فإن رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فماتوا على ما قاتل عليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وموتوا على ما مات عليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء - يعني المسلمين - وإني إليك مما جاء به هؤلاء يعني المنافقين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل.

وأول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، كعب بن مالك، رضى الله عنه، قال

عرفت عيبيه تحب الفقير ترهوان، فناديت بأعلى صوتي

يا معشر المسلمين، أبشروا هذا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأشار إني أن اسكت فاجازت إليه طائفة من أصحابه، فلامهم، لبي، صلى الله عليه وسلم، عني لصرار فقالوا : يا سي الله هديناك بأنائنا وأمهاتنا، أتانا الخبر بأنك قد قتلت، فرعبت قلوبنا، فولينا مدبرين.

فأنزل الله تعالى

﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾.

والاحال بيد الله، والاحال قدر، إنها قدر علمه وقدره منذ الأزل، ولا يموت أحد إلا بأمره سبحانه.

ويقول صاحب «لباب التأويل» :

والمراد من الآية تحريض المؤمنين على الجهاد، وتشجيعهم على لقاء العدو بإعلامهم بأن الجبن لا يرفع وأن الحذر لا يدفع البعد، وإن أحدًا لا يموت قبل أحله، وإن خاص المهالك، وافتحم المعارك، وإذا جاء الأجل لم يدفع الموت بعيلة ولا فائدة هي الخوف و لجبن.

ولقد كتب الله تعالى لكل نفس أجلاً، لا تتقدم عنه ولا تتأخر، والناس في هذه الحياة يسيرون طرقاً مختلفة، منهم من يريد بعمله دنياه، ورايته مترتبة على بيته وسريره، ومنهم من يريد بعمله آخرته قصده، ليها ورعيه مركزة فيها، والله تعالى

يؤتى كلا حسبيما يشاء سبحانه ويعسر هذه الآية في تفصيل قوله تعالى

﴿من كان يريد التحلة علينا له فيها ما يشاء لمن يريد ثم جعلناهم بصلاته مدبرين﴾  
مدبرين . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا . كلا بعد  
هؤلاء وحولاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا . ﴿ من كيف فصلنا بعضهم على  
بعض والآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ﴾ . ( الإسراء ٦٨ - ٦٩ ) ويحول رسول الله، صلى الله  
عليه وسلم، فيما رواه البغوي بسنده، عن أنس بن مالك <sup>(١)</sup>

« من كانت بيته طلب الآخرة جعل الله عساه في قبته، وجمع له سميه، وثبته  
الدين، وهي رعمة . ومن كانت بيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عسبه وشتبه  
عبيه أمره ولا يأتيه منها إلا ما كتب الله له »

أما صلة البية بطرائق الناس في الحيدة، فيروى الإمام البخاري بسنده، عن  
عمر بن الخطاب، رضي الله عنه أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال

« بما الأعمال باعيات وبما لكل امرئ ما بوى فمن كانت هجرته إلى الله  
ورسوله هجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دينا يصيبها أو امرأة  
يترونها، فهجرته إلى ما هاجر إليه »

(١١٦) ﴿وكأين من بني قاتل معه ربيون كثير فما رهو لما أصابهم في سبيل الله وما  
ضعفوا وما أمكنوا والله يحب الصابرين﴾ .

(١١٧) ﴿وما كان قلوبهم إلا أن قالوا ربنا عفرنا ذريتنا إنا لبراءة مما نصنع وأنت غفور  
رحيم﴾ .

(١١٨) ﴿فأباهم الله ثواب الدين وحسن ثواب الآخرة و الله يحب المحسنين﴾

﴿وكأين من بني﴾ . وكم من بني، أي كثير

(١) أخرجه ابن ماجه عن زيد بن ثابت بمطابقة قريب

﴿ربوب كثير﴾ أى جموع كثيرة، ومعنى ربيون الصالحون، وتمسك بالعلماء  
الممهاء، كما يقول الحسن البصري، وكما يقول الحارثي، رضى الله عنهما ولعل  
المقصود بها هنا الاتباع. وما من شك فى أن أتباع النبى الدين يقاتلون معه على  
الحق قوم صالحون.

وموقعهم أنهم لم يصغفوا بسب ما نالهم فى سبيل الله، إنيهم لم يستسلموا،  
ولم يحصفوا لغوهم وإنما كان شعارهم النصر أو الاستشهاد، وصبروا، والله يحب  
الصابرين.

وهؤلاء الربيون كان شعارهم فى قلوبهم وعلى ألسنتهم هو الشعار الذى يتحلى  
به كل مؤمن صادق الإيمان وهو -

﴿ربنا عمر لنا ذنوب وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾

أما جراء الله تعالى لهم فهو

﴿فإنهم لله ثواب الدنيا وحس ثواب الآخرة والله يحب المحسنين﴾.

لقد صبر هؤلاء ما أحبه الله تعالى، وأحسوا فى قتالهم دور وهن، ومن  
التحائم إلى الله تعالى بالتوبة والتصرع، ما أحبه الله تعالى، لقد ظفروا بأمرين  
يترتب على كل منهما الحب الربانى، نالهم من سعادة

(١٤٩) ﴿يا أيها الذين آمنوا، إن تطيعوا الدين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا

خاسرين﴾

(١٥٠) ﴿بل لله مولاكم وهو خير لناصرين﴾.

ويقول الله تعالى فى ذلك أيضاً فى سورة البقرة -

﴿ولن ترضى عبث اليهود ولا النصارى حتى تتبع منهم قل إن أهدى الله هو أهدى ولن

اتبع أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ما لك من الله من وى ولا نصير﴾ ر بقره ١٢٠

وإن الله سبحانه دائماً مولى الدين صدقوا فى إيمانهم، أى حافظهم من كل

سوء، وباصرهم على أعدائهم.

(١٥١) ﴿سُلِّقِي فِي قُلُوبِ الْكَافِرِ الرَّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَرَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبَشَى ثَمُودَى الظَّالِمِينَ﴾.

وإذا صدق المسلمون في إيمانهم، فإن المشركين يغمزهم الرعب والصرع منهم.  
وكلمة ﴿مَا لَمْ يَرَلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ أى حجة وبيات من عنده وسميت الحجة سلطاناً لأنها ثبوتها، تدفع الباطل وتتميه ﴿ثَمُودَى﴾ أى مقدم ومستقر

(١٥٢) ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحْسُبُونَهُمْ يَأْتِيهِمْ إِذَا فُتِنْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَعَصِيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾  
﴿تَحْسُبُونَهُمْ﴾ تقتلونهم.

لقد صدقهم الله وعده فأخذوا يقتلون المشركين وكانوا متحصرين، ولكن الرماة تدارعوا، وعصوا بعد ما رأوا النصر، فترك أكثرهم موقعه، وأخذ يجمع العزيمة مريداً الدنيا، وبقي الأقل في موقعه مريداً للآخرة، فكانت الهزيمة لقد صرف المسلمون عن قتال المشركين فانهزموا، وكانت لهزيمة ابتلاء من الله تعالى لمصيبتهم ثم جاء العفو، والله ذو فضل على المؤمنين ورحمة بهم.

ومن المعروف أن الرماة، وعلى رأسهم عبد الله بن جبير، لما انهزم المشركون قل بعضهم لبعض أى قوم، ما نصنع بمقامنا هاهنا، وقد انهزم المشركون ثم أقبلوا على العزيمة، وقال بعضهم لبعض - لا تجاوروا أمر رسول الله، صلى الله عليه وسلم وثبت عبد الله بن جبير أمير القوم في نفر يسير من عشرة ممن كان معه، فلما رأى خالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل ذلك، حملوا على الرماة الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير وأصعجانه، وأقبلوا على المسلمين، وتحولت الريح من نصر إلى هزيمة.

(١٥٢) ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلَوْنِ عَلَى أَحَدٍ وَاسْرِمُوا بَدْعُوكُمْ فِي أَحْرَاسِكُمْ فَآتَاكُمْ عَمَّا بَعَثَ لَكُمْ تَحْرِيرًا عَلَى مَا فُتِنْتُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

واذكروا وقت الإصعاد هي الأرض، أي الإبعاد فيها، أي المزار، وأنتم لا تلتفتون إلى أحد وكان انرسول، صلى الله عليه وسلم، يدعوكم، إلى عباد الله إلى عباد الله ولكنكم هي فراركم لم تلتفتوا إلى نداء؛ فكان جراؤكم من الله تعالى عما نعم.

والعم الأول هو أنهم عموا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حينما حالوا أمره، وتسبب ذلك هي الهريمة.

والنعم الثاني الحراء الذي نالوه من القتل والهريمة، ثم عفا عنكم ﴿لَكُمْ تَحْرِيرًا عَلَى مَا فُتِنْتُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾.

يقول الإمام بن عباس، رضي الله عنه، الذي فاتهم، الغيصة، والذي أصابهم : القتل والهريمة.

﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ يسيرا كان أو عظيمًا، وهو بجائزكم عليها

(١٥٤) ﴿ثُمَّ أَسْرَبَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَةً نَاعِمًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمُّهُمُ أَنْفُسَهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ اتِّحَاقٍ ظِلِّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يَخْفَوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ نَا لَا يَسْتَدْرُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَتْ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَذَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بَيْوتِكُمْ لَمُرَّ الدِّينِ كُنْتُ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَصْحَبِهِمْ وَلَيْسَتِ لِلَّهِ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَبِمَحْصٍ مَا فِي قُورْبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

و ﴿أمة﴾ معناها أمة. ممثلاً هي إلقاء النعاس، والنعاس أحف من النوم، ولا يبعث إلا من يأمن

عن أبي طلحة، قال - غشيها النعاس ونحن في مصابنا يوم أحد، قال : فحمل سيمي يسقط من يدي وأخذته ويسقط وأخذته، وهذا النعاس يغشى طائفة المؤمنين الذين أسلموا أمرهم لله وبنوكلو عليه، أما المناقشون فقد أهملهم أنفسهم، وبقوا في خوفهم فلم يقع عليهم النعاس.

وقد عمرهم من الشعور ما يعمر الدين خلث قلوبهم من الإيمان فهم يظنون



بأنه ظن لحاهلية، أي لا يؤمنون بأن الله بيده مفاليد الأمور، وأن الأمر كله لله وهذا الظن غير حق، وقد رهبوا على ظنهم القول ﴿ هل لنا من الأمر من شيء ﴾ أي أن محمد لم يترك لنا شيئاً من الأمر، منكبين بذلك أن الله سبحانه هو المتصرف الوحيد . فأمر الله تعالى ببيته بأن يبين لهم الحق، فيقول لهم ﴿ إن الأمر كله لله ﴾ إياهم منافقون، واندهق يسر في نفسه ما لا يسديه. وإنهم ليحسون في أنفسهم من الشك والكفر ما لا يظهرون.

عن ابن عباس، رضى الله عنه في قوله تعالى

﴿ يظنون بالله غير الحق ﴾ - التكذيب بالقدر، وهو قولهم ﴿ لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناها ها هنا ﴾

ويأمر الله تعالى رسوله، صلى الله عليه وسلم، أن يبين لهم الحق وهو أنهم لو كذبوا في بيوتهم محصين تحصيها كاملاً، ثم جاء أحدهم لخرج الدين قصي الله عليهم أدوت إسي حيث عصيرهم المحبوم

على أنه من حكمة هذه الهزيمة أن يحترس الله ما هي صدوركم، فيظهره هاسداً أو صادقاً، ليميز الخبيث من الطيب، وأيضاً من أجل أن يمحض ما في قلوبكم.

يقول قيادة أي بظهرها من الشك والارتباب بما بريك من عجائب صنعته في إلقاء لأمة وصرف العدو وأظهار سرائر المناهضين، وعلى ذلك يكون ﴿ وبمحض ما في قلوبكم ﴾ للمؤمنين خاصة والله عليهم بذات الصدور

(١٥٥) ﴿ إن الدين توروا منكم يوم اتقوا الجمعة إنا استرهم لشيطان ببعض ما كبروا ولقد عفا الله عنهم إن الله عفو رحيم ﴾

إن الدين انهمروا فصرخوا يوم أحد، إنما أوقعهم الشيطان في هذه الرلة ببعض ما كسبوا

يقول الحسن البصري رضى الله عنه :

﴿ ما كسبوا ﴾ هو قبولهم من الشيطان ما وسوس إليهم من الهزيمة  
﴿ ولقد عفا الله عنهم ﴾ .

قيل إن عثمان عوثب في هزيمة يوم أحد، فقتل إن ذلك وب كان خطأ، لكن  
لله قد عما عنه، وقرأ هذه الآية، وتنتهي الآية، بقول الله تعالى  
﴿إِنَّ اللَّهَ عَزُورٌ حَلِيمٌ﴾.

(١٥٦) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَانُوا مُخْلِصِينَ أَنْفُسَهُمْ فِي يَوْمِ وَقَعَتْ الْأُمَمُ لَوْ كَانُوا عَمَلًا لَوْ كَانُوا عَمَلًا مَا مَاتُوا وَمَا قَتَلُوا لِيُجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ  
بِحَيِّ وَيَمُوتُ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

(١٥٧) ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَقْرَرْنَا مِنَ اللَّهِ رَحْمَةً حَيْرُ مَا يَجْمَعُونَ﴾

(١٥٨) ﴿وَلَوْ مِتُّمْ أَوْ قَتَلْتُمْ لَإِنِّي اللَّهُ تُحْشَرُونَ﴾

يحاطب الله المؤمنين، أمرا لهم ألا يكونوا كالذين كفروا، ويقولون لإخوانهم،  
حيثما يسيرون لنتحارة أو يذهبون إلى الجهاد ثم يموتون أو يقتلون لو كانوا قد  
أقروا معاً في أماكنهم، ما ماتوا وما قتلوا. إن هذا القول المترتب على الاعتقاد  
بذلك يجعله الله حسرة في قلوبهم، حيث يموت أو يقتل بعض أحبائهم أو أقاربهم  
في سمر و في جهاد

و بحق أن الأمر بيد الله، يحيى ويميت وهو بما يعملون بصير على أن من  
هن في سبيل الله أو مات في طاعته، فإن ما يناله من معصية ورحمة خير مما  
يجمع من مال وعنائهم، لو بقي على قيد الحياة.

وما من شك في أن كل من يموت أو يقتل فإنه إلى الله مرجعه، إليه يعود،  
وإليه يحشر

ويصول الإمام الخار علاه الدين على من محمد، ضد تفسير هذه الآية  
لكريمة

يعنى إلى الله الرحيم الواسع الرحمة والمعصية، المثيب العظيم الثواب،  
محشرون في الآخرة فيجاريكم بأعمالكم، وقد قسم بعض مقدمات العبودية ثلاثة  
أقسام فمن عبد الله خوف من باريه أمه الله مما يخاف وإليه الإشارة بقوله

تعالى ﴿لَمَعْفُورٍ مِنَ اللَّهِ﴾، ومن عبد لله تعالى شوقاً إلى حبه، أناله ما يرجو  
وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿وَرَحْمَةً﴾ لأن اسرحمة من أسماء الحبة، ومن عبد الله  
شوقاً إلى وجهه الكريم لا يريد غيره، فهذا هو العبد المحلص الذي يتحلى له لحق  
سبحانه وتعالى في ذكر كرامته وإليه الإشارة بقوله ﴿إِلَى اللَّهِ تَحْسِرُونَ﴾

(١٥٩) ﴿فَمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَبِ لَهِمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظاً عَلِيماً لَفَسَدُوا مِنْ حَرِّكَ  
فَاعَلِ عَنَهُمْ وَاسْمِعْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي أَمْرٍ فَإِنَّكَ عَرِيتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

إن رحمة الله تعالى وهفتك بدهق ولين الحاسب، ولو كنت قاسياً حادياً لدهو  
عبت وانصو من حوالب، فتجاوز عن رلاتهم، واستعمر لله لهم، وشاورهم في لأمر  
بقول نحن البصري .

قد علم لله تعالى أن ما به إلى مشاورتهم حجة ولكن أراد أن يسن به من  
بعده من أمته .

وقال عائشة رضي الله عنها فيما روه الإمام النعمى بسده : ما رأيت  
رجلاً أكثر استشارة لدرجال من رسول الله، صلى الله عليه وسلم .

وما من شك في أن كل ما يرل فيه وحى لا محال للاستشارة فيه، وموضوع  
الاستشارة فيما لم يرل فيه وحى

ويقول الله تعالى في ذلك أيضاً

﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بِهِمْ﴾ (الشورى ٣٨)

والشورى مبدأ هام من مبادئ الإسلام وإن تحقق في قطر فإنها بحول دون  
الاستبداد والتحكم وطعان الفرد، وحيما تنتهى الشورى ويسين لك لحق فاعزم  
وإذا عرمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين .

(١٦) ﴿إِنْ يَصْرُوكُمْ إِنَّمَا فَلاَ غَاسِبَ لَكُمُ وَإِنْ يَحْذِكُمْ فَمن ذا الَّذِي يَصْرُكُمُ مِنْ بَعْدِهِ

وَعَلَى اللَّهِ فَالْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ .

(١٦١) ﴿وَمَا كَانَ نَبِيٌّ أَن يُقْلَ وَمَن يُقْلْ يَأْتِ بَعْدَ عِلِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

(١٦٢) ﴿أَلَمْ يَتَّبِعْ رَسُولَ اللَّهِ كَمَا بَاءَ بِسِحْطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَدَّ جَهَنَّمَ وَنَسِ الْمَصِيرَ﴾

(١٦٣) ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ .

لا يتأتى أن يحتلس نبي من الأنبياء شيئاً من أسلاب الحرب  
والمعول . الاحتلاس، والسرفة الصَّرفة.

ومن يحتلس من عنائم الحرب خصوصاً، ومن غيرها على وجه العموم، يأت  
به احتلس يوم القيامة، ويال حراره عذاباً ومهابة من غير ظلم وقد ورد في المعول  
أحاديث صحيحة، منها ما رواه الشيخان، عن أبي هريرة، قال .  
قدم هيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذات يوم فذكر المعول فعضمه  
وعظم أمره، حتى قال .

لا ألمين أحدكم يحيى يوم القيامة على رقبته بغير أنه رعاء يقول يا رسول  
الله اغشى، فأقول : لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك.

لا ألمين أحدكم يحيى يوم القيامة على رقبته هرس له حمجمة فيقول  
يا رسول الله اغشى، فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك

لا ألمين أحدكم يحيى يوم القيامة على رقبته شاة لها نعاء، يقول يا رسول  
الله اغشى، فأقول : لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك.

لا ألمين أحدكم يحيى يوم القيامة وعلى رقبته نعل لها صياح، فيقول  
يا رسول الله اغشى، فأقول : لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك.

لا ألمين أحدكم يحيى يوم القيامة على رقبته رفاع تحمق، فيقول يا رسول  
الله اغشى، فأقول لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك

لا ألمين أحدكم يحيى يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله  
اغشى، فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك

وهي النعنة الرعاء . صوت البعير، ولثعاء صوت الشاة، والرقاع نثياب،  
و لصاصت : الذهب والمصنة .

ولا ريب في أن من أطاع الله فاتبع رضوانه، ولم يفل، ليس مثله كمن عصى  
الله ففل، فرجع بسخط من الله ومسكنة، ومقره جهنم ويئس المصير  
ويقول الإمام ابن عباس، رضي الله عنه :

يعنى من اتبع رضوان الله، ومن باء بسخط من الله محتلمو المنارل عبد الله.  
فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم، ولم باء بسخط من الله لعذاب الأليم والله  
يصير بما يعملون.

(١٦٤) ﴿وقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته  
ويركبهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ .

لقد أحسن الله إلى المؤمنين وكان فضله عليهم عظيما . حيث بعث فيهم  
رسولا منهم، ووجه الإحسان أو وجه المنة أنه، صلوات الله وسلامه عليه يتلو  
عليهم القرآن الكريم : كتاب الله الخالد . المعصوم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه  
ولا من خلفه، ويسلك بهم طريق تزكية النفس، وطهارة، النفس، ويعلمهم ما أوحاه الله  
إليه، ويعلمهم السنة التي أنعم الله تعالى إياها . ويخرجهم بذلك من الحامية إلى  
الإسلام ومن الضلال إلى الهدى، ومن الجهل إلى العلم، وقد كانوا من قبل من  
جهالة أخلاقية، وفي جهالة عمية واضحة.

والواقع أن الإسلام قد اتسم منذ ميلاده بسمه العلم

﴿وقل رب ردي عني﴾ ( طه ١١٤ ) هـ، أحد شعارات لمسلم

ومن مستوى يوماء، فهو مغبون، ومن لم يكن إلى ردة فهو إلى نقصان، وهل  
يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ وإن مداد العلماء المتقين يوزن في ميزان  
اخير والحصنات بهم الشهداء، فيرجح مداد العلماء.

إن الله سبحانه وتعالى قد امتن علينا في آيات كثيرة من القرآن بأنه سخر  
لنا الليل والنهار، والشمس والقمر، وسخر لنا الأرض والسماء، وما بين الأرض  
والسماء . والامتنان لإلهي بهذا معناه دعوة صريحة للمسلمين أن يستجيبيوا إلى

التوحيه الإلهي، فيسبحروا كل ذلك بالعلم والمعرفة ويمتلكوا الكون، مستعملين الملاحظة والتجربة في نفع الإنسانية ولكن العلم والمعرفة في الإسلام لا يقتصران على الجانب المادي، لأن النظرة الحديثة الإسلامية أوسع بكثير، وأعمق من النظرة لحديثة الأوربية التي تقصر العلم على الجانب المادي.

إن لعلم المادي علم تسخير الكون، يحث عليه لإسلام، ولكنه لا يقف عند، فعاية المسم تمثل في قوله تعالى ﴿وَأَن لِّيَ رِبِكُ الْمُنْتَهَى﴾ . ( النجم ٢٠ )

وإن ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ توحفنا مباشرة نحو هذا المنتهى، العلم عبادة، وقد كنا كمسلمين - مدعوين إلى تسخير الكون، مأمورين بتسخيره في سبيل الله، وتذليله رجاء مرضاة الله، فنحن، بهذا، متجهون إلى الله غير ناظرين إلى هذا لتسخير وإنما إلى الكون، وبذلك يكون التسخير نفسه عبادة

« فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدينا يصيبها أو امرأة يكرهها، فهجرته إلى ما هاجر إليه » (١).

فالسيطرة على الطبيعة، هي الوضع الإسلامي الصحيح، هجرة إلى الله.

إنها قراءة باسمه، فهي دأبه في نطاق ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ وقد قرأت باسم ربك : فانت عابد في أعمالك وهي أقوالك.

والعلم في الإسلام، على الوضع الصحيح، إذن عبادة، حتى في الجانب المادي منه

ولا يتأتى، ولن يتأتى أن يقف الإسلام عقبة في سبيل العلم، وأن يتعارض الإسلام مع العلم الحديث.

إن مشكلة المعارض بين الدين والعلم إنما نشأت في أوروبا ويعبده كل البعد عن الروح الإسلامية التي حثت الإنسانية على لتعلم، ولتلى ولد المنهج العلمي الذي

---

(١) من حديث البخاري (باب بدء الوحي)

بسمه « المنهج الحديث » بين ربوعها، والتي أنشأت على أساس هذا - من  
لمهج حصارة ضخمة لا تزال تكشف كل يوم الكثير من أبعادها العميقة

وما من شك في أن الحصار الإسلامي، هي التي قد هدمت للحصارة العربية  
الحديثة منهجها، وقدمت لها الكثير من «الحقائق العلمية في كثير من الحالات  
المحتملة

إن المنهج العلمي الحديث في أوروبا، يرجع إلى ( روجر بيكون )، وهو الذي  
أداعه وشهره في أرجاء أوروبا .

ويتحدث الأستاذ (بريفولت) في كتابه « بناء الإنسانية » فيقول عن ( روجر  
بيكون )

إنه درس اللغة العربية، والعلوم العربية في مدرسة إكسفورد على حلفاء العرب  
في الأندلس، وليس لروجر بيكون، ولا لسميه الذي جاء من بعده الحق في أن  
ينسب إليهما الفصل في ابتكار المنهج التجريبي فلم يكن روجر بيكون إلا رسولاً من  
رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوروبا المسيحية، وهو لم يمل قط من التصريح بأن  
تعلم معاصريه اللغة العربية وعلوم العرب، هو الطريق الوحيد لمعرفة الحقيقة،  
والمناقشات التي دارت حول وصعق المنهج لتجربى هي طرف من التحريف الهائل،  
لأصول الحصار الأوربية.

وقد كان منهج العرب التجريبي في عصره ( بيكون )، قد انتشر انتشاراً  
واسعاً، وانكب الناس في لهف على تحصيله في ربوع أوروبا<sup>(١)</sup>

ويقول ( بريفولت ) أيضاً

لقد كان العلم أهم ما جادت به الحصار العربية على «العالم الحديث ولكن  
ثمارة كانت بطيئة النضج.

---

( ) تحديد التفكير الديني في الإسلام، تأليف محمد إقبال، ترجمة الأستاذ عباس محمود العقاد

إن تعبيرية النى ولدتها ثقافة العرب فى أسيايا لم يهص فى عموها إلا بعد مصى وقت طويل على احنفاء تلك الحصاره وراء سحب الطلام، ولم يكن العلم وحده هو الذى أعدد إنى أوربا احياة، بل إن مؤثراب أخرى كثيرة من مؤثرات لحصارة لإسلاميه بعثت بأكوره شعتها إلى الحياة الأوربية<sup>(١)</sup>

وإذ كام الإسلام، هو الذى أنشأ هذا المنهج وهذا العلم فمن «طبيعى لا يتعارض معه

على أن مسألة التعارض بين الدين والعلم إنما هى مسألة وهمية إذا نظرنا إلى حقيقة الأمر

وبك ان العلم رآثره المده و لحس، أما الدين، قد تره ( ما وراء الطبيعة ) والحير والمصينه، ههما لا يلتقيان فى الموضوع، فكيف يتعارضان

ن ملاحظة العصر الحاضر يتوهمون مشاكل لا أساس لها ثم يصعروها على ساط البحث ويتناقشون هيا ويتجادلون، وعلى مر الزمن، يصمى الإلم عليها - وهى وهمية - صورة من ظلال الحقائق، فبطل بعض الناس أنها مشاكل جديدة بالبحث و لنضر، ومن ذلك مسألة التعارض بين العلم والدين، مع أنه لا تحاد بين موضوعيهما

\* \* \*

---

ر (١) المصدر السابق



## العلم فى الإسلام أوسع دائرة

وإذا فتصرت أوريا على العلم المادى، فإن الإسلام لا يقف عند ذلك، وإنما يوجه الإنسانية إلى مصدر آخر للعلم والمعرفة، هو القلب، أو هو الروح و البصيرة، إن الإسلام يوجه الإنسانية إلى المعرفة الإشرافية، أو الكشفية، أو الإلهامية، ويجمع الإسلام الاتجاه العلمى الحديث إلى الاتجاه البصيرى فى قوله - ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا﴾ . (الإسراء: ٣٦)

فالسمع والبصر، هما أساس العلم المادى، علم التحركة والملاحظة أما القلب فإنه أساس العلم الإلهامى.

إن الله سبحانه وتعالى، يوجه المسلم إلى الملاحظة والتجربة ويوجهه أيضا إلى الاستشارة للهداية والنور لقلبى عن طريق الحق الكريم، و لتقوى، والإخلاص، وحب الإنسانية، والمعاونة فى الخير.

وإذا كان الإسلام، أوسع نظرة، فى الجانب العلمى عن الحصارى لحديثه، وأدق وأشمل فإنه يختلف معها اختلافا جذريا حاسما فى مسألة الإرادات و لنوايا، وهى أمر الأسباب والنواتج، وهى اتجاه الغايات والأهداف

إن الحصارى الحديثه تقول :

العلم لا صلة له بالأخلاق.

أو تقول العلم لا أخلاقى.

و لعل فى نظرها، لا شأن له بالخير والشر.

وكنر لإسلام، يجعل أسس العلم متسمة بالخير، ويجعل غايته متممة فى

الخير، ويجعل من العلم قريبا إلى الله، ويجعل منه عبادة لله

ومن هنا كانت حصاره الإسلام حصارة رحمة وهدية لا حصارة بدمير  
وتحريب

﴿وما أُرْسِلْتُ إِلَّا رَحْمَةً بِنِعَالِئِ﴾ . (الأنبياء ١٠٧)

تلك حقيقة هي الدين الإسلامي، سواء نظرنا إلى أساسه، أو نظرنا إلى  
عبته

أما الرسول، صلوات الله عليه فإنه «رحمة مهداة».

(١٦٥) ﴿أَوْ مَا أَصَابَكُمْ مِصْيَبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْ مَنْ مِمَّنْ عَدِ أَنْفُسَكُمْ  
إِنْ أَلَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

(١٦٦) ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

(١٦٧) ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ بَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَرَادُوا لَوْ سَلِمُوا  
فَمَا لَا تَلْبَعَاكُمْ فِي ذَلِكَ يَوْمَ تَكْفُرُ يَوْمَ يَكْفُرُ مَا قُرِبَ لَهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ  
أَعْلَمُ بِمَا يَكْمُومُونَ﴾

(١٦٨) ﴿لَيْسَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ طَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ  
الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

أهي شرعة الحق أنه حين أصابتكم مصيبة هي قتل سبعين منكم يوم أحد،  
وقد أصبتم مثليها يوم بدر : إذ قتلتم سبعين، وأسرت سبعين، تسألون مستكرين  
كيف يحدث هذا ونحن على دين الإسلام وهم مشركون ...؟

إنكم أنتم السبب في ذلك بعصيانكم أمر الرسول، صلى الله عليه وسلم، فهو  
درس لكم، لعلكم تتبصرون فيه، حتى لا تعودوا لمثله ﴿إِنْ أَلَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾،  
فهو يبصركم حين تستحقون البصر، ويحدلكم حين تستحقون الحداد

صلى الله عليه وسلم ما أصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين المثل في جيشهم،  
وجمع المشركين لمثل في جيشهم، إنما هو يعلم الله ويتقديره وبحكمته. وذلك  
ليظهر الله المؤمنين في وضعهم اليقيني، وليظهر المنافقين في وضعهم المذبذب.

وقد ظهر الماهقون على حقيقتهم، حينما قين لهم تعابوا هقاتلو في سبيل الله، أو قاتلوا دفاعاً عن أرضكم، تمسحوا بصادير، وقالوا لا قتال في هذا اليوم، وبو نعيم أنه سيحري قتال لاتبعاكم، إنهم بموقفهم هذا، ونكوصهم عن القتال، أقرب لكم من الإيمان. وما اعتذروا به إنما كان كلمات يالستهم، وقلوبهم معرضة كل الإعراض عن الجهاد، والله يعلم منهم ذلك، لأنه علم بما يكتمون.

ومن مصافهم : أنهم يقدمون عن القتال ويقولون محذلين لمؤمنين - عن الدين ستشهدوا، في سبيل الله لو أطاعونا وقعدوا مثلاً ما قتلوا فقل لهم يا محمد ادفعوا عن أنفسكم الموت حين يبرل بكم إن كنتم صادقين

(١٦٨) ﴿وَلَا تَحْسِبِ الدِّينَ لَمْ يَأْتِ سَبِيلَ لِهْ أَمْوَثًا بَلْ أَحْيَاءُ عَمَدَ رَبِّهِمْ يُرْذِلُونَ﴾.

(١٦٧) ﴿فَرِحَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

(١٧١) ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

\* \* \*

## الشهيد

### مكانة شهيد عند الله :

إن مكانة الشهيد عند الله عظيمة جدا تصورها الأحاديث والآيات القرآنية الكثيرة.

عن ذلك أن حارثة بن سراقة كان قد استشهد في عروة بدر، ماتت أمه - وهي أم لربيع بنت لبراء - إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، ألا تحدثني عن حارثة؟ فإن كان في الجنة صرنا، وإن كان غير ذلك احتجبت عليه في ليكأ.

فقال صلى الله عليه وسلم :

« يا أم حارثة، إنها حسان هي الجنة، وإن اسك أصاب الفردوس الأعلى » (١)

وروى الإمام مسلم، والإمام البخاري، عن أنس رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال :

« ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء، إلا الشهيد : يتمنى أن يرجع إلى الدنيا، فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة ».

وهي رواية : « لما يرى من فضل الشهادة ».

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال :

« جاء بأبي إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قد مثل به فوضع بين يديه، فذهبت أكشف عن وجهه، فهاتى قومي، فسمع صوت صائحة، فقيل ابنة عمرو -

---

(١) رواه البخاري

أو حت عمرو فقال لا تنكه أو ماتبكيه مارلت الملائكة تظله بأجنحتها<sup>(١)</sup>  
 « وروى مسلم، عن حماد، رضى الله عنه قال قال رجل أين أنا يا رسول  
 الله إن قتلت ؟

قال، صلى الله عليه وسلم هي لحمة، فألقى بممراتى في يده، ثم هان  
 حتى قيل «

ويقول الله تعالى .

﴿فيعمل في سبيل الله ليدرس يشربوا الحياة السدي بالأسره ومن يقاتل في سبيل لله  
 فيعمل أو يعلب سوف يؤتيه أجرا عظيما﴾ . ( النساء ٧٤ )

﴿ولا تقربوا ممن يقتل في سبيل الله أموال بل أحياء وبكى لا يعرفون﴾ سورة هـ .  
 الشهيد سعيد باستشهاده :

يحدث ابن كثير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما رأى حابر  
 بن عبد الله مهتما لاستشهاد أبيه في عروة أحد ، قال له مصمتاً ومشر  
 « ألا احرك ما قال الله لأبيك ؟ »

فقال حابر - بنى .

قال. صلى الله عليه وسلم

« ما كلم الله أحد قط إلا من وراء حجاب، وأبه كلم أباك كصحا » والكصح  
 الموجهة

قال : سلى أعطك.

قال . أسألك أن أرد إلى الدنيا، فأقتل منك ثانية

فقتل الرب عر وحل

به قد سبق منى القول بأنهم إليها لا يرجعون

(١) رواه البخاري، ومسلم

قال أي رب، فأبلغ من ورائي ( أي أبلغهم بهذه النعمة الكبرى هي لحة  
لتي يتقرب فيها الشهيد <sup>(١)</sup> ).

ما نزل الله تعالى .

﴿ولا تحسب الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾  
فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف  
عليهم ولا هم يحزنون ﴿يستبشرون بنعمة من الله وفصل وأن الله لا يطيع أحداً  
المؤمنين﴾. (آل عمران ١٦٩-١٧١)

(١٧٢) ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما آصابهم نقح لديد أحسوا مهم  
وانقرو أجر عظيم﴾

(١٧٣) ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا  
حسب الله ونعم الوكيل﴾.

(١٧٤) ﴿فاقبلوا بنعمة من الله وفصل لم يمتسبهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو  
فضل عظيم﴾

شامت حكمة الله سبحانه وتعالى، أن يُعَيِّبَ المسلمون في أحد، لله حكمة في  
كل ما يحدث، وهو سبحانه، يبتلى بالصبراء كما يبتلى بالصبراء، وكل شيء عنده  
بمقدار.

وما أن انتهت المعركة، وأصاب المشركون من المسلمين ما أصابوا، حتى كثر  
أعداء الله راجعين، وظن المسلمون أنهم إنما رحلوا قاصدين لمدينة ليدهمروها،  
وبكرو بمن هبها من الرجال ونأسروا النساء والأولاد، وشق على المسلمين ذلك، فم  
توهم الهزيمة من عريمتهم، ولم تفت من عصدهم، وكان يمانهم الذي لا تنزع،  
وثقتهم في بصر الله، وثوكلهم عليه، سبحانه وتعالى كان كل ذلك دعاء لهم، لي أن  
وطبوا أنفسهم على أن يسبقوهم إلى المدينة، لينازلوهم فيها.

فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، نعمي، رضي الله عنه

(١) رواه ابن مريويه ورواه البيهقي في (دلائل النبوة).

أخرج في آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون، وماذا يريدون، فإن هم حسوا  
الحيل وامتطوا الإبل، فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل، فإنهم  
يريدون المدينة، فوالذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم ثم لأجرهم فيها.

قال علي فحرجت في آثارهم أنظر ماذا يصممون هجبوا الخيل وامتطوا  
الإبل وواجهوا مكة. ولكن المشركين، بعد أن ساروا في طريق مكة، تلاوموا فيما  
بينهم، فقال بعضهم : لم تصنعوا شيئاً.

أصبت شوكتهم وحدهم، ثم تركتوهم وقد بقى منهم رؤوس يجمعون لكم،  
فارجموا حتى يستأصل شأفتهم ؟ وقال النعمان الآخر لا محمداً قتلتم، ولا أنكواعب  
أردفتهم، بثسما صعبتم، ارجموا

وبغ ذلك رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فمدب المسلمين إلى الذهاب  
لملاقاتهم واسير وراءهم، ويرعبهم، ويرهبهم أن بالمسلمين قوة وحلدا.

ولفت ثقة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، هي نصر الله ن لم يأذن  
بالذهاب لملاقاة العدو إلا أن حصر الموقعة فقط، اللهم إلا لجابر بن عبد الله الذي  
قال لرسول الله، صلى الله عليه وسلم

« يا رسول الله، إني أحب ألا تشهد مشهداً إلا كنت معك ».

وأجاب المسلمون دعوة رسول الله، صلى الله عليه وسلم ونسوا نداه، وساروا  
في طريق القوم حتى بلغوا حمراء الأسد.

ولما علم المشركون بذلك قالوا يرجع من قبل، وساروا في طريقهم إلى مكة،  
وأمر الله سبحانه (١) :

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بَعْدَهُ مِنْ اللَّهِ وَفَصَلَ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضْهِجُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين  
استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم الفزع للذين أحسوا منهم واتقوا أخر عظيم﴾

(آل عمران ١٧١ - ١٧٢)

(١) «الصورة النبوية لأين كثير

(٢) الحديث من رواية ابن إسحق وابن أبي حاتم

فإيه إذا كان الإيمان بالله، والثقة فيه ذهبت استمعين هي أحد إلى هذه  
المواقف الحادثة، فإن مما يزيد ذلك وضوحاً ما رواه بن هشام بخصوص موقف  
المسلمين هي أحد. بعد المعركة، ثاني يوم فيها، قال :

مر بأبي سفيان - وكان حينئذ قائد المشركين - ركب من عند لعيس، فقال  
لهم أبو سفيان أين تريدون ؟

فقالوا : نريد المدينة.

فقال ولم ؟

قالوا نريد المير.

قال فهل أنتم صليون على محمداً رسالة أرسلكم بها إليه وأحمل لكل هي  
مماثل ذلك زيباً بعكاظ إذا واهيتموبا ؟

قالوا نعم

قال إذا واهيتهم محمداً، فاحسروا أن قد أجمعنا السير إليه، وإلى أصحابه،  
لستأصل بقيتهم

ومر الركب برسول لله، صلى الله عليه وسلم. وهو يحمرأ الأسد، فاحسروه  
بالدى قال أبو سفيان وأصحابه، فكان رد الصل عند رسول لله صلى الله عليه  
وسلم، وأصحابه ما صوره الله تعالى بقوله :

﴿ سبى فاب لهم الناس إن الناس فاب سمرو لكم فاحشونهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا

الله ونعم البركيل ﴾ فانشقوا بعمه من الله وفصل لم يمسسهم سوء وأبغوا رسول الله والله ذو

فصل عظيم ﴿ ( آل عمران ١٧٣ - ١٧٤ )

( ١٧٥ ) ﴿ إنما ذلكم لشيطان يحوف أولياءه فلا تحفونهم وحقون إن كنتم مؤمنين ﴾

نعد قرأ ابن عباس، رضى الله عنه « يخوفكم أولياءه »

ويكون المعنى على ذلك يخوفكم أيها المسلمون من يتبعونه من المشركين



وقرءة أنى بن كعب « يحوهكم بأوليائه » وأوليؤه هم قريش، ومن لم لهم  
 قس المتح. ويهى الله تعالى اسلمين عن الحوف منهم، ويوحهم إلى الحوف منه  
 سبحانه وحده، وذلك مقتضى الإيمان.

(١٧٦) ﴿وَلَا يَحْرُسُ الدِّينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا  
 يَجْعَلَ لَهُمْ حَقًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

(١٧٧) ﴿يَا الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(١٧٨) ﴿وَلَا يَحْصِي الدِّينَ كَمَرُوا أَمَّا نُحْلِي لَهُمْ حَيْرًا لَأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نَحْلِي لَهُمْ لِيُرْدَادُوا  
 إِنَّهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

ولا يحركك الدين يسارعون بأقوالهم وأفعالهم إلى الكفر، إنهم بعملهم هذا لن  
 يصروا الله شيئاً، وإنما يصرون أنفسهم وذلك أن الله تعالى يريد أن يحصن لهم  
 نصيباً في ثواب الآخرة، ولهم فيها عذاب عظيم

إن كان الدين كمرو قد أمههم الله، فلم يحل لهم العذاب، فليس ذلك من  
 الحير بالنسبة لهم، وإنما أمههم ليرددوا إثمًا، ولهم عذاب مهين

روى الإمام النعوى بسنده، عن عبد الرحمن بن أنى بكر عن أبيه رضى الله  
 عنهما، قال سئل رسول الله، صلى الله عليه وسلم :

أى الناس حير ؟

قال « من طال عمره وحسن عمله »

فيل : هأى الناس شر ؟

قال : « من طال عمره وساء عمله »

وقال جماعة من أهل العلم - فيما روى الإمام النعوى - أنزل الله عز وجل  
 هذه الآية في قوم يعددون الحق، سبق في علمه أنهم لا يؤمنون، فقال إنما يملئ  
 لهم ليرددوا إثمًا بمعادتهم الحق، وحلافهم الرسول.

وقال الرجاء هؤلاء قوم قد أعلم الله بهيه صلى الله عليه وسلم أنهم لا يؤمنون أبداً. وأن نفاقهم يريدهم كفراً وإثماً.

(١٧٩) ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ لِيُدْرِيَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلَمَكُمْ عَلَىٰ غَيْبٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمُّوا بِاللَّهِ وَرُسُلَهُ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ ﴾

قيل إن قوماً من المنافقين ادَّعوا أن إيمانهم كإيمان المؤمنين، فأظهر الله نفاقهم يوم أحد، وأنزل هذه الآية.

ولقد أظهر المنافقون لنفاق، وتحصوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أظهر الله تعالى ذلك النفاق بأسباب طبيعية ظاهرة لكل إنسان، وذلك بتخلفهم، وكان من الممكن أن يطلع الله تعالى سبه قس ذلك بإعلان أسماء المنافقين حينما سأل كمار قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم، قائلين «أخبرنا ممن يؤمن بك ومن لا يؤمن».

وسنة «لله حاربة على أنه سبحانه يجتبي { يصطفي يختار } من رسله من يشاء، فيطعمه على ما يشاء من غيبه، كما يقول سبحانه وتعالى ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾. (البقرة ٢٦) وكما يقول تعالى :

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾. (البقرة ٢٥٥)

و«حبيب» لله تعالى محمد، صلى الله عليه وسلم، ولرسوله، له علامات يذكرها العلامة ابن خلدون، فيقول هي كتابه «الميسر» المقدمة<sup>(١)</sup> : «اعلم أن الله سبحانه، اصطفى من البشر أشخاصاً قصصهم بحطائهم، وقطرهم على معرفته، وجعلهم وسائل بينه وبين عبده يعرفونهم بمصالحهم، ويحرسونهم على هدايتهم، ويأخذون بحجراتهم عن النار ويدلونهم على طريق النجاة».

(١) المقدمة بكتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبير، في أيام العرب والمسلمين

وكان - فيما تلقى به إليهم من المعارف، ويظهره على ألسنتهم من الحوارق والاحبار - الكائنات، المعيّنة عن البشر التي لا سبيل إلى معرفتها، لا من الله بوساطتهم، ولا يعمونها إلا بتعليم الله إليهم . قال صلى الله عليه وسلم « ألا وبي لا أعلم إلا ما علمني الله ».

و علم أن خبرهم في ذلك، من خاصيته وضرورته الصديق، لما يتبين لك عند بيان حقيقة النبوة.

وعلامه هذا تصف من البشر - أن يوجد لهم - في حال الوحي غيبة عن لحاصرين معهم مع غطيط، كأنها شيء أو إغماء هي رأى العين وليست منهما هي شيء وإنما هي - في الحقيقة - استغراق في لقاء الملك الروحاني بإدراكهم المناسب لهم، الخارج عن مدارك البشر بالكلية. ثم يثرب إلى مدارك البشرية إما بسماع دوى من الكلام فيتمهمه، أو يتمثل له صورة شخص يحاط به به من عند الله.

ثم تتجلى عنه تلك الحال، وقد وعى ما القى عليه.

قال، صلى الله عليه وسلم - وقد سئل عن الوحي - :

« أحيانا يأتيني مثل منلمة الجرس، وهو أشده على، فيصم على وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل إلى الملك رجلا، فيكلمني فأعنى ما يقول »

ويدركه أشاء ذلك، من الشدة والعط ما لا يعبر عنه.

في الحديث

« كان مما يعالج من التريل شدة »

وقالت عائشة .

« كان يفرل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيصم به، وإن حسنه

ليتصد عرقاً »

وقال تعالى

﴿ يَا سَلَفِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (الزمر ٥)

ولاحظ هذه الحالة في تمرُّل الوحي، كان لمشركو يرمون الأنبياء بانجس، ويصولون له رثى، و تابع من الحسن و ربما نُبس عليهم، بما شبهوه من مظاهر تلك لاحول

﴿ وَمَنْ يَصِلِ اللَّهُ إِلَهُهُ مِنْ هَذَا ﴾ (الرعد ١٣)

ومن علاماتهم أيضاً أنه يوجد لهم - قيل الوحي - حق الحير و لركاه ومجابهة المذمومات والرجس أجمع

وهذا هو معنى العصمة، وكأنه مملوور على لفترة عن المذمومات والمافرة لها، وكأنها صافية لحيلته.

وفي الصحيح، أنه حمل الحجارة وهو علام مع عمه العباس لبداء لكعبة، فجعلها في إزاره، فكشتم، فسقط معشياً عليه حتى ستر إزاره ودعى إلى مجتمع ويمة فيها عرس ولعب، فأصابه عشي اليوم إلى أن طلع شمس ولم يحضر شيئاً من شأنهم بل مرهه الله عن ذلك كله حتى به - بجبلته - ينره عن لصمهم، المستكرهة فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يقرب لنص و لثوم فعيل به في ذلك، فقال : « إني أبجي من لا تاجون »

و نظر إلى أحير النى صلى الله عليه وسلم، حديجه، رضى الله عنها، حال الوحي، أول ما هجأ وأرادت احتباره.

فقالت احمسي بييك وبن ثوبك

فما فعل ذلك، ذهب عنه

فمالت : به ملك، وليس بشيطان.

ومباد أنه لا يقرب النساء

وكذلك سألته عن أحب الثياب إليه أن تأتيه فيها

فقال . البياصر والحصرة

فقلت . إنه الملكُ.

يعنى أن البياصر و لحصرة من ألوان لخير والملائكة، والسواد من ألوان الشر والشياطين، وأمثال ذلك

ومن علاماتهم أيضاً دعاؤهم إلى الدين و لعباده من الصلاة، والصدق، والعفاف

وقد استدللت حديجة، رضى الله عنها على صدقه، صلى الله عليه وسلم، بذلك وكذلك أبو بكر ولم يحتاجا في أمره إلى دليل خارج عن حاله وحلقه

وفي الصحيح أن هرقل - حين جاءه كتاب النبي، صلى الله عليه وسلم، يدعوه إلى الإسلام - أحصر من وجد سلده من قريش، وفيهم أبو سمير، ليسألهم عن حاله فكان - فيما سأل - أن قال

بم يأمركم ؟

فقال أبو سفيان بالصلاة والزكاة، والصية والعفاف، لى، حر ما سأل.

هأجابه فقال « إن يكن ما تقول حق فهو نبي، وسيملك ما تحت قدمي هاتين ».

والعفاف الذى أشار إليه أبو سمير، هو العصمة، فانظر كيف أخذ من العصمة ولدعاه، إلى الدين والعبادة ذبيلا على صحة نبوته، ولم يحتج إلى معجزة، يدل على أن ذلك من علامات النبوة !

ومن علاماتهم أيضاً أن يكونوا ذوي حسب هي قومهم

وهي الصحيح

« ما بَعَثَ الله نبيا، إلا هي مَنَّةٌ من قومه »

وهي رواية أخرى

« هي ثروة من قومه »

استدركه الحاكم على الصحيحين.

وهي مسألة هرقل لأبي سميان، كما هو في الصحيح، قال

« كيف هو فيكم ؟ ».

قال أبو سميان « هو جيد وحسب ».

هـ قال هرقل

« و أرسل ثعث في أحساب قومها ».

« ومما أن تكون له عصاة وشوكة تمنعه عن أدب الكفار، حتى يبلغ رسالة

ربه، ويتم مراد الله في إكمال دينه ومنتته<sup>(١)</sup> ».

(١٨٠) ﴿ ولا يحسب الذين يحبون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شرٌّ

لهم سخطون ما يحوايه يوم القيامة والله ميراثُ السموات والأرض والله بما تعملون خبير ﴾

(١٨١) ﴿ لقد سمع لهُ قُورٌ ليس قَانُوا إِنْ اللهَ فقِيرٌ وَخِيَاءٌ سَكَّتْ مَا قَالُوا

وَقَتْلَهُمْ لَأَنْبِيَاءَ بغيرِ حقٍّ وَيَقُولُ دُفُّوا عذابَ الحريقِ ﴾

(١٨٢) ﴿ ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾

روى الإمام الترمذي أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال

« حصلتان لا يجتهدان في مؤمن : البخل، وسوء الخلق »

وبقول لهُ سبحانه

﴿ وما من أجل واستغنى ﴾ وكذب بالحقسي ﴿ فميسرة للعُمرى ﴾ وما يعي عنه ماله

دا تروى. والليل ١١

---

(١) المقدمة من ٩١ ٩٢ ط ١ مكتبة التجارية

وبقول سبحانه

﴿مَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (سجدة ١٧)

أما قوله تعالى

﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

هنا المفسرين يروون في ذلك أحاديث صحيحة، يذكر الإمام لحيان منها ما

نقل

عن أبي هريرة قال

قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم

« من أتاه الله مالا فليؤد زكاته، مثل له يوم القيامة شجاعاً، أقرعاً، له

ريبتان بطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه، يعني شذقيه، ثم يقول أنا مالك أنا  
كسرك، ثم نلا ﴿ولا يحسن الدين يحلون ما آتاهم الله... الآية﴾<sup>(١)</sup>،

قوله ريبتان قيل هما اسكتان لسوداوان فوق عصى الحبة وقيل هما

نقطتان تكتمان فاهما. وقيل هما ريبتان في شذقيها

وقد جاء في الحديث تفسير لهرمتيه، بأنهما شذقان وقيل إنهما مصعقتان

في أصل الحنك وقيل هما منحنى اللحيين أسفل من الأدبين. وكله متقارب (ق)

عن أبي ذر، قال «تهيت إلى النبي، صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل

الكعبة فلما رأيته قال

« هم الأحصرون ورب الكعبة ».

قال فجلت حتى جلست، فلم أبقار - أي لبثت - أن أقمت، فقلت

يا رسول الله، هداك أمي وأمي من هم ؟

[١] أخرجه البيهقي

قال هم الأكثرون أموالاً إلا من قال هكذا وهكذا ، من بين يديه ،  
ومن حلمه ، وعن حميه ، وعن شماله

وقال ، صلى الله عليه وسلم « والذي تسمى بيده م من صاحب إس ، ولا  
بمر ولا عزم ، لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمه ، تطعنه  
بفرونها ، وتطؤه بأطرافها كلما نعدت أحرها عادت عليه أولاهها ، حتى يقصى بين  
الناس » (١)

وإذا كان البخلاء يشحون بمالهم ، فلا ينمقون منه في سبيل الله ، فليعلموا أن  
العداب سبأهم من حل ذلك ، فإبهم سيموتون بعد فترة تطول أو تقصر ، وهي مهم  
طالت قصيرة وسيتركون مالهم وما كنروا ، وسيورثه من يرث الأرض ومن عليها  
وسيجاريهم الله بما صنعوا : إنه بما يعملون خير ،

وهذه الآية مقدمة للحديث عن هؤلاء الذين قالوا - إن لله فقير وبحر أعيب ،  
وهم اليهود الذين سحروا كعادتهم من كثير من المبادئ الإنسانية للكرية التي دعا  
إليها لإسلام وذلك أنه حينما قال الله تعالى ،

﴿مَنْ دَ الَّذِي يَقْرُصُ اللَّهَ قَرْصًا حَسْبَ فِصَاعِهِ لَهُ وَلَهُ أَخْرٌ كَرِيمٌ﴾ ( الحديد ١١ )

يريد الله تعالى بذلك إطلاع المقير وسد حجة المسكين ، والإنفاق في سبيل  
اسه ، حول اليهود هذا المعنى لسامى الكريم إلى المعنى الذي يليق بلؤمهم ، فقالوا  
« ربما يستمر من أموال ، وما يستقرض إلا المقير من العسى - إن ، لله إدى فقير  
وبحن أغنياء » (١)

لقد سجن الله تعالى عليهم ولؤمهم هذا ، وسجل عليهم شيئاً آخر ، هو من قهم  
الاحرم ، وهو قتلهم الأنبياء بغير حق

(١) هذا المعنى مستمد ، وقرنه البخاري بمعناه في موضوعين



وسيجازيهم الله تعالى على فعلهم الآثم، ويقول تعالى لهم - دوقو العذب  
المحرق وهذا العذب حرء ما كنتمتم من شر، وإن الله ليس بظلام للعبيد

(١٨٣) ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرُسُولٍ حَتَّى يَأْتِيََا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ الدُّرُورُ

قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ بَنِي إِسْرَءِيلَ قَالُوا قُلْتُمْ قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

(١٨٤) ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾

هؤلاء الذين بخلوا بما آتاهم الله من فضله، والذين قالوا - إن الله فقير ونحن  
أغنياء، والذين قتلوا الأنبياء بغير حق - هم الذين قالوا إن الله عهد إليهم  
أن لا يؤمنوا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم يعلمون أن كل رسول له معجرات  
تختلف عن معجرات غيره، وعملهم - مع علمهم بذلك - من عدم الإيمان بمحمد (ص)  
باصطلاحهم - ومع ذلك فعلوا لهم - حتى ينقض عملهم ويبين للملأ سوء نواياهم - قد  
جاءكم رسول من قبلي بالدلائل لو صدقته، وبإحدى دكرتهم، فلم تقتلتموهم إن كنتم  
صادقين ؟

في كذبهم هذا رأيتهم، وعادتهم، فقد كذبوا رسلا سابقين جاءوهم بالدلائل  
التي وبالزبور - جمع زبور - مثل « رسول ورسول »، وزبور من الزبور - وهو الزبور  
وذلك لما هو هذه الكتب من التهي عن سوء والرحر عنه، وجاءوهم بالكتاب - سم  
جنس، والمقصود هنا على الخصوص التوراة والإنجيل.

(١٨٥) ﴿وَكُلٌّ فِيهِ دَافِقَةٌ أَمْوَاتٌ وَإِنَّمَا تَأْوِيْنُ أَجْوَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِمَّنْ رَحِمَ عَنِ النَّارِ

وَدَخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ كَانَ رَءِيسَ الْغُلَامِ الْأَغْلَامِ وَالزُّبُرِ﴾

ثم يأتي تنبيه العام للإنسانية أجمع في قوة، وهي تأكيد، وهي يقين، كل  
إنسان لا محالة إلى الموت - إنه اليقين الذي لا شك فيه، ويقين آخر عند كل من أمر  
باليوم الآخر - هو أن كل إنسان مجرى بعمله - إن حبرا فقير وبشر هشر

ويصير ثالث - هو أن من كان مصيره أحبه فقد صار هورا عظيما عن  
أبي هريرة رضي الله عنه - فيما رواه الشيخان - أن رسول الله، صلى الله عليه  
وسلم، قال فيما رواه عن ربه :

«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أدنى سمعت ولا خطر على قلب بشر، وقرؤوا إن شئتم»

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

(١٨٦) ﴿لَنَبْلُوَنَّ فِي أُمُورِكُمْ وَتَعْمَلُكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ شَرَكُوا أَدَىٰ كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَرْمٍ لِأُمُورٍ﴾

الابتلاء هي الأموال نقصانها، ولا ابتلاء هي لأبصر ما كان بسبب الحروب من القتل، وهقد الأولاد ولأقرب

وقد حاطب لله بهذه الآية المسلمين، منبها لهم على ما سيلمونه في سبيل نشر الدعوة من شدائد، حتى يوطنوا أنفسهم على احتمالها، وليس الأمر أمر الابتلاء هي الأموال والأبصر محسب، وذلك أن المسلمين سيسمعون من أهل الكتاب ومن المشركين الكثير مما يسيئهم. ويبين الله لهم الموقف الذي يجب أن يتحدوه، وهو الصبر والتقوى، فإنهما من عزم الأمور.

يقول عطاء عن ﴿عَرْمُ الْأُمُورِ﴾، أي «حقيقة الإيمان»

ومما لا شك فيه أن الصبر والتقوى من شعب الإيمان

(١٨٧) ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ نُبَيِّنُ لَنَاسٍ وَلَا تَكْفُرُ بِهِ قُلُوبُهُمْ وَرَءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

إن هذه الآية لكريمة لتحدث عن ميثاق أي عهد أحده الله على أهل الكتاب السابقين بوجوب عليهم فيه بيان ما أوحاه الله تعالى على السنة الأنبياء بانه لسان، وذلك أنه هدية، وواحب العلماء بشر وإداعة الهداية، وإن لا يرتكبوا ورر الكنس، ولكنهم ألفوا بالكتاب حسبا، لا يبالون به ولا بالعمل بما فيه، واشتروا به حطام الدنيا من مأكول ورشاوى، هئس ما يشترون.

وإذ كانت الآية الكريمة وردت في اليهود والنصارى، فإن الميثاق عام في كل أهل كتاب، وقد فهم أسلافنا رصون الله عليهم عموم الميثاق على أهل كل كتب، فشمّل ذلك لمسلمين.

يقول قتادة

هذا ميثاق خذہ اللہ تعالیٰ علی اہل العلم، فمن علم شیئاً فليعلمہ،

واياکم وکتساب العلم فیزہ ہلکۃ.

ومن طرئف ما یروی فی ذلك أن الامام الرہری، لمحدث العظیم، کان قد ترک

الحديث عن رسول اللہ، صلی اللہ علیہ وسلم، یقول الحسن بن عمارة فأقیته  
فقلت له إن رأیت أن تحدثنی.

فقال أما علمت أني ترکت الحديث ؟

فقلت له إني أن تحدثنی، وإما أن أحدثک فقال حدثنی فقلت حدثنی

الحکم بن عیینة عن يحيى بن الحراز، قال سمعت علی بن اسی طائب، رضى اللہ  
عنه یقول

« ما أحد اللہ علی اهل اجهل أن يتعلموا، حتی أحد علی اهل العلم أن

يعلموا »

فحدثنی أربعین حديثاً.

ويقول قتادة هذه الكلمة العیسة :

طوبی لعالم ناطق، ومستمع واع، هذا علم علماً هدیة وهذا سبع حبراً فقیلہ

وواع

وعن عموم « الميثاق » یروی عن أبی هريرة أنه قال

لولا ما أحد اللہ تعالیٰ علی اهل الكتاب ما حدثکم بشيء، ثم تلا هذه الآية

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ ﴾

واخرج أبو داود بسنده، عن رسول اللہ، صلی اللہ علیہ وسلم، أنه قال

« من سئل عن علم فکتبه ألحبه الله بلعام من نار يوم القيامة »

ومن أجب ذلك كان علماًؤنا، رضى اللہ عنهم، ينطقون بكلمة الحق، لا تأخدهم

هي الله لومة لائم فهل ذلك ماثلك رضي الله عنه، وأحمد بن حنبل وسمي الثوري، وعشرات غيرهم. وكانت دية الميثاق هذه تحقر دائما صموة العلماء على أن يجهروا بالحق وأن يعطوا حكم الله تعالى. رضي الله عنهم وأرضاهم

(١٨٨) ﴿لَا يَحْسِبُ الْإِنْدِيُّ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوِيَ وَيَحْزَنُونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا وَلَا تَحْسِبُهُمْ مِثْقَالَ مِمَّا أَتَوْا مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

يدكر أبو سعيد الحدرى وحرور أن هذه الآية الكريمة نزلت في اساقطين الذين كانوا يتحصنون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الثمرو حتى إذا جاء صلى الله عليه وسلم اعتدروا إليه بأشغالهم أو بمرضهم، أو بغير ذلك وكلها أعد رائلة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعفو عنهم، فمصحهم الله تعالى بهذه الآية.

فكانوا يفرحون بالتحلف والعفو ويحبون مع ذلك أن يقال لهم هي صوره من صور الحمد إثمهم في حكم المحاهدين، ولهم ثواب المحاهدين لأن العذر حسهم، ولو لم يكن العذر لكانوا من المحاهدين.

وعلى هذا لتفسير تكون الآيات من سورة النبوة شرحا لها

يقول تعالى

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ جُلُوسًا رَسُولَ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَهْرُؤْ فِي الْحَرِّ قُلْ بَرَّحُمُ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَصْحُقُوا فَلْيَلْزِمُوا بَعْضُكُمُ الْآخَرَ كَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فَإِنَّ رَحِمَتَ اللَّهِ إِلَيْنَا طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَاِئْتِنَا لَنَعْرِضَ عَنْكُمُ الْوَيْدَانَ وَلِنَقُولَ لَكُمْ رِضَتَهُ بِالْقُرْآنِ وَنُفَعِّدُوا مَعَ الْحَبِشِينَ ﴿٨١﴾ (النوبة ٨١ - ٨٢)

وهي آيات تشرح لموضوع وتشرح النتيجة التي ترتبت عليه وهؤلاء الذين يصنعون ذلك ليسوا بمعجزة من العذاب.

(مفارقة معجزة) ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

والآية الكريمة وإن كانت قد برزت في المناقش، فإنها عامة في حوهرها -  
هي كل من يشاكلهم

(١٨٩) ﴿قُلْ لِلَّهِ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

هذه الآية الكريمة فيها رد على هؤلاء الذين قالوا إن الله فقير وبحر اعياء  
وقد سبق ذكرهم، وذلك أن من له ملك السموات والأرض لا يوصف بالفقر،  
تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

ولايه أيضاً كأنها مقدمة لما بعده من حديث فيه توجيه وعطه وعبرة  
يستدثه سبحانه بقول

(١٩٠) ﴿إِن فِي حَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

(١٩١) ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُوهِبِهِمْ وَيَتَكَبَّرُونَ فِي حَلْقِ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقَا عَذَابَ النَّارِ﴾

(١٩٢) ﴿رَبِّ إِنِّي مِنْ تَدَخُلِ أَسَارَ لَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَمَا نَظَالِمِينَ مِنْ بَصَرٍ﴾.

(١٩٣) ﴿رَبَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا  
وَاكْرُمْنَا عِنَّا سَيِّدَتَنَا وَتَوَهَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾

(١٩٤) ﴿رَبَّنَا وَإِنَّكَ مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِينَا يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَعْيَادُ﴾

(١٩٥) ﴿فَاسْحَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَصْبِحُ عَمَلٍ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ  
بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُزِفُوا فِي سَبِيلِي وَمَاتُوا وَفُتِلُوا لَا كُفْرَانَ عَنِّي  
سَيِّدُهُمْ وَلَا دَخَلَهُمْ جَنَابٌ بِحَرِّيٍّ مِنْ نَحْنُهَا الْأَسْهَارُ ثَوَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حِسْ  
الثواب﴾

روى الشيخان، عن ابن عباس، رضى الله عنهما، أنه بات عند ميمونه أم  
المؤمنين، وهي حالته، قال هفقت لأتظرن إلى صلاة رسول الله، صلى الله عليه  
وسلم، فطرحته لرسول الله، صلى الله عليه وسلم وسدده فاصططعت في عرص



ويقول تعالى .

﴿ وَجَعَلَ الْبَيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ﴾ ( الأنعام ٩٦ )

ويقول سبحانه

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ تَسْكُونُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ ( يونس ٦٧ )

ونأمل قوله تعالى .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ هُوَ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بَصَائِرُ أَفْلا تَسْمَعُونَ ﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ هُوَ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ سَبِيلٌ تَسْكُونُونَ فِيهِ أَفْلا تَبْصُرُونَ ﴾ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار تَسْكُونُوا فِيهِ وَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ ( القصص ٧١ - ٧٢ )

وآيات لتي توجه لإنسان إلى العظمة والعبرة من الكون كثيرة، مستقيمة، منها مثلا .

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ لَوْفَهُمْ كَيْفَ بَنَاهَا وَرَبَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ و لا رص مددناها و ألقا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ﴾ بصره وذكرى لكل عبد ميب ﴾ وبر لنا من السماء ماء مبارك فأنبثنا به جناب وحب الحصيد ﴾ والنحل بأسقام لها طلع نضيد ﴾ ورقا لعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج ﴾ ( ق ٦ - ١١ )

**ويمول الكندي فيلسوف العرب :**

« إن هي الظواهر والمظاهر التي تبدو للحواس، لأوضح لدلالة على تدبير

مدير أول :

هنا هي نظم هذا العالم، وترتيبه، وفعل بعضه في بعض، وانقياد بعضه لبعض، وسخير بعضه لبعض، وتقارن هيئته على توجه الأصح في كون كل كائن وفساد كل هاسد، وثبات كل ثابت وروا كل راثل لأعظم دلالة على أنقى تدبير ومع كل مدير مدبر وعنى أحكم حكمة، ومع كل حكمة حكيم وذلك أن اقتضاء لتدبير للمدير، والحكمة للحكيم أمر لا يختلف فيه اثنان »

وراء كانت دلائل خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، يدركها أولوا  
العقول المتأمنة فإن أولى العقول هم هؤلاء الذين لا يصتروون عن ذكر الله تعالى  
إنهم يدكرونه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم.

ويقول الله تعالى في سورة النساء :

﴿ إِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ النساء ١٠٤

ولقد وردت الأحاديث الكثيرة في الحث على التذكر، ومن ذلك ما رواه الإمام  
مسلم بسنده، عن عائشة رضي الله عنها، من أنها كانت تقول عن رسول الله، صلى  
الله عليه وسلم إنه يذكر الله على كل أحيانه.

وعن الذكر نروى ما يلي

روى البيهقي في الشعب، من حديث عمر بن الخطاب

قال الله عز وجل

« من شغلته ذكرى عن مسألتى، أعطيته أفضل ما أعطى السائلين »

وقيل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، هيما رواه الإمام مسلم بسنده،

عن أبي هريرة

« ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله عز وجل، إلا حمت بهم الملائكة، وعشيتهم

لرحمة، وذكرهم الله تعالى فيمن عنده »

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم

يقول الله أنا عند كل عبيدي بي، وأنا معه إذ ذكرني، فإن ذكرني هي نصيبه

ذكرته هي نصبي، وإن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم

وإن تقرب إلى شراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً،

وإن أتاني بمشي أتيتته هرولة<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> رواه البيهقي، ومسلم والترمذي، والنسائي. وابن ماجه، ورواه أحمد بن حنبل بإسناد صحيح وزاد في آخره قال

هنا « والله سرع بالهمزة »



وعن معاذ بن أسر، رضى الله عنه، قال قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم

قال الله جل ذكره

« لا يدكرنى عبد هى نفسه إلا ذكرته هى ملا من ملائكتى، ولا يدكرنى هى ملا إلا ذكرته هى الملا الأعلى » (١).

وعن عبد الله بن بسر، رضى الله عنه، أن رجلاً قال يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت على، فأخبرنى بشيء أتشبث به. قال « لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله » (٢).

وعن مالك بن يعامر، أن معاذ بن جبل، رضى الله عنه، قال لهم بن حشر كلام فأرقت عليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن قلت أى الأعمال أحب إلى الله ؟ قال .

« أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله » (٣).

وعن أسى موسى، رضى الله عنه، قال قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم « مثل الذى يذكر ( لله ) ربه، ووالدى لا يذكر الله، مثل الحى والميت » (٤).

وعن أبى هريرة، رضى الله عنه، قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يسير فى طريق مكة همرًا على جبل يقال له جمدان، فقال

---

(١) روى الطبري بإسناد حسن.

(٢) روى الترمذي والنسائي وقال « حديث حسن صحيح، وأبو حنيفة وابن سيرين فى صحيحه وثبتهم.

وقال صحيح الإسناد

(٣) روى ابن الدنيا ويطهراني، والنسائي له، والبيهقي إلا أنه قال أخبرني بأفضل الأعمام وأقربهم إلى

الله، وأبو حنيفة فى صحيحه

(٤) روى البخاري، ومسلم إلا أنه قال « مثل البيت الذى يذكر الله فيه

« سيروا، هذا حمدان، سبق المردون ».

فأبوا وما المردون يارسول الله ؟

قال : « الداكرون الله كثيراً » (١)

وعن أم أنس رضى الله عنها، قالت يارسول الله أوصنى، قال

« هجرى المعاصى، فأبها أفصل الهجرة، وحافظى على لهرئص، فأبها أفصل

اجهاد وأكثرى من ذكر الله، فأبك لا تأتين الله شىء أحب إليه من كثرة ذكره » (٢)

إن ولى الألباب يتمكرون فى خلق السماوات و لأرض يعقوبونهم و يفلونهم  
و يجدون صدق ذلك على ألسنتهم قائلين ربنا ما خلقت هذا الكون السديع باطلا،  
سبحانك عن أباطل. و يلحأون إليه تعالى فى أن يجيبهم عذاب النار، فإن من يدخل  
نار محبدا فيها، فإن لخنزى يحيط به، والحرى فيها تنفق بدحول النار خاص  
كما يقول أنس: وسعيد بن المسيب، وغيرهما - خاص من يجد فى النار ولن يجد  
الظالمون ادين أشركوا بالله من يجيبهم عذاب جهنم

ويتابع: أولوا الألباب دعاءهم بهذه الكلمات الحيلة الواضحة الوصاءة

﴿ ربنا إنا سمعنا مُنادياً ﴾ ( محمدا ) ﴿ يُنادي للإيمان أن آمُر بربكم فأمر ربنا و أمر  
لنا دُنيا و كفر عنا سيئاتنا و ترعنا مع لأبرار ﴾ ( هى زمرةهم، والأبرار من خيار  
الصالحين )

﴿ ربنا وإنا ما وعدتنا على رُسلك ﴾ ( الجنة والرضوان ) .

أما النتيجة فهى

﴿ فاستجاب لهم ﴾ ( مفعول ) ﴿ أنى لا أصنع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى  
يعصكم من بعض ﴾ ( فى الطاعة والأحوه ) .

---

(١) رواه مسلم. والنمط له، والنرمذى والنمط. يارسول الله، وما لمردون ؟ قال المسهرى، (أى المكتوبين )

بذكر الله. يصنع الذكر عنهم الثنائيم، فيلقون الله يوم القيامة خفافا

(٢) رواه تميم بن مسعود بن سعيد

﴿ فَيَدِينُ هَاجِرُونَ وَأُخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلِي فَاذَلُّوا وَقُتِلُوا أَكْفَرًا مِنْهُمْ سَبْتُهُمْ وَلَأَدْحَلُهُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسْبُ الثَّوَابِ ﴾ .

(١٩٦) ﴿ لَا يَخْرُجُ قَلْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾

(١٩٧) ﴿ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾

(١٩٨) ﴿ بَكِ الدِّينَ اتَّقُوا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَمُوتُونَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ .

لا يهربك أيها المسلم - ما فيه الدين كفروا من تصرف في أحوال التجارة و لأرباح والعبي، فإن ذلك مناع قليل، هو مدة الحياة لديب وهي مهما طالت بالإنسان قصيرة، ثم يكون ماؤاهم ( مصيرهم ومستقرهم ) جهنم وبئس الممراس بقرشونه

أما الذين اتقوا ربهم فإن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها عزاء وثوابا ( و سزل ما يعد للضيف من وسائل الراحة )، من عند الله، وما عند الله خير للأبرار

وأخرج الشيخان بسندهما عن عمر بن الخطاب قال

حدث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فإذا هو في مشربة، وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من آدم حشوه نيم، وعند رجليه قرط ممسور، وعند رأسه أهب معلقة فرأيت أثر الحصير في جنبه، فيكيت

فقال . ما يبكيك ؟

قلت يا رسول الله، إن كسرى وهيصر فيما هم فيه، وأنت رسول الله

فقال : أما ترمي أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟

لمعد البحري المشربة، العرفة والعلية والمشارب العلالي

(١٩٩) ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ .

عن مجاهد وغيره أنها « نزلت في كل من آمن من أهل الكتاب » .

وإن الذي يشهد لهذا بداهة قوله تعالى في الآية :

﴿ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ .

إنهم بذلك أصبحوا مسلمين، والمسلم خاشع لله تعالى، وخشوعه يمنعه من أن يشتري بآيات الله ثمنا قليلا : إنه صادق فيما يقول، وصادق في سلوكه . وإن لهم أجرهم الحسن عند ربهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ .

يقول الله تعالى :

(٢٠٠) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

وتختتم هذه السورة الكريمة بالأمر بالصبر، وللصبر مكانة عظيمة في الجو الإسلامي .

وقد يسأل إنسان قائلًا : الصبر على ماذا ؟

والواقع أن الأمر بالصبر في الآية الكريمة أعم من كل قول قيل فيه :

إنه مثلا أعم من الصبر على الجهاد، وأعم من الصبر على المصائب، وأعم من الصبر على التكليف . إنه الصبر على ما يعرض للإنسان مما يحتاج إلى الصبر .

ويأمر الله تعالى بالمصابرة، والمصابرة هي المغالبة في الصبر، وإذا كان الصبر يشير على الخصوص إلى صبر الإنسان في نفسه، فإن المصابرة هي أن يفلب الإنسان أعداءه على الصبر، بحيث يفوقهم فيه، ولا يمتأ أو يمل .

ويأمر الله تعالى بالمرابطة؛ والمرابطة هي الثبات في الدفاع، وهي العزم المصمم على الوقوف المستمر حتى الفوز .

ويأمر الله تعالى بالتقوى، والتقوى في عمومها : اتقاء محارم الله .

وتنتهي الآية الكريمة بقوله تعالى :

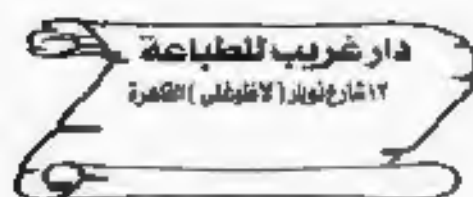
﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هديه إلى يوم الدين .

هذا وبالله التوفيق .

## الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة في التفسير .....	٥
الكلام في الاستعاذة .....	١٣
الحديث عن بسم الله الرحمن الرحيم .....	١٥
في فضل سورة آل عمران .....	٢٠
مشكلة القدر .....	٢٠
مشكلة الصفات .....	٢٤
العلم في الإسلام أوسع دائرة .....	٢٠٢
الشهيد .....	٢٠٦



## هذا الكتاب

في هذه السورة المباركة - سورة آل عمران - كثير من أضواء القرآن، تتعلق بأصول العقيدة، وبالمبادئ الأخلاقية، والقوانين الربانية.

وأرجو أن يكون شرحي لها مساهمة مني في بيان القوانين الربانية التي تصلح المجتمع وتنهض به.

ولقد استفقت أحيانا استفاضة مبسوسة في بعض الزوايا، رأيت الضرورة تقتضيها، وأوجزت التفسير إيجازا في بعض الآيات الواضحة.

وأكد أقول: إنني قاربت استكمال الحديث عن أصول العقيدة، متابعة لتوجيهات السورة الكريمة، وسيرا في ضوء أنوارها.

والله أرجو أن ينفع بهذا التفسير، وأن يهدي به، وأن يهدي له، وأن يجعله في سجل أعمال النافعة... إنه سميع، قريب، مجيب.

عبدالحليم محمود

